سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ (١٧)

شروح وتعليقات

على

رسائل الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

الأصول الثلاثة - القواعد الأربع - فضل الإسلام- كشف الشبهات

(المجموعة الأولى)

شرح وتعليق

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه، ومَنْ اهتدى بهُدَاه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فيطيب «**لمؤسسة الشَّيخ عبد العزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم «**المجموعة الأولى من شروح وتعليقات سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله باز** رَحِمَهُ اللَّهُ **على: رسائل الإمام محمد بن عبدالوهاب** رَحِمَهُ اللَّهُ» وهي:

١- **الأصول الثلاثة.**

٢- **القواعد الأربع.**

٣- **فضل الإسلام.**

٤- **كشف الشبهات.**

وكان شرح وتعليق سماحته لهذه الرسائل واضحة العبارة سهلة البيان.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له به الأجر والمثوبة.

كما نسأله تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكلِّ مَنْ تسبَّبَ في

إخراج هذه المادة، وأن يجزيهم خير الجزاء.

كما نسأله سبحانه أن يأجر كلَّ مَنْ قرأ هذا التَّعليق، وساهم في نشره؛ إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

وصلَّى اللَّه على نبيِّنا محمَّد، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم.

مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

ترجمة موجزة

لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله[١]

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه:

اسمه: هو سماحة الإمام المجتهد، بقية السلف، ومفتي المسلمين في زمانه العلَّامة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن باز.

كنيته: أبو عبد الله، وهو أكبر أولاده.

لقبه المشهور به: ابن باز رحمه الله.

مولده ونشأته وأسرته:

ولد في مدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من عام ثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٢/ ١٢/

(١) ينظر ترجمته في: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٩- ١٢) من جمع وترتيب د. محمَّد بن سعد الشويعر، والإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للشيخ عبد الرحمٰن بن يوسف الرحمة (ص٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٤، ٤٥، ٣٧٧) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، رواية الشيخ محمد الموسى، إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد (٣٣، ٣٤) والإبريزية في التسعين البازية، د. حمد بن إبراهيم الشتوي (١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠، ١٨٩) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، من إعداد واعتناء: الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (١٣، ٢٣، ٢٦، ١٣٨) وغيرها.

١٣٣٠هـ) وبالرياض نشأ وشبَّ وكبر، ولم يخرج منها إلا ناويًا الحج أو العمرة، أو العمل في كل من الخرج، والمدينة، والطائف.

وقد نشأ في بيت عامر بالصَّلاح وحبّ الخير، في حضن والدته، فقد توفي والده عام ثلاث وثلاثين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية (١٣٣٣هـ) وكان عمره آنذاك دون الثالثة، فعاش يتيمًا في حجر أمه، التي أحسنت تربيته وتنشأته، مع شقيقه محمد، وأخيه من أمه إبراهيم، وأخته من أمه منيرة، وكلهم أكبر سنًّا من سماحته.

وكان لوالدته -رحمها اللَّه- التي توفيت عام (١٣٥٦هـ) دور بارز، وأثر بالغ في توجهه نحو العلم الشرعي، وطلبه له ومثابرته عليه، ففضلها عليه كبير، حيث اعتنت بتربيته وغرست فيه الصفات الحميدة، كما كانت البيئة التي عاش فيها بيئة علمية، فقد كان في مدينة الرياض كبار أئمة الدعوة السلفية في هذا العصر.

۞ حياته العلمية والعملية:

بدأ حياته العلمية: بالدراسة منذ الصغر فحفظ القرآن الكريم قبل البلوغ، على يد الشيخ عبد الله بن مفيريج رَحِمَهُ اللَّهُ، ثم تلقى العلوم الشرعية والعربية، على أيدي كثير من علماء الرياض، ومن أعلامهم:

١- الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم اللَّه-.

٢- الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (قاضي الرياض) -رحمهم اللَّه-.

٣- الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤- الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رَحِمَهُ اللَّهُ.

٥- الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ، حيث كان يتردد على الشيخ سعد في دكانه مدة شهرين.

٦- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وقد لزم حلقاته صباحاً ومساءً، وحضر كل ما يقرأ عليه، ثم قرأ عليه جميع المواد التي درسها في الحديث والعقيدة، والفقه، والنحو، والفرائض، وقرأ عليه شيئاً كثيراً في التفسير، والتاريخ، والسيرة النبوية نحواً من عشر سنوات وتلقى عنه جميع العلوم الشرعية ابتداءً من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رشح للقضاء من قبل سماحته[(١)].

أما تلاميذه: فأكثر من أن نحصرهم ونحصيهم في هذه الأسطر لكثرتهم وطول المدة حدود سبعين عامًا، فقد ذكر الشيخ عبد الرحمٰن الرحمة في ترجمة سماحته أكثر من (٤٧٤ طالبًا)[(٢)].

وأمَّا حياته العملية: فقد تولى عدة أعمال، **منها:** القضاء في منطقة الخرج بالدلم مدة أربعة عشر عامًا وأشهرًا، (١٣٥٧ - ١٣٧١هـ) **ومنها:** التدريس في المعهد العلمي في الرياض، ثم كلية الشريعة (١٣٧١- ١٣٨١هـ) درَّس الفقه والتوحيد والحديث، حدود تسع سنوات وبضعة أشهر، **ومنها:** العمل إداريًّا في التعليم، (١٣٨١ ـ ١٣٩٥هـ) نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة حدود (١٠) أعوام، ثم رئيسًا لها حدود (٥) أعوام.

وفي (١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب

---

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز (ص٣٣، ٣٤).

(٢) ينظر: الإنجاز في ترجمة سماحة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٨٤ - ١٢٤).

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، حتى مطلع سنة (١٤١٤هـ).

وفي (٢٠/١/١٤١٤هـ) صدر أمر ملكي بتعيينه في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيسًا لهيئة كبار العلماء، ورئيسًا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله (٢٧/١/١٤٢٠هـ) رحمه الله رحمة واسعة.

وإلى جانب هذا العمل الوظيفي الرسمي كان سماحته عضوًا أو رئيسًا لكثير من المجالس العلمية الرسمية في المملكة، وفي العالم الإسلامي؛ كرابطة العالم الإسلامي، والمجمع الفقهي التابع لها، والمجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة في المملكة، وغيرها، وما من منصب تقلّده إلا وكانت له فيه إبداعات وبصمات خالدة رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ صفاته الخَلقية والخُلقية:

أمَّا صفاته الخَلقيَّة: فقد كان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير، وإلى الطول أقرب، معتدل القوام متساوي الأعضاء، حنطي اللون، مستدير الوجه، ناتئ الجبهة، غاير العينين، أقنى الأنف قليلًا، خفيف الشارب قليل اللحية على العارضين كثة في الذقن، ويمتاز بالتوسط في عموم أعضاء جسمه.

أمَّا صفاته الخُلقية: فقد جبل اللهُ الشيخ على صفات نبيلة، وشمائل فريدة، وسجايا كريمة قلَّ أن تجتمع في شخص في عصرنا هذا، ولا يمكن حصرها وتعدادها خصلة، خصلة، فقد ذكر الشيخ

عبد الرحمن الرحمة في ترجمته لسماحة الشيخ تسعين صفة ومنقبة تميَّز بها سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد أبرز أربعين صفة خلقية لسماحته[(١)].

وقد قال عنه سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: «**ضرب في كل ميدان من ميادين الخير بسهم، فسبحان من جمع له الخير من أطرافه، وبارك له في عمره وعمله..، وهذا من أمارات الخير له غفر الله له ورحمه**»[(٢)].

۞ مؤلفاته وفتاواه ودروسه:

أمَّا مؤلفاته المطبوعة فكثيرة جدًّا[(٣)]: وأكثرها قد جمع في كتابه المشهور «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» الذي قام بجمعه وترتيبه معالي الشيخ الدكتور/ محمَّد بن سعد الشويعر رَحِمَهُ اللَّهُ في ثلاثين مجلدًا، وقد جمع فيه أكثر تراث سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

كما حوِّلت تسجيلات برنامجه الإذاعي إلى كتاب بعنوان:

---

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز للرحمة (٣٧، ٤٥- ٦٠) وكتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز للحمد والموسى (٣٩- ٤١).

(٢) اقتباس بتصرف من: تقديم سماحة المفتي العام للمملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ لكتاب فتاوى نور على الدرب لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (١/ ٤) جمع وترتيب: د. محمد بن سعد الشويعر.

(٣) ذكر منها سماحته في «**مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**» ثلاثة وعشرون مؤلفًا له (١/ ١١، ١٢) وزاد عليها تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (٢٤ عنوانًا) في مقدمة كتاب «**التحفة الكريمة**» (ص٢٠- ٢٦) كان قد أفرد لها محمد يوسف المجذوب كُتيبًا صغيرًا، وقد طبع في حياة سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، كما أفردها بمؤلَّف صالح بن راشد الهويمل بعنوان: «**الإيجاز في سيرة ومؤلفات ابن باز**».

«**فتاوى نور على الدرب**» وطبعته الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء في (٣٥) مجلداً.

كما أصدرت مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية، بعض شروح وتعليقات سماحته على بعض كتب أهل العلم منها: «**تعليق التبصير في معالم الدين**» لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليق سماحته على «**مقدمة تفسير الحافظ ابن كثير مع تعليق على تفسيره لسورة الفاتحة**» وشرح «**عمدة الأحكام**» للحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب«**الواسطية**» و«**العقيدة الحموية**» كلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، وشرح كتاب «**كشف الشبهات**» وشرح كتاب «**القواعد الأربع**» وتعليقات على كتاب «**فضل الإسلام**» وشرح كتاب «**التوحيد**» وشرح كتاب «**الأصول الثلاثة**» جميع هذه الكتب الخمسة الأخيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وتعليقات سماحته على كتاب «**وظائف رمضان**» تلخيص ابن قاسم العاصمي رَحِمَهُ اللَّهُ، من لـ«طائف المعارف» لابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، وغيرها.

كما أشرفت المؤسسة على ما صدر من بعض مخطوطات سماحته منها: ما اعتنى به تلميذه الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، كـ«**التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة**» و«**تحفة أهل العلم والإيمان بمختارات من الأحاديث الصحيحة والحسان**» و«**تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان**» وغيرها.

وتعليقات سماحته على كتاب التقريب للحافظ ابن حجر، بعنوان: «**النكت على تقريب التهذيب**» بتحقيق: د. عبد الله بن فوزان الفوزان، وكتاب «**الفوائد العلمية من الدروس البازية**» الذي جمعه معالي الشيخ الدكتور عبد السلام بن عبد الله السليمان، من دروس عامي (١٣٩٨، ١٣٩٩هـ).

۞ زوجاته وعقبه ووفاته:

تزوج رَحِمَهُ اللَّهُ أربع نسوة: أولى زوجاته تزوجها عام ١٣٥٤هـ وطلقها عام ١٣٥٦هـ ولم ينجب منها، **ثاني زوجاته** تزوجها عام ١٣٥٧هـ وهي أم أولاده الكبار: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وثلاث بنات، **وثالث زوجاته هي:** ابنة عمه، مكثت عنده ستة أشهر، ثم طلقها، ولم تلد له، ذكرها تلميذه عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، في ترجمته له نقلًا عن الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، **ورابع زوجاته** تزوجها عام ١٣٨٦هـ وهي أم أولاده الصغار، أحمد، وخالد، وثلاث بنات، وبهذا يُعلم أن سماحته قد تزوج أربع نسوة أنجب من الاثنتين أربعة أبناء، وست بنات، فمجموع ذريته: عشرة، أسبغ الله عليهم النعم، وكفاهم الله الشرور والنقم، وجعلهم خير عقب لخير سلف بارين بوالديهم، آمين، آمين[(١)].

۞ وفاتـه:

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من شهر محرم الحرام سنة عشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، بمدينة الطائف (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ) ونقل جثمانه إلى مكة وغسل في بيته هناك، وصلي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة الجمعة، وقبر في مقبرة العدل، عن عمر يناهز التسعين عامًا، رحمه الله رحمة واسعة، وجعل الجنة مثواه، آمين.

---

(١) ينظر: الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز (ص٣٤، ٣٥) والإبريزية في التسعين البازية للشتوي (ص٢١) وترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز للقاسم (ص٢٣).

شرح

الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

إجازة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه اللَّه لطباعة حاشيته على هذا الكتاب

من عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ علي بن صالح المري، والإبن أحمد بن عبد العزيز بن باز وفقهما اللَّه لكل خير آمين.

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته وبعد:

فلا مانع من طبع حاشيتنا على كتاب «**ثلاثة الأصول**» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بعد أن تم عرضها عليّ، شكر اللَّه سعيكما، وبارك في جهودكما، وأعانكما على كل خير.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء
وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

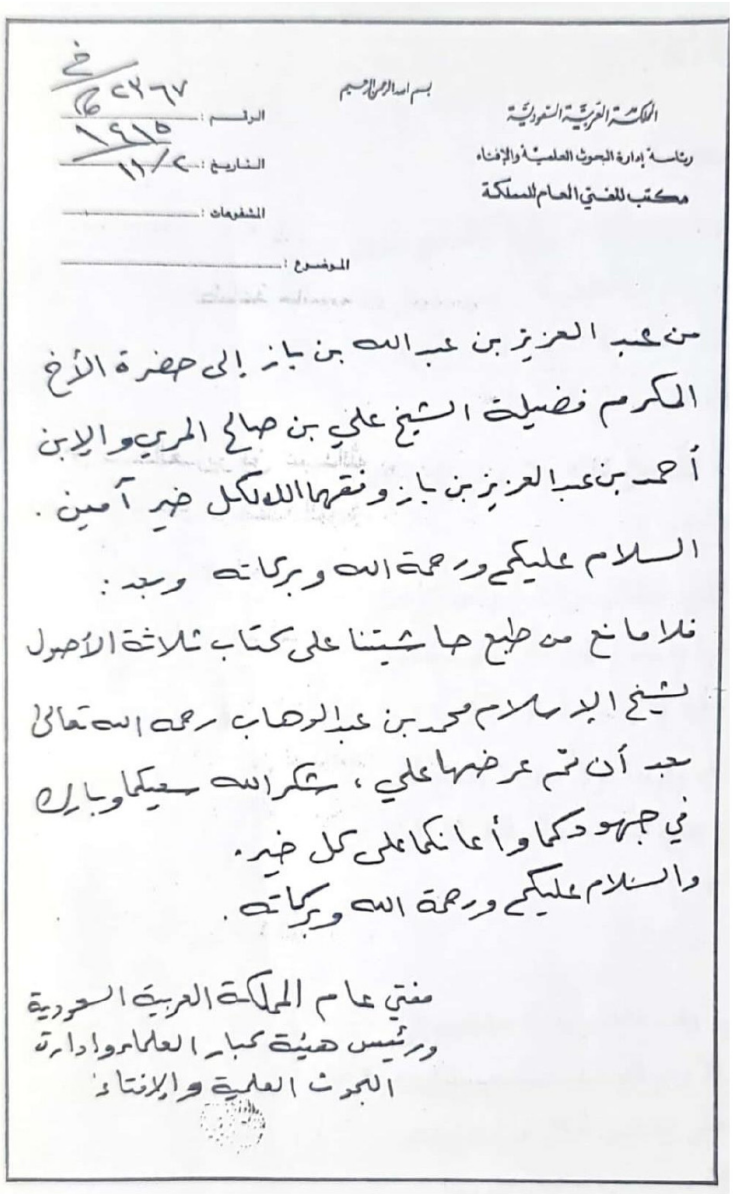

المملكة العربية السعودية
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام للمملكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: ٦٢٧٦ في ١٤١٥/١١/٢
التاريخ:
المشفوعات:
الموضوع:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ علي بن صالح المري والد ابن أحمد بن عبد العزيز بن باز وفقهما الله لكل خير آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فلا ما نع من طبع حاشيتنا على كتاب ثلاثة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بعد أن تم عرضها علي، شكر الله سعيكما وبارك في جهودكما وأعانكما على كل خير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مفتي عام المملكة العربية السعودية
ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة
البحوث العلمية والإفتاء

مُقَدِّمَة

الحمد لِلَّهِ، وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسُولِ اللَّهِ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فيطيبُ «**لمؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يديِّ القارئ الكريم شرح سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب «**ثلاثة الأصول**»، الَّذي ألَّفه الإمام المجدِّد الشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك ضمن إصداراتها لسلسلة شروح، وتعليقات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ على كتب أهل العلم.

وكتاب «**ثلاثة الأصول**» هو كتاب موجز اللَّفظ عظيم النفع، عرَّف فيه المؤلِّف العبد المسلم بربِّه، ودينه، ونبيِّه - عليه الصَّلاة والسَّلام - مُدعمًا أقواله بنصوص الكتاب والسُّنَّة.

وقد اعتنى أهل العلم بهذا الكتاب؛ فشرحوه وبيَّنوا معانيه، وممَّن اعتنى به كثيرًا سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ حيث شرحه مرارًا في دروسه العلميَّة؛ فجلَّى معانيه، وبيَّن مراميه بألفاظٍ وعباراتٍ واضحة، وأسلوب سهل؛ لذا رأت المؤسسة ضرورة إعادة طبع هذا الشَّرح حتَّى يعم نفعه جميع المسلمين.

علمًا بأنَّ هذا الشَّرح هو تفريغ من أشرطة تسجيل صوتي لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وكان قد فرغ في حياة الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وعُرض عليه، فأجازه، وأذن في طبعه لفضيلة الشيخ علي بن صالح بن عبد الهادي

المري، وابنه الشَّيخ أحمد بن عبد العزيز بن باز ـ وفقهما اللَّهُ لكل خير ـ.

والطَّبعة الثَّانية منه صدرت محقَّقةً منقَّحةً؛ مستدركين فيها ما وقع في النَّسخة الأولى من أخطاء مطبعيَّة وإملائيَّة، مع الالتزام برسم المصحف في إيراد الآيات، والأحاديث مضبوطة بالشكل مع تخريجها في الحاشية، وعزو التقولات لمصادرها، والعناية بحسن الإخراج.

وهذه الطبعة الثالثة من الكتاب اختصرنا فيها التخريجات مع إلحاق ترجمة موجزة لسماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ.

نسألُ اللَّهَ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي كل من سعى لإخراجه خير الجزاء، وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن محمد آل الشيخ حفظه اللَّه، وفريق العمل بالرئاسة على ما يبذلوه من جهد في مراجعة هذه المادة، ومطابقتها بأصولها، كما نسأله أن يجعله من العلم النافع الَّذي يجري أجره على شيخنا في قبره، وأن يُضاعف له المثوبة والأجر، ويُعلي منزلته فِي الآخرة، ويجمعنا به فِي الفردوس الأعلى، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مؤسسة
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

تعريف الشَّارح بثلاثة الأصول ومؤلفها

هذه رسالة مُهمَّة في العقيدة ألَّفَها الشَّيخُ أبو عبدِ اللَّهِ محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن عليٍّ التَّميميُّ الحنبليُّ الإمام المشهورُ المجدِّد لما انْدَرَسَ من معالم الإسلام في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّاني عشر رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرم مثواه.

وقد كان رَحِمَهُ اللَّهُ يُلقِّنُ الطَّلبة والعامَّة هذه الأصول؛ ليدرسوها ويحفظوها، ولتستقرَّ في قلوبهم؛ لكونها قاعدة في العقيدة.

وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة، وقد كانت وفاته سنة ستٍّ ومائتين وألفٍ من الهجرة، فقد عُمِّر إحدى وتسعين سنةً، وكان عُمرًا مَليئًا بالخير والدَّعوة إلى اللَّهِ، والتَّعليم والإرشاد، والصَّبر على ذلك[(١)].

وقد أنقذ اللَّهُ به العباد والبلاد في زمانه في هذه الجزيرة، وانتشرت دعوته بعد ذلك في غيرها من الشَّام، ومصر، والعراق،

(١) وقد حاضر، وكتب الشَّارح رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشَّيخ محمَّد سيرته ودعوته الإصلاحية، وردَّ على شبه بعض المناوئين له. ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٣٥٤- ٣٨٤) و«فتاوى نورعلى الدرب» من جمع الطيار والموسى (١/ ١٩- ٢٥، س٦، وس٧) و«فتاوى نور على الدرب» بعناية الشويعر (٣/ ١٣٨-١٥٤).

والهند وغيرها، بسبب الدُّعاة الَّذين حملوا عنه العلم، وانتقلوا إلى تلك البلدان والدُّولِ، وبسبب الكتب الَّتي انتشرت منه رَحِمَهُ اللَّهُ ومن أتباعه وأنصاره والدُّعاة التَّابعين له، في الدَّعوة إلى اللَّهِ.

مقدِّمة المؤلِّف

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبعِ مَسَائِلَ:

الأُولَى: العِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.

الثَّانِيَةُ: العَمَلُ بِهِ.

الْثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى[(١)]: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ»[(٢)].

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [مُحَمَّد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ»[(٣)].

---

(١) ستأتي ترجمته، وترجمة الإمام البخاري فِي كلام الشَّارح عند شرح كلامهما رحمهما اللَّه تعالى في (٢٨، ٢٩).

(٢) تفسير الشافعي (٣/ ١٤٦١).

(٣) كتاب العلم، وهو الباب العاشر فيه (ص٣٨) طبعة بيت الأفكار الدولية.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه المسائلُ: يجبُ أن يتعلَّمها المؤمنُ والمؤمنةُ الصغير والكبير:

الأولى: العلم: فعلى الإنسان: أن يتعلَّمَ ويتبصَّرَ حتَّى يكون على بيِّنةٍ، ويَعرفَ دينَ اللَّهِ الَّذي خُلِقَ مِن أجلِهِ، وهذا العلم هو: معرفةُ اللَّهِ، ومعرفةُ نبيِّه، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلَّة،

أوَّلُ شيءٍ: أن يتبصَّر العبدُ: مَنْ هو ربُّهُ؟

فيعرف أنَّ ربَّهُ الخالق الَّذي خلقهُ ورزقهُ، وأسدى إليه النِّعمَ، وخلق مَنْ قَبلهُ، ويخلقُ مَنْ بعدَهُ، وأنَّهُ الإله الحقُّ المعبود، الَّذي لا يستحقُّ العبادةَ سواهُ أحدٌ، لا ملكٌ مُقَرَّبٌ، ولا نبيٌّ مرسلٌ، ولا جنٌّ، ولا إنسٌ، ولا صنمٌ، ولا غير ذلك؛ بل العبادةُ حقٌّ لِلَّه وحده، فهو المعبود بحقٍّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهو المستحقُّ بأن يُعبدَ، وهو ربُّ العالمينَ، وهو ربُّكَ وخالقُكَ وإلهُكَ الحقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا هو **الأصل الأوَّل**: أن تعرف ربَّكَ.

الأصل الثَّاني: أن تعرفَ نبيَّكَ، وهو: محمد بن عبدِ اللَّهِ بن عبدالمطَّلب الهاشميُّ القرشيُّ المكِّيُّ، ثُمَّ المدني عليه الصَّلاة والسَّلام، فتعرفَ أنَّهُ نَبيُّكَ، وأنَّ اللَّهَ أرسلَهُ إليكَ بدين الحقِّ يُعلِّمكَ ويُرشدكَ، فتؤمن بأنَّهُ رسولُ اللَّهِ حقًّا، وأنَّ اللَّهَ أرسله للعالمينَ جميعًا من الجنِّ والإنس، وأنَّ الواجبَ اتِّباعُهُ والسَّيرُ على منهجه.

الأصل الثَّالث: أن تعرف دينَكَ بالأدلَّةِ، قال اللَّهُ وقال الرَّسُول، لا بالرَّأي، ولا بقول فلان؛ بل بالأدلَّةِ من الآيات والأحاديث، وذلك هو دينُ الإسلام الَّذي أنت مأمور بالدُّخولِ فيهِ، والالتزام به.

وهو عبادةُ اللَّهِ الَّذي قال فيها ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] هذه العبادةُ: هي الإسلام، وهي طاعةُ اللَّه ورسولِهِ، والقيامُ بأمر اللَّهِ، وتركُ مَحارمِهِ.

هذه هي العبادةُ الَّتي خُلق النَّاسُ لأجلها، وأمرهم اللَّهُ بها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] يعني: اعبدُوهُ بطاعَةِ أوامرِهِ، واجتنابِ نواهِيهِ، وإسلام الوجهِ لَهُ، وتخصيصه بالعبادة ﷻ، ـ وسيأتي بيان هذه الأصول الثَّلاثةِ ـ.

الثَّانية: العملُ بهِ: أي: أنْ تعمل بهذا الدِّين من صلاة، وصوم، وجهاد، وحجٍّ، وإيمانٍ وتقوى؛ لأنَّكَ مخلوقٌ لعبادةِ اللَّهِ، فَعليك أن تعلم ـ دينَ اللَّهِ ـ وتعملَ بِهِ، فَتعبُدَ اللَّهَ وحده، وتُقيم الصَّلاة، وتؤدِّي الزَّكاة، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيت، وتؤمنَ باللَّهِ وملائكتِهِ، وكُتبِهِ، ورسلِهِ، وباليوم الآخرِ، وبالقدَرِ خيره وشرِّهِ، وتأمرَ بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ، وتبرَّ والديكَ، وتصلَ الأرحامَ، إلى غير ذلك، فتعملَ بما أمرك اللَّهُ بِهِ، وتنتهي عمَّا نهاك اللَّه عنهُ وتترك المعاصيَ الَّتي أنت نُهيتَ عنها، وتفعلَ الواجباتِ الَّتي أُمِرْتَ بِهَا.

الثَّالثةُ: الدَّعوةُ إليه: أي: أن تدعو إلى هذا الدِّين، فتنصحَ النَّاسَ بأنَّ يستقيموا عليه وتُرشدهم، وتَأمرهم بالمعرُوفِ، وتنهاهم عَنِ المنكر، هذه هي الدَّعوةُ إلى دينِ الإسلام، فعلى كُلُّ مسلم أن يدعوَ إلى اللَّهِ حسب طاقته وعلمه، فَكُلُّ واحدٍ ـ رجلٍ أو امرأةٍ ـ عليه قِسطٌ من هذا الواجبِ، من التَّبليغ والدَّعوة والإرشاد والنَّصيحةِ.

وأن يدعوَ إلى توحيدِ اللَّهِ، والصَّلاةِ والمُحافظَةِ عليها، والزَّكاةِ وأدائِها، وصَومِ رمضانَ، وحجِّ البيت مع الاستطاعة، وبرِّ الوالديْنِ، وصلة الأرحامِ، وترك المعاصِي كُلِّهَا.

الرَّابعةُ: الصَّبرُ على الأذى فيه: أي: يَصبرُ على الأذى في هذه الأشياء، فقد يحصلُ للإنسانِ أذى، قد يتعبُ من المدعُو أو من غيرِهِ كأهلِهِ، فالواجبُ الصَّبر واحتسابُ الأجرِ عند اللَّهِ.

فالمؤمنُ يَصبرُ على إيمانِهِ باللَّهِ، وعلى العملِ بما أوجبَ اللَّهُ عليه، وترك ما حرَّمَ اللَّهُ عليه، وَيَصبرُ في الدَّعوَةِ إلى اللَّهِ، والتَّعليم والأمرُ بالمعرُوفِ والنَّهي عَنِ المنكَرِ.

فلا بُدَّ من الصَّبر في هذه الأمور كُلِّها، فالدِّين كُلُّه يحتاجُ إلى صبرٍ، صبرٍ على دعوة اللَّهِ وحدَهُ، وصبرٍ على أن تصلِّي، وتزكِّي، وتصومَ، وتحجَّ، وتأمرَ بالمعرُوفِ وتنهى عَنِ المنكَرِ، وصبرٍ عَنِ المَحَارم والسَّيِّئاتِ، فتحذَرَ مِنْ قُربهَا، فالإنسانُ إذا لم يصبرْ وقع فيما حرَّم اللَّهُ عليه، أو تركَ ما أوجبَ اللَّهُ عليه؛ ولهذا قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال سُبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطُّور: ٤٨] وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] يعني: اصبِرُوا على طاعَةِ اللَّهِ، وتركِ معصيتِهِ، واحذرُوا مخالفةَ أمرِهِ وارتكابَ نَهيِهِ.

والدَّليلُ على هذه المسائل الأربع، قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١-٣] ففي هذه السُّورةِ العَظيمةِ، الحُجَّةُ؛ لهذه الأُمُورِ، وهذا هو الدِّينُ كُلُّه، فالدِّينُ كُلُّهُ إيمانٌ وعملٌ ودعوةٌ وصبرٌ.

إيمانٌ بالحقِّ، وعملٌ به، ودعوةٌ إليهِ، وصَبرٌ على الأَذَى فِيهِ، والنَّاسُ كُلُّهُم في خسارةٍ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] أي: الَّذين استثناهم اللَّهُ، فجميعُ بني

آدمَ في خسرانٍ، وعلى طريق الهلاكِ إلَّا الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ، وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصَّبرِ.

وهؤلاء هُمُ الرَّابحُونَ، وهُمُ السُّعداءُ، وقد أقسم اللَّه على هذا بقوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ وهو الصَّادقُ ﷻ، وإنْ لم يقسمْ؛ ولكن أقسم لتأكيد المقام.

واللَّه ﷻ يُقسم بما شَاءَ من خَلقِهِ، فَلا أحدَ يتحجَّرُ[(١)] عليه، فأقسم بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ [البُرُوج: ١] وأقسمَ بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ [الطّارق: ١] وبـ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ [الضّحىٰ: ١] وبـ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ [الشّمس: ١] وبـ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [اللّيل: ١] وبـ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ [النَّازعَات: ١] وغير ذلك؛ لأنَّ المخلوقاتِ تدلُّ على عظمتِهِ، وعلى أنَّهُ سُبحَانَهُ هو المُستحقُّ للعبادةِ، وأقسمَ بهَا لبيانِ عِظمِ شأنِ هذهِ المخلوقات الَّتي تدلُّ على وحدانيَّته، وأنَّهُ المستحقُّ للعبادَةِ وحدَهُ.

وأمَّا المخلوقُ فليس له أن يقسمَ إلَّا بربِّه، فلا يُقسمَ ولا يحلفَ إلَّا باللَّهِ، ولا يجوزُ له أن يحلِفَ بالأنبياءِ، ولا بالأصنَامِ، ولا بالصَّالحينَ، ولا بالأمانَةِ، ولا بالكعَبةِ، ولا بغيرهَا.

هذا هو الواجب على المسلم؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» أخرجه الإمام أحمد[(٢)] بإسناد صحيح.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصمِتْ**»[(٣)].

---

(١) من الحجر، وهو: المنع، حجره، بمعنى: منعه من الشيء، ينظر: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي، مادة: [حجر] باب الرَّاء، فصل الحاء (ص٣٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٧، ٢/ ٣٤ برقم ٣٢٩، ٤٩٠٤) عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه.

(٣) أخرجه عن ابن عمر رضي الله عنهما البخاري، برقم (٢٦٧٩) ومسلم، برقم (١٦٤٦).

فالواجبُ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ الحذَرَ من الحلفِ بغيرِ اللَّهِ، وأن تكون أيمانهم كُلُّهَا باللَّهِ وحدَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقولُ الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو الإمامُ المشهورُ، أحدُ العُلمَاءِ الكبارِ، وأحدُ الأئمةِ الأربعةِ، وهو: محمَّد بن إدريس الشَّافعيِّ المطلبيُّ، المولودُ سنَّة خمسين ومئة، وتوفِيَّ سنة أربع ومئتين هجرية(١).

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ**» وفي رواية: «**لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتْهُمْ**» أي: لو نظروا فيها وتأمَّلوها لكانت كافيةً في إلزامهم بالحقِّ، وقيامهم بما أوجبَ اللَّهُ عليهم، وترك ما حرَّمه عليهم؛ لأنَّ اللَّهَ بيَّنَ أنَّ الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ وتواصوا بالحقِّ، وتواصوا بالصَّبر هُمُ الرَّابحون، ومَنْ سواهم خاسرون.

وهذه حُجَّةٌ قائمةٌ على وجوبِ التَّواصي، والتَّناصح، والإيمانِ، والصَّبر، والصِّدق، وأنَّهُ لا طريق للسَّعادة والرِّبح إلَّا بهذه الصِّفات الأربع: إيمان صادق باللَّهِ ورسولهِ، وعملٍ صالحٍ، وتواصٍ بالحقِّ، وتواصٍ بالصَّبر.

و**قال البُخاريُّ** رَحِمَهُ اللَّهُ: هو أبو عبداللَّهِ محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البُخَاريُّ، من بُخارى في الشَّرق الأقصى، ولد سنة أربع وتسعين ومئة في آخر القرن الثَّاني، ومات سنة ستَّ وخمسين ومئتين من الهجرة في وسط القرن الثَّالث، كان عُمرُهُ ـ عند وفاته ـ اثنتين وستين سنة، وهو صاحب "الصَّحيح" وله مؤلَّفاتٌ أخرى عظيمةٌ نافعةٌ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢).

---

(١) ينظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨/ ٣٧٩- ٤٢٩ ترجمة رقم ١٥٣٩).

(٢) ينظر: للمزيد من ترجمته وسيرته «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٢٧٣ ترجمة رقم ٢١٣٦).

يقول: في «صحيحه[١]» باب: العلمُ قَبلَ القولِ والعملِ؛ لقول اللَّهِ سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩].

فبدأَ بالعلم قبلَ القولِ والعملِ، فالإنسانُ عليه أن يتعلَّم أولًا، ثُمَّ يعملَ، فيتعلَّمَ دينهُ ويعملَ على بصيرةٍ، واللَّهُ أعلمُ.

(١) في كتاب العلم (ص٣٨) وهو الباب العاشر بين رقمي ٦٧، ٦٨.

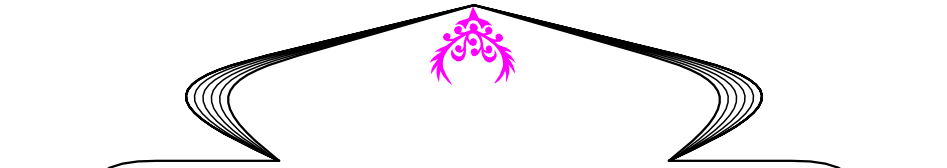

توطئة للأصل الأوَّل

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ ـ رَحِمَكَ اللَّهُ ـ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ مَسَائِلَ، وَالعَمَلَ بِهِنَّ:

الأُولَى: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا؛ بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾ [المُزّمل: ١٥-١٦].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَن يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ، لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَالدَّلِيلُ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجنّ: ١٨].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللَّهَ، لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه المسائلُ الثَّلاثُ من أهمِّ المسائلِ الَّتي تتعلَّق بالتَّوحيدِ للَّه وَحُقُوقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

المسألةُ الأولى: اللَّهُ خلقَ الخلقَ ليعبدُوهُ، فلم يخلُقهم هملًا، ولا سُدًى، ولا عبثًا؛ لكنَّهُ خلَقهم لأمرٍ عظيم، ولحكمةٍ عظيمةٍ، فيهَا سعادَتُهُم، ونجاتُهُم، وهي: أَن يعبدُوا اللَّهَ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

وهذه العبادة أمرهم بها في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وقوله: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] وفي قوله: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] وقوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

أمَرَهم في آياتٍ كثيرةٍ بالعبادَة، وهي توحيدُهُ ـ جلَّ وعلا ـ، وتخصيصه بالعبادَةِ: من دُعاءٍ، وخَوفٍ، ورَجاءٍ، وتوكُّلٍ، ورَغبةٍ، ورَهبةٍ، وصَلاةٍ، وصَومٍ، وغير ذلك.

فهو المستحقُّ للعبادَةِ جلَّ وعلا دون كُلِّ ما سواهُ، ويدخلُ في ذلكَ فِعلُ الأوامرِ، وتركِ النَّواهِي، فأداءُ الأوامِرِ الَّتي أمركَ اللَّهُ بها ورسولُهُ، وتركُ النَّواهِي الَّتي نهَاك اللَّهُ عنها ورسولُهُ، كُلُّ هذا داخلٌ في العبادَةِ، وهذا هو الإسلامُ، وهو الدِّينُ، وهو الإيمانُ وهو الهُدَى.

فلا تُصَلِّ إلَّا لِلَّهِ، ولا تركعْ إلَّا له، ولا تذبحْ إلَّا له، ولا تدعُ إلَّا إيَّاهُ، ولا تتوكَّلْ إلَّا عليه، إلى غير هذا مِنَ العِبَادَاتِ.

أمَّا الاستعانَةُ بحاضرٍ قادرٍ فِيَما يَقدِرُ عليه، فهذا ليس بعبادةٍ، كما قال سُبحانَه في قصَّة موسى ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ

عَدُوِّهِۦ﴾ [القَصص: ١٥] فَإِنَّ مُوسى قادرٌ على أن يُغيثه.

أمَّا دُعاءُ المَّيتِ، ودُعاءُ الغَائبِ الَّذي لا يَسْمَعُ كلامَك، أو دُعاءُ الصَّنم، أو الجِنِّ، أو الأشجارِ ونحوهَا، فهذا شِرْكُ المشركين، وهو الشِّركُ الأكبرُ الَّذِي قال اللَّهُ فيه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمَان: ١٣] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

فاللَّهُ خَلقنَا وَرَزَقنَا، ولم يَتْرُكْنَا هملًا؛ بل أمرنا بتوحيده، وطاعته، وترك معصيته.

وأرسلَ إلينا رسولًا هو: محمَّد ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ بكلِّ ما تقدَّم، وأنزلَ عليه القرآنَ بذلك؛ لِنَسْتَقِيمَ على ما فيه من الهُدَى، ونَعْمَلَ بما فيه من الأوامر، ونَنْتَهِي عمَّا فيه من النَّواهِي، على يدِ مُحمَّدٍ رسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاتَم النَّبيِّين والمُرسَلِينَ، جاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهم، فهو خَاتَمُ الأنبياءِ وإمَامُهُم وأفضلُهُم.

فمن أطاعَ هذا الرَّسُول واستقام على دينهِ فله الجنَّةُ، ومَنْ عصى هذا الرَّسولَ، وحَادَ عَنْ دِينِهِ فله النَّارُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ [المُزّمل: ١٥] يعني: بأعمالِكُم ـ التي شاهدها ـ: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ وهو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المُزّمل: ١٦] أي: أخذنا فرعونَ أخذًا وبيلًا في الدُّنيا بالغرقِ، وفي الآخرةِ بالنَّار.

المسألةُ الثَّانيةُ: إنَّما هي تحقيقٌ للمسألةِ الأولى ـ وهي ـ: أن تَعْلَمَ أنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أن يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ في عِبَادَتِهِ، كَمَا أنَّهُ الخَالِقُ

الرَّازقُ المُحيي المُميت، الَّذي خَلقكَ، وأعطاك النِّعَمَ، فهو سُبحانَه لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ من الخلق؛ لا نبيٌّ مرسلٌ، ولا ملكٌ مقرَّبٌ، ولا غيرهما؛ لأنَّ العبادَةَ حقٌّ لِلَّهِ وحدَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] وكما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] لأنَّ الإشراكَ به هو أعظمُ الذُّنوبِ.

وقد جاء في الآيات الكثيرةِ، الأمرُ بإخلاص العبادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، والنَّهي عن عبادَةِ ما سِواهُ، فتجمع بين أمرين، فتؤمن بأنَّ اللَّهَ هو الخَالقُ الرَّازقُ المُحيي المُميتُ، وتؤمنُ بأنَّه سُبحانَهُ هو المُستحقُّ لِلعَبادَةِ مِنْ ذَبح، وصَلَاةٍ، وصوم وغير ذلك مِنَ العبادَاتِ، كما قال سُبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨].

المسألةُ الثَّالثةُ: وهي مِن أهمِّ الوَاجبَاتِ، أن يعلم كل مسلم ومسلمة أنَّهُ لا يجوز موالاة المشركين، أو محبتهم، فكلُّ من أطاعَ اللَّه ورسولَه ووحَّد اللَّهَ ـ جلَّ وعلا ـ يلزمه أن يُعادي الكُفَّارَ، ويُبغضَهُم في اللَّهِ، ولا يجوز لَهُ موالاتُهُم ومحبَّتُهُم، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ أي: لَا تَجِدُ يَا مُحَمَّدُ قَومًا أهلَ إِيمَانٍ صادقٍ: ﴿يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجَادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المَائدة: ٥١] وقال ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [المُمتَحنَة: ٤].

فَلا بُدَّ من البَغضاءِ والعدَاوَةِ لأعداءِ اللَّهِ، وَمَودَّةِ المؤمنينَ

ومحبَّتِهم، هكذا المؤمنُ يُحِبُّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، ويواليهم، ويَكرَهُ أعداءَ اللَّهِ، ويُبغضُهُم ويُعادِيهم في اللَّهِ، وإن دَعاهُمْ إلى اللَّهِ، وإن أقرَّهُمْ في بلادِهِ وأخذ منهم الجزيَةَ، كوليِّ الأمرِ؛ لأنَّ الرَّسول ﷺ «**أَخَذَ الجِزْيَةَ مِنَ اليَهُود وَالنَّصَارَى وَالمَجُوس**»(١)، وأخذ الجزية منهم فيها عونٌ للمسلمينَ، لَا مَحَبَّة لَهُمْ، وتؤخذ الجزية منهم إذا لم يدخلوا في الإسلام، ولا يُقاتلون؛ بل يُقَرُّونَ مع بُغضِهم في اللَّهِ، وعدمِ مُوالاتِهم.

فإنْ أَبَوْا الإسلامَ والجزيةَ قُوتِلُوا مع القدرةِ، وهذا خاصٌّ بأهلِ الكتابِ والمجوسِ، أمَّا بقيةُ الكُفَّارِ، فَلَا تُقبَلُ منهم الجزيةُ؛ بل يُقَاتَلُونَ حَتَّى يَدخُلُوا في الإسلام، كَالوَثنيِّينَ والشُّيوعيِّينَ وغيرهم من أصنافِ الكفرةِ؛ لقولِ اللَّهِ سُبحَانَهُ: ﴿**وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩] وقوله سبحانه: ﴿**فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: ٥] وقوله سبحانه: ﴿**ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [التوبة: ٤١] والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ.

وَمُرَادُهُ سُبحَانَهُ قِتَالهم، مع القدرة على ذلك؛ لقوله ﷻ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله سبحانه: ﴿**فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦] ولأنَّهُ ﷺ لم يقاتل المشركين حتَّى قَوِيَ على

(١) تؤخذ من اليهود والنصارى لقوله: ﴿**وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ**﴾ [التوبة: ٢٩] وأما المجوس فلقوله ﷺ: «**سُنُوا بِهِم سُنَّةَ أَهْلِ الكِتَابِ**» أخرجه عن عبد الرحمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٣١٥٧-٣١٥٩) ومسلم، برقم (١٧٣١).

ذلك. ثُمَّ قال تعالى في آخر الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي: قوَّاهم بقوة منه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦] وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِي.

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النّساء: ٣٦]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ» جمع رَحِمَهُ اللَّهُ بين التعليم والدُّعاءِ «أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَةَ إِبْرَاهِيمَ» هي: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّه وَحْدَه مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ» وهي الَّتي قال اللَّه فيها لنبيِّه ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النّحل: ١٢٣].

فالحنيفية هي: الملة الَّتي فيها الإخلاص للَّه وموالاته، وترك الإشراك به سبحانه، والحنيفُ: هو الَّذي أقبلَ على اللّه، وأعرض عَمَّا سواه، وأخلص له العبادة، كإبراهيم[1] وأتباعه، وهكذا الأنبياء وأتباعهم.

(١) وسمي إبراهيم حنيفًا لأنَّه حنف عن الباطل إلى الحق، وعمَّا كان يعبد أبوه وقومه من عبادة اللآلهة إلى عبادة الله وحده... ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، مادة: [حنف] باب الحاء مع النون (ص٢٣٦).

قال: «وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا» فَأَمَرَهُمْ بالتَّوحيد والإخلاص، وخلقهم ليعبدوه، وأمرهم بأنْ يَعبدوه وحده في صلاتهم، وصومهم، ودعائهم، وخوفهم، ورجائهم، وذبحهم، ونذرهم، وغير ذلك من أنواع العبادة، كُلُّه للَّه، كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] هذه العبادة هي التي خُلق لها الثقلان الإنس والجنُّ، وهي: توحيد اللَّه، وطاعة أوامره، واجتناب نواهيه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦] يعني: يوحدوني في العبادة، ويخصوني بها، بفعل الأوامر، وترك النَّواهي إلى غير ذلك من الآيات.

«وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ» فتقصده بالعبادة دون كل من سواه، فلا تعبد معه صنمًا، ولا نبيًّا، ولا ملكًا، ولا حجرًا، ولا جنيًّا، ولا غير ذلك.

«وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ» وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وفي «الصَّحيحين» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ **قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ، قِيلَ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ، قِيلَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»**[(١)]

(١) أخرجه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٤٤٧٧) ومسلم، برقم (٨٦).

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّ الشِّركَ أعظم الذُّنوب وأشدها وأخطرها.

وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «**أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟ قُلنا: بَلَىَ يَا رَسُولَ اللَّهَ؟ قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ**» الحديث، متفق عليه(١).

فالتَّوحيد: هو إفراد اللَّه بالعبادة، **والشِّرك**: هو دعوة غير اللَّه مع اللَّه، تدعوه، أو تخافه، أو ترجوه، أو تذبح له، أو تنذر له، أو غير ذلك من أنواع العبادة.

هذا هو الشِّرك الأكبر، سواء كان المدعو نبيًّا، أو ملكًا أو وليًّا أو صالحًا أو جنيًّا، أو شجرًا، أو حجرًا، أو غير ذلك؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] فـ﴿شَيۡـٔٗا﴾ نكرة في سياق النَّهي، فتعم كلّ شيء، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] فأعظم ما أمر اللَّه به التَّوحيد: وهو إفراد اللَّه بالعبادة، وأعظم ما نهى اللَّه عنه هو الشِّرك باللَّه ﷻ كما تقدَّم؛ ولهذا أكثر ﷻ في القرآن من الأمر بالتَّوحيد، والنَّهي عن الشِّرك.

(١) أخرجه عن أبي بكرة رضي الله عنه البخاري، برقم (٢٦٥٤) ومسلم، برقم (٨٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَة الَّتي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ، هُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هَذِهِ الأُصُولُ الثلاثة الَّتي تَجْمَعُ الدِّينَ كُلُّهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ وهي الَّتي يُسْأَلُ عَنْهَا العبدُ في قَبرِهِ(١).

فَإِذَا سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمينَ بِنعمتِهِ، وهو معبودي، ليس لي معبودٌ سِوَاه، فهو ربّ الجميعِ، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢].

والعالَمُونَ: جميعُ المخلوقات، كلُّهم عالَمُون ـ الجنُّ والإنسُ والبهائمُ، والجبالُ والأشجارُ ـ كلُّها عالمٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ

(١) يشير إلى حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو داود، برقم (٤٧٥٣).
قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٩٥-١٩٧ برقم ٥٣٩٦): «حديث حسن، رواته محتج بهم في الصحيح».

﴿ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤] فَهُوَ رَبُّ الجميع، له الخلقُ وله الأمرُ، وهو المستحقُّ بأنْ يُعبَدَ؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وهو معبودي، ليس لي معبودٌ سواه.

والدَّليل قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] يعني: الثَّناءُ كُلُّهُ للَّهِ، والثَّناءُ والحمد من العبادة.

وكلُّ ما سوى اللَّه عالمٌ، من الجنِّ والإنسِ والحيواناتِ والجبالِ، كُلُّها عَوَالِمُ، وأنَا واحد من ذلك العالم الذي خلقه اللَّه وأوجده، وأوجب عليه طاعته، فعلى جميع العالمين من المكلَّفين من الجنِّ والإنسِ أنْ يُطيعُوا اللَّهَ ورسولَهُ، ويُوحِّدُوه جلَّ وعلا.

وهكذا الملائكةُ عليهم أنْ يعبدوا اللَّه وحده؛ ولهذا قال تعالى عن الملائكة: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التّحْريم: ٦] وقال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبيَاء: ٢٧-٢٨].

بيان الأصل الأول

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخلُوقَاتِهِ، وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمسُ وَالقَمرُ، وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والرَّبُّ: هو المعبودُ، والدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١-٢٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: **الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة»**[2].

---

(١) هو أبو الفداء الحافظ عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي صاحب التفسير والتاريخ المشهور بـ«البداية والنهاية» المتوفى سنة [٧٧٤هـ] ينظر: ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١/ ٢٩ ترجمه ٧) و«الدرر الكامنة في أعيان المائة االثامنة» لابن حجر (١/ ٤٤٥ ترجمة رقم ٩٤٤) و«الأعلام» للزركلي (١/ ٣٢٠).

(٢) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (١/ ١٩٧).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فَإِذَا قِيلَ لَكَ:**» أيُّها المسلم «**بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخلُوقَاتِهِ**»، أي: عرفته بآياته الكثيرة، وبمخلوقاته العظيمة، التي تدل على أَنَّهُ الرَّبُّ العظيمُ، الخلَّاقُ العليم، وأَنَّهُ المستحقُّ لأنْ يُعبدَ، وأَنَّهُ الذي يخلقُ مَا يشاءُ، ويُعطِي وَيَمنعُ، وَيَنفعُ وَيَضُرُّ، بِيَدِهِ كُلُّ شيءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهو الْمُستحقُّ بأَن نعبده بطاعته وَدَعَائِه واستغاثتِه، وَسَائر أعمالنا وعباداتنا؛ لأنَّ اللَّهَ خلقنا لهذا، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

وهذه العبادة، هي: توحيده وطاعته، واتِّباع شريعته، وتعظيم أمره ونهيه قولًا وعملًا.

والدليل على معرفة اللَّه بآياته قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فُصّلَت: ٣٧] كُلُّ هذه تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ رَبُّ العَالَمينَ وَأَنَّهُ الخَلَّاقُ العَليمُ، يُأْتِي اللَّيلَ بِظَلامِهِ، وَيُذهبُ النَّهارَ بِضِيائِهِ، ثُمَّ يَجِيءُ بالنَّهارِ ويُذْهَبُ اللَّيلَ.

وهذه الشَّمسُ تَطْلُعُ على النَّاسِ في الدنيَا كُلِّهَا، وينتفعون بها، وهذا القمر في الليل كذلك، وغير هذه من الآيات العظيمة، كالأرض وما فيها من جبال، وأنهار، وبحار، وأشجار، وحيوانات، وهذه السموات التي يراها النَّاسُ، كلُّهَا من آياته الدَّالَّة على عظمته، وأَنَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ، الخَلَّاقُ الْعَليمُ، الْمُستَحِقُّ للعبادة؛ ولهذا قال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصّلَت: ٣٧] يعني: لا تَعبدُوا هَذِهِ المخلوقات؛ بل اعبدوا الَّذي خلقها، وأوجدها

ﷻ، فهو الْمُستَحِقُّ بِأنْ يذلَّ لَهُ العبدُ، ويَخضعَ، ويُطيعَ أوامرَهُ، ويَنتَهِيَ عَن نَوَاهِيهِ ﷻ؛ تَعظِيمًا وتَقدِيسًا لهُ، وخوفًا مِنهُ، ورغبةً فِيمَا عِنْدَهُ.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: إنَّ ربَّكم أيُّها العباد من الجنِّ، والإنسِ هو اللَّه، وربكم، يعني: خالقكم، وهو معبُودُكم الحقّ وحدَهُ لا شريك له: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: ثم ارتفع على العرش، وعلا فوقه ﷻ.

فَعِلْمُهُ في كلِّ مَكانٍ، وَهُو فَوقَ العَرشِ، فَوقَ جَمِيعِ الْمَخلُوقَاتِ، وَالعَرشُ: سَقْفُ المخلوقاتِ، وهو أَعْلَى المخلوقاتِ، وَاللَّهُ فَوقَهُ جَلَّ وَعَلا، اسْتَوَى عَلَيْهِ، اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلالِهِ، لَا يُشَابِهُ خَلقَهُ في شَيْءٍ مِنْ صِفَاتِهِ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: يُغَطِي هَذَا بِهَذَا، وَهَذَا بِهَذَا، ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: سِريعًا، وكلُّ واحدٍ يَطْلُبُ الآخَرَ، إذا انْتَهَى هَذَا دَخَلَ هَذَا، وَهَكَذَا... حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: وَخَلَقَ الشَّمسَ والقمرَ، ﴿وَٱلنُّجُومَ﴾ خَلَقَهَا ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، مُطِيعَاتٍ، مُذَلَّلَاتٍ لأَمْرِهِ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلقُ له سبحانه، والأَمرُ له، هو الخَلَّاقُ الَّذي لا يُخالَفُ أَمرُهُ الكَوْنِيُّ الَّذِي هُوَ نَافِذٌ في النَّاسِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن

يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠] فَأَمْرُ اللَّهِ الْكَوْنِيُّ الْقَدَرِيُّ لَا رَادَّ لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فـ﴿تَبَارَكَ﴾ يعني: بَلَغَ في البَرَكَةِ النِّهَايَةَ، وَهِيَ صِيغَةٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا للَّهِ، فَلَا يُقَالُ لِلْعَبْدِ: تَبَارَكَ يَا فُلَانُ، هَذَا لَا يَصْلُحُ، وإِنَّمَا هُوَ خَاصٌّ بِاللَّهِ، كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] وإِنَّمَا يُقَالُ لِلْمَخْلُوقِ: بَارَكَ اللَّهُ فِي فُلَانٍ، أَوْ فُلَانٌ مُبَارَكٌ، أَمَّا تَبَارَكْتَ، فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ إِلَّا للَّهِ وَحْدَهُ.

والرَبُّ: هو المعبودُ، وَ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المخلوقاتُ كُلُّها مِن الجنِّ والإنسِ، والسَّماءِ والأرضِ، هو رَبُّهَا ﷻ، وربُّ الجميعِ، وخَالقُ الجَميعِ جَلَّ وَعَلا.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١] خَلَقَ الْجَمِيعَ الَّذِينَ قَبْلَنَا، وَالَّذِينَ بَعدَنَا، مِنْ آدم، ومَا قَبْلَهُ، وَمَا بَعْدَهُ، فهو خلق الجميع لِيَعْبُدُوهُ ويَتَّقُوهُ، كما قال تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢١] ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ بَعْضَ أَفْعَالِهِ، فَقَالَ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البَقَرَة: ٢٢] فَجَعَلَ الأَرْضَ فِرَاشًا لِلنَّاسِ، وَمِهَادًا لهم، عليها يسكنون، وعليها يبنون، وعليها ينامون، وعليها يمشون، وأرساها بالجبال.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البَقَرَة: ٢٢] فجعلها بِنَاءً و﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وزيَّنَهَا بالنُّجُومِ والشَّمسِ والقمرِ ثم قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البَقَرَة: ٢٢] أي: مِن السَّحَابِ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ فأنواع الأرزاق في كل مكان، ويحيي اللَّه به الأرض بعد موتها.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢] أي: أشباهًا ونظراء تعبدونها معه، لا صنمًا، ولا جنًّا، ولا ملكًا، ولا غير ذلك.

فالعبادة: حقُّ اللَّه وحده، ليس له نديد، ولا نظير، ولا مثيل؛ بل هو الإله الحقُّ، وكان المشركون يتخذون له الأنداد، والنظائر، والأمثال من الأصنام والجنّ، والملائكة، ويعبدونهم من دون اللَّه، ويستغيثون بهم، فأنكر اللَّه عليهم ذلك، وبيَّن أنَّ هذه المخلوقات ليس لها حقٌّ في العبادة، ولا قدرة لها على شيء إلَّا بإذن اللَّه سبحانه وتقديره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «الخالق لهذه الأشياء» الخالق لهذه الأشياء من سماء، وأرض، وثمار، وأشجار، ومطر وغير ذلك، «**هو المستحق للعبادة**» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يطاع؛ لأنَّه ربُّ الجميع، وخالقهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣][(١)].

(١) تقدم عزوه في حاشية (٢) صفحة (٤٠).

معنى العبادة وأنواعها

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا، مِثْلُ الإِسْلَامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحسَانِ، وَمِنهُ الدُّعَاءُ، وَالخَوفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذرُ، وَغَيرُ ذَلِكَ مِنَ الْعِبَادةِ الَّتي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا كُلُّهَا للَّهِ والدَّليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ، والدليلُ قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»(١) **والدَّليلُ قَولُهُ تَعَالَى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

العبادة أنواع: فمنها الإسلام بأركانه، فكل ما أمر اللَّه به من أعمال الإسلام عبادة، من صلاة، وصوم، وغير ذلك، وهكذا

(١) أخرجه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الترمذي، برقم (٣٣٧١) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلَّا من حديث ابن لهيعة: وهو ضعيف، إلَّا أنَّ هذا الحديث يشهد له حديث النَّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَة**» لذا عضد به الشَّيخ في شرحه، كما سيأتي في (ص٤٧).

الإيمان بأعماله الباطنة، كالإيمان باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف، والمحبة، والرجاء، إلى غير ذلك، فكل ما يتعلق بالقلوب داخل في العبادة، وهكذا الإحسان: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»(١) وهذا أيضًا من العبادة؛ بل هو أعلى أنواع العبادة وأعظمها.

فالواجب على كلِّ مُكلَّف إخلاص العبادة للَّه وحده، فلا يدعو مع اللَّه الأنبياء، ولا الأولياء، ولا الأصنام، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا النُّجوم؛ لأنَّ العبادة حقٌّ للَّه وحده، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] وقال ﷻ: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فسمى سبحانَهُ دعاءهم شركًا، فالواجب على جميع المُكلَّفين إخلاص العبادة للّه وحده، رجاءً، وخوفًا، واستعانةً، واستغاثةَ، وذبحًا، ونذرًا، وخشيةً للَّه، وصلاةً، وصومًا، إلى غير ذلك، كُلُّه للَّه وحده، فمن تقرَّب لغير اللَّه من وليٍّ، أو نبي، أو صنم، أو

(١) أخرجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٥٠) ومسلم، برقم (٩).

شجر، أو حجر بالدعاء، أو بالذبح، أو بالنذر، أو بالصلاة، أو بالصوم ونحو ذلك، فهو مشرك كافرٌ أشرك باللّه، وعَبَدَ مَعَهُ سواه، كفعل المشركين الأولين، من عُبَّاد القبور، والأشجار، والأحجار، والأصنام؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥-٦٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المَائدة: ٧٢].

فكل هذه العبادات يجب إخلاصها للَّه، ومن صرف منها شيئًا لغير اللَّه من صنم، أو شجر، أو حجر، أو قبر، فهو مشركٌ باللَّه؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ولغيرها من الآيات السابقات، وهذا دليل على ما تقدَّم.

وفي الحديث: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»[(١)] وفي لفظ آخر: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةِ**» ثُمَّ قرأ ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غَافر: ٦٠][(٢)] فسمَّى الدُّعاء عبادة فِي قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ يعني: عن دعائي.

فالدُّعاء: هو أن يضَّرع إلى اللَّه يدعوه، ويسأله النجاة، ويسأله الرِّزق، كل هذا عبادة، فإذا صرفها للصنم، أو للشجر، أو للحجر،

---

(١) تقدَّم تخريجه في (ص٤٥).

(٢) أخرجه من حديث النَّعمان بن بشير ﷺ، أبو داود، برقم (١٤٧٩) والترمذي، برقم (٢٩٦٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجه، برقم (٣٨٢٨) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦٦٧ برقم ١٨٠٢).

أو لميت، صار مشركًا باللَّه ﷻ، فيجب الحذر من الشِّرك كله دقيقه وجليله، وأن تكون العبادة للَّه وحده؛ لكن دعاء الحي الحاضر القادر، والاستعانة به فِي الشيء المقدور عليه، لا بأس به، ولا يعتبر داخلًا في الشِّرك.

فلو قلتَ لأخيك الحاضر: يا عبد اللَّه، أعنِّي على قطع هذه الشجرة، أو على حفر هذه البئر، فلا بأس بذلك، كما قال سبحانه في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ الآية [القَصَص: ١٥] استغاثة الإسرائيلي على القبطي؛ لأنَّ موسى قادر على إغاثته، يتكلم ويسمع.

أمَّا إذا اعتمد على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا اللَّه، حاضرًا، أو غائبًا، أو ميِّتًا، واعتقد أنَّهُ ينفع مَنْ دعاه، أو يضر، لا بالأسباب الحسيَّة، فهذا من الشِّرك باللَّه، كما قال تعالى عنهم أنَّهم قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] فيظنون أنَّهُم يستطيعون بعبادتهم إيَّاهم أنْ يشفعوا لهم عند اللَّه في حصول مطالبهم، أو أنَّهم يقربونهم إلى اللَّه زلفى، كما قال اللَّه سبحانه عنهم في الآية الأخرى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] وهذا من جهلهم وضلالهم بالشَّافع والمشفوع إليه.

واللَّهُ سبحانه له الشَّفاعة جميعًا، وهو الَّذي يتصرف في عباده كيف يشاء، فلا يأذن بالشَّفاعة إلَّا فيمن يرضى اللَّه عمله، ولا يشفع أحد عنده إلَّا بعد إذنه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

فالشَّفاعة لا تكون إلَّا بإذنه للشَّافع، ورضاه عن المشفوع فيه،

وهو سبحانه لا يرضى بالشَّفاعة إلَّا لأهل التَّوحيد، كما صحَّ عنه ﷺ أنَّه قال: لَمَّا سأله أبو هريرة رضي الله عنه قائلًا: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**» أخرجه البخاري في «صحيحه»(١).

ولا تكون الشَّفاعة إلَّا لمن رضي اللَّه قولَه وعملَه من أهل التَّوحيد والإيمان.

(١) في كتاب العلم، برقم (٩٩).

ذكر أدلة بعض أنواع العبادة

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وَدَلِيلُ الْخَوْفِ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المَائدة: ٢٣] ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطَّلَاق: ٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ وَالْخُشُوعِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبيَاء: ٩٠].

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المَائدة: ٤٤].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] في الحديث: «**... إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...**»(١).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١].

---

(١) أخرجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، الترمذي، برقم (٢٥١٦) وقال: «حسن صحيح».

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] **ومن السُّنَّة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»**(١).

وَدَلِيلُ النَّذر قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ذاكرًا أدلَّة بعض أنواع العبادة، منها: الخوف، وهو أقسام ثلاثة:

الأوَّل: خوف السِّرِّ، وهذا خاص باللّهِ؛ لأَنَّهُ القَادرُ على كلِّ شيءٍ، وهو الَّذِي يُخافُ، وَيُخْشَى، كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبَة: ١٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المَائدة: ٤٤].

فالواجب خشيَّةُ اللَّه وخوفه؛ لأنَّه مُصرف القلوب ومقلبها، والقادر على كُلِّ شيءٍ، وهو الَّذي ينفع ويضر، ويعطي ويمنع.

فالواجب تخصيصه بالخوف، وألَّا يخاف هذا الخوف - السِّرِّ - إلَّا من اللَّه في كلِّ الأمور.

وخوف السِّرِّ يختص به سبحانه، وهو كون الإنسان يخاف من أجل قدرة خاصّة سرِّيَّة، ليست حسب الحس، ولذلك يعتقد عُبَّاد القبور أنَّ بعضَ النَّاس له القدرة على التَّصرف فِي الكون مع اللَّه

(١) أخرجه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مسلم برقم (١٩٧٨).

ـ جَلَّ وعَلا ـ، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام، والجنّ وغيرها، وهذا هو الشِّرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أنَّ لهم القدرة على العطاء، والمنع، وزيغ القلوب، وموت النُّفوس دون أسباب حسيَّة.

الثَّاني: خوف الأسباب الحسيَّة، كما قال تعالى في قصة أُحُد، لما قيل للنَّبِيِّ ﷺ: إنَّ المشركين قد جمعوا لكم، وسيرجعون إليكم: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥].

فالشَّيطَانُ: يُخَوِّفُ النَّاس من أوليائهِ، وَيُعظِّمُهُم في صدورِ النَّاسِ حتّى يخافوهم، واللَّهُ يقولُ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ﴾ بل اعتمدُوا عليَّ، وأعدوا العُدَّةَ، ولا تُبَالُوا بهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفَال: ٦٠] وهذا الخوف الحسِّيُّ لا بأس به؛ لكن الخوف القلبي خوف السِّرِّ، هذا هو المنهي عنه.

أمَّا الخوف الحسِّيُّ: مثل أنْ يخاف اللِّصَّ، أو السَّارقَ، أو العدُوَّ، فَيَعُدُّ العُدَّةَ من السِّلاح اللَّازم، كلُّ هذا لا بُدَّ منه، لهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النِّسَاء: ٧١] وقال سبحانه في قصة موسى لما خرج من مصر خائفًا من فرعون وقومه: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القَصَص: ٢١].

فإنَّ هذا الخوفَ خوفٌ حِسِّيٌّ لا بأسَ به؛ لكن لا يَجُوزُ خوفُ العدوِّ خوفًا يَمْنَعُ من جهادِهِ، ونصرِ الحقِّ، وإنَّما يَحْمِلُه هذا الخوفُ على الإعدادِ للعدوِّ، وأخذ الحذرِ.

الثَّالث: الخوفُ الطَّبيعيُّ، الَّذي جُبلَ عليه الإنسانُ، وهذا لا حرجَ فيه، مثلُ خوفِ الإنسانِ الحَيَّةَ، والعقربَ، والسَّبع، فيتباعدُ عنها، ويَقتُلها، ويَتباعدُ عن مظنَّةِ السِّباعِ حتَّى لا يَتَأَذَّى بها.

هذا أمرٌ لا بُدَّ منه، واللَّه جَبَلَ النَّاسَ على الخوفِ ممَّا يُؤْذِي حتَّى يتحرَّزَ منهُ، يخافُ البردَ، فيلبسُ الثِّيابَ الغليظةَ، ويخافُ من الجوعِ فيأكُلُ، ويخافُ العطش فيشربُ، هذه أمورٌ طبيعيَّةٌ لا بأسَ بِهَا.

وهكذا **الرجاءُ** عبادةٌ للَّهِ، فيرجُو اللَّهَ، ويُحسِنُ به الظَّنَّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالرغبةُ إليه، ورجاءُ ما عندَه، عبادةٌ له ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالرَّغَبُ: الرَّجاءُ، **والرَّهَبُ**: الخوفُ، وكلاهما عبادةٌ، وعلى العبدِ أن يُحْسِنَ ظنَّه بربِّهِ، ويأخد بالأسبابِ الشَّرعيَّةِ، وإنَّ الظَّنَّ الحسنَ مع الأخذِ بالأسبابِ، يَعودُ على العبدِ بالخيرِ، والرَّحمةِ، ودخولِ الجنَّةِ، ومغفرةِ الذُّنُوبِ.

وهكذا **التَّوكُّلُ** عبادةٌ، وهو التفويضُ إلى اللَّهِ، والاعتمادُ عليه في كلِّ الأمورِ، مع الأخذِ بالأسبابِ، فَتَعْتَمِدُ على اللَّهِ في السَّلامةِ من الشَّرِّ، والعافيةِ من الفتَنِ، وحصولِ الرِّزقِ، وفِي دخولِ الجنَّةِ، والنجاةِ من النَّارِ، مع الأخذِ بالأسبابِ المشروعةِ، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] يعني: كافيهِ.

وهكذا **الرَّغبةُ والرَّهبةُ والخشوع** كلُّ هذه عباداتٌ، قال تعالى عن الأنبياءِ والصَّالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] يعني: خائفينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ، ويَخْشَعُونَ لعظمتِهِ؛ أي: يَذِلُّونَ.

[وهكذا **الخشية** عبادة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البَقَرَة: ١٥٠] فيخشى اللَّه ويرجوه، فيضم مع الخشية الرجاء، ويضم إليهما العمل].

وهكذا **الإنابةُ** عبادةٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٥٤] والإنابةُ معناها: الرجوعُ إلى اللَّهِ، والتَّوبةُ إليهِ، والاستقامةُ على طاعتِهِ، فهذه عبادةٌ للَّهِ، يَجِبُ على النَّاسِ أن يُنِيبُوا إلى اللَّهِ، ويَرْجِعُوا إليهِ، ويَتُوبُوا إليهِ، ويَسْتَقِيمُوا عَلَى طاعتِهِ.

وهكذا **الاستعانةُ** عبادةٌ، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] وفي الحديث: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ**» فيستعينُ العبدُ باللَّهِ، فتقولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي على ذكرِكَ وشكرِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي على طاعتِكَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي على كُلِّ خيرٍ، إلى غيرِ هذا، تَسْتَعِينُ باللَّهِ فِي كلِّ الْمُهِمَّاتِ.

وهكذا **الاستعاذةُ** عبادةٌ، أن تَسْتَعِيذَ باللَّهِ مِن الشُّرورِ، وتَلجأَ إليهِ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: ١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: ١] فالاستعاذةُ باللَّهِ، من الشَّيطانِ، ومن كلِّ مُؤذٍ، ومن كلِّ عدُوٍ، أمرٌ مأمورٌ به، كما قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعرَاف: ٢٠٠].

وهكذا **الاستغاثة** عبادةٌ، أن تستغيث باللَّه فِي الشَّدائد من عدُوٍ، أو تطلبه إنزال الغيث المبارك، أو بكشف الضُّرِّ، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفَال: ٩].

وهكذا **الذَّبحُ** عبادةٌ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ أي: يعني: ذبحي ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعَام: ١٦٢].

وفي الحديث: «**لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ**»(١) فالذَّبحُ عبادة، فمن صرفه لغير اللَّه يكون مَلعونًا مستحقًا لهذا الذم العظيم، واللَّعن هو الطرد والإبعاد من رحمة اللَّه(٢).

وهكذا **النَّذر** عبادةٌ: قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ [الإنسَان: ٧] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ الآية [البَقَرَة: ٢٧٠] قال ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ، فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيهُ، فَلَا يَعْصِهِ**»(٣).

فالنَّذر: عبادة وطاعة للَّه، إذا فعله الإنسان لزمه الوفاء لقول الرسول ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ**» فَإِذَا نَذَرَ عبادة من صلاة، أو صوم، أو صدقة، أو غيرها لزمه الوفاءُ لما تقدَّم، والنَّذر مكروه؛ لأنَّ فيه التزامًا، ومشقة؛ ولهذا نَهَى النَّبِيُّ ﷺ عن النَّذر وقال: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ**»(٤).

(١) سبق تخريجه في (ص٥١).

(٢) وإن كان اللَّعن من النَّاس هو السَّبْ والدُّعاء ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، مادة: [لعن] باب اللام مع العين.

(٣) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها البخاري، برقم (٦٦٩٦).

(٤) أخرجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وتمامه: «**وإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ**» البخاري، برقم (٦٦٠٨)، ومسلم، برقم (١٦٣٩)، واللَّفظ له.

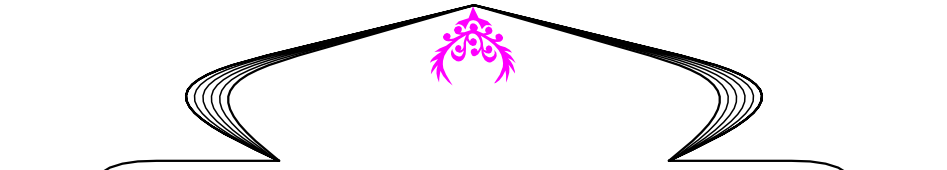

الأصل الثَّاني: معرفة العبد دينه

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلَامُ للَّهِ بِالتَّوْحِيدِ، والانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْخُلُوص مِنَ الشِّرْكِ[1] وَهُوَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ: «الإِسْلَامُ» و«الإِيمَانُ» و«الإِحْسَانُ» وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَان:

فَأَرْكَانُ الإِسْلَامِ[2] خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللَّه وَحْدَهُ: «لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، «إِلَّا اللَّهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾

(١) وفي بعض «نسخ ثلاثة الأصول»: [وَالبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ].
(٢) وفي بعض «نسخ ثلاثة الأصول»: [المرتبة الأولى: الإسلام].

وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزّخرُف: ٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٦٤].

وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التّوبَة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

وَدَلِيلُ الصَّلاة، والزَّكاة وتفسير التَّوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البَيّنَة: ٥].

وَدَلِيلُ الصِّيَام قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣].

وَدَلِيلُ الْحَجِّ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو **الأصل الثَّاني**: وهو معرفة دينُ الإسلام، وهو ثَلاثُ مراتِبَ بيَّنهَا الرَّسول ﷺ، فأوَّلُها الإسلام: وهو الإخلاص لِلَّهِ وحده؛ يعني: الاستسلام للَّه بالعبادة، وتخصيصه بها دون كلِّ ما سواه، والبراءة من الشِّرك وأهله.

فَإِذَا فعلَ ذلك فقد أسلم؛ يعني: انقاد وذلَّ، وخضعَ للَّهِ ووحَّدَه بالعبادةِ دون كلِّ ما سواه، وتبرَّأَ من الشِّركِ وأهلِه، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] والكفرُ بالطَّاغوتِ معناهُ: البراءةُ من الشِّركِ وأهلِه، وإنكارُ ذلك، واعتقادُ بطلانِهِ.

وهناك مرتبةُ الإيمانِ، ومرتبةُ الإحسانِ، وكلُّها داخلةٌ في دين الإسلام؛ الدِّين الَّذي شرعه اللَّه لعباده، وأرسل به الرُّسلَ جميعًا ومرتبةُ الإسلامِ تَشْمَلُ الأعمال الظاهرة.

وأركانُهُ خمسةٌ: شهادةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ لِمَن استطاعَ إليهِ سبيلًا، كما ثبت ذلك عن النَّبيِّ ﷺ في قوله: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحجّ الْبَيْتِ**»(١).

فأولُ أركانِ الإسلام: شهادةُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وبهَا يَدْخُلُ العبدُ فِي الإسلام، فيشهدُ أنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أي: لا معبودَ بحقٍّ إِلَّا اللَّهُ، وهي نفيٌ، وإثباتٌ، فـ«لَا إِلَهَ»: نَفْيٌ، و«إِلَّا اللَّهُ»: إثباتٌ، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: ٦٢].

أمَّا قولُها بدونِ العملِ بهَا، فلا تَنْفَعُه كَأَنْ يقولَ: لَا إلهَ إِلَّا اللَّهُ، ولا يَخُصُّ اللَّهَ بالعبادةِ، فَإِنَّ شهادتَهُ لَا تَنْفَعُه، كالمنافقين،

(١) أخرجه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا البخاري، برقم (٨) ومسلم، برقم (١٦).

فَإِنَّهم يَقُولُونَهَا، ولا يَعْتَقِدُونَهَا، فهم فِي الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النَّارِ، فالَّذِي يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويَعْبُدُ القُبورَ والأصنامَ لا تنفعُه؛ بل هي باطلةٌ.

وأمَّا الشَّهادة الثانية: وهي أنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ، فدليلُهَا قولُه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] يعني: محمدًا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ تعرفونه؛ لأنَّه من أنفسكم، وهو من أشرف قبائِلكم من بني هاشم: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يَشُقُّ عليه مَا يَشُقُّ عليكم: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ يعني: على هدَايَتِكُمْ، وإنقاذِكُم من النَّار، وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

ومعنى هذهِ الشَّهَادَةِ أن يُطِيعَهُ العبد فيما أمرَ، وأن يُصَدِّقَهُ فيما أخبرَ، وأن يَجْتَنِبَ ما عنهُ نَهَى وزَجَرَ، وألَّا يَعبُدَ اللَّهَ إلَّا بِمَا شَرَعَ، فلا بُدَّ مِن هذهِ الأمورِ الأربعةِ:

الأوَّل: طاعتُهُ فيما أمرَ من الصَّلاةِ، والزَّكاةِ، وغيرِها.

الثَّاني: تَصديقُهُ فيما أخبرَ عن الآخرة، والجنَّةِ والنَّارِ، وغيرِ ذلكَ.

الثَّالثُ: اجتنابُ مَا عنه نَهَى وزجَرَ، كالزِّنَا، والرِّبَا وغيرِ ذلكَ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عنهُ ورسولُه.

الرَّابع: أن لا يُعْبَدَ اللّه إلَّا بِمَا شَرَعَ، فَلَا يَبْتَدِعُ فِي الدِّينِ مِمَّا لَمْ يَشْرَعْهُ اللَّهُ؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١) وفي رواية: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢) أي: هو مردودٌ.

(١) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها مسلم، برقم (١٧١٨).
(٢) أخرجه من حديث عائشة رضي الله عنها البخاري، برقم (٢٦٩٧) ومسلم، برقم (١٧١٨).

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، والزَّكَاةِ، وتفسيرِ التَّوحيدِ: قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ هذا تفسير التَّوحيد: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وهذا دليل الصَّلاة والزَّكاة، وكذا قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التَّوبَة: ١١] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التَّوبَة: ٥].

ودليلُ الصِّيام: قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ١٨٣] الآيات إلى قوله سبحانه: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] أي: أَنَّ الصِّيَامَ واجبٌ عليكم كُلَّ عامٍ، فِي شهرِ رمضانَ.

وَدَلِيلُ الحجِّ: قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] وهو مَرَّةٌ فِي العُمُرِ؛ لقول النَّبِيِّ ﷺ: «.. **الْحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»[(١)] ـ فهذه هي أركان الإسلام الخمس ـ .

(١) طرف من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في سؤال الأقرع بن حابس للنَّبِيّ ﷺ أخرجه أبو داود، برقم (١٧٢١) والنسائي، برقم (٢٦٢٠) وابن ماجه، برقم (٢٨٨٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ٣٢١ برقم ٣١٥٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**المرتبةُ الثَّانيةُ: الإيمانُ**[١]: **وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.**

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ. وَالدَلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧].

وَدَلِيلُ الْقَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القَمَر: ٤٩].

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ: رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[٢].

وَالدَّلِيلُ: قَولهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النَّحل: ١٢٨] **وقوله تعالى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشُّعَرَاء: ٢١٧-٢٢٠] **وقوله تعالى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ **الآية** [يُونس: ٦١]».

---

(١) الإيمان في اللُّغة: التَّصديق، وشرعًا: هو قول باللِّسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطَّاعة، وينقص بالعصيان. ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ ابن باز (٥/ ٣٥).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٩) مختصرًا، ومسلم، برقم (٣٥) واللَّفظ له.

ولفظ البخاري: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسُتُّونَ شُعْبَةً**» وعند مسلم «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسُتُّونَ شُعْبَةً**».

«وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ[١] حَدِيثُ جِبْرِيل الْمَشْهُورُ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادُ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الْصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الْزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ: صَدَقْتَ.

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: «مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ، الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاء، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ! أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هَذَا جِبْرِائيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ»[٢]».

---

(١) وهذا الدَّليلُ من السُّنَّة على مراتب الدِّين الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وأما رات السَّاعة، وعلاماتها لم يُعلِّق عليه سماحته في هذا الشرح.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» أول حديث في كتاب الإيمان، برقم (٨).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

الإيمانُ: هو ما يتعلَّقُ بالقلوبِ من التصديق باللَّهِ، وأنَّه ربُّ العالَمِينَ، وأنَّه هو المُستَحِقُّ للعبادةِ، والتَّصديقِ بالملائكةِ، وبالكتبِ، وبالرُّسلِ، وبالبعثِ بعدَ الْمَوْتِ، والجنَّةِ والنَّارِ، وبالقَدَرِ خيرِهِ، وشرِّهِ.

كُلُّ هذا يَتعلَّقُ بالقلوبِ، فهو أصلٌ مِن الأصولِ الَّتِي لا بُدَّ منها، فلا إسلامَ إلَّا بإيمانٍ، ولا إيمانَ إلَّا بإسلامٍ، فَلَا بُدَّ من هذا، وهذا، لا بدَّ من إسلامِ الجوارحِ، ولا بُدَّ من إسلامِ القلوبِ، وإيمانِهَا؛ ولهذا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ الأَمرَيْنِ فِي كتابِهِ العظيمِ، وهكذا الرسولُ ﷺ ذَكَرَهُمَا جَمِيعًا.

فالإسلامُ: هو الانقيادُ الظَّاهرُ بطاعةِ اللَّهِ وتركِ مَعصيَتِهِ، والإيمانُ يَشملُ الأَعمالَ الباطنةَ مِما يَتَعلَّقُ بالقلوبِ وتصديقِهَا، وَيُطلقُ الإسلامُ على الإيمانِ، ويطلق الإيمانُ على الإسلامِ.

فإذا قيل: الإيمانُ: عَمَّ الجميعَ، وإذا قيل: الإسلامُ: عَمَّ الجميعَ أيضًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] فيَعُمَّ مَا يَتَعلَّقُ بالباطنِ والظَّاهرِ.

وهكذا الإيمانُ إذا أُطلِقَ عَمَّ الجميعَ؛ لقولِهِ ﷺ فِي الحديثِ الصَّحيحِ: «**الإِيمَانُ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»(١).

فالإيمان هُنَا يَعُمُّ الجميعَ، فَيَعُمُّ أركانَ الإسلامِ، ويَعُمُّ جميعَ الأعمالِ الظَّاهرةِ، كَمَا يَعُمُّ الباطنةَ، كَمَا أَنَّهُ يشملُ الإحسانَ.

(١) سبق تخريجه في (ص٦١).

أمَّا الإحسانُ: فهو إكمالُ العبادةِ ظاهرًا وباطنًا، وهو أن تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، فَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ على هذا الاستحضارِ، فقد أدْرَكَ مرتبةَ الإحسانِ، واجتمعَ لهُ الخيرُ كُلُّه، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النّحل: ١٢٨] وقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] والآياتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

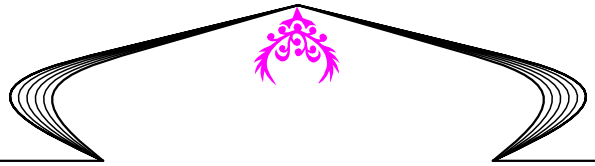

الأصل الثَّالث: معرفة العبد نبيَّه ﷺ

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّد ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بنُ هَاشِم، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِن الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِن ذُرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلام.

وَلَهُ مِن الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَستُونَ سَنَّةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَةِ، وَثَلَاثٌ وَعُشرُون نَبِيًّا وَرَسُولًا، نُبِأَ بـ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العَلق: ١] وَأُرْسِلَ بـ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدَّثِّر: ١] وَبَلَدُهُ مَكَةُ، بَعَثَهُ اللَّهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُوا إِلَى التَّوحِيدِ، والدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدَّثِّر: ١-٧].

ومعنى ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مَن الشِّركِ ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا وَأَهْلِهَا والبراءَةُ مِنهَا وأهلِهَا.

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشرَ سِنِينَ يَدعُو إِلَى التَّوحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ[1] وَصَلَّى فِي مَكَّةَ

(١) أخرجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٤٩) ومسلم، برقم (١٦٣).

ثَلَاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

«والهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ[(١)]، والهِجْرَةُ فَرِيْضَةٌ عَلَى هَذِه الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ.

والدَّليلُ: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النِّسَاء: ٩٧-٩٩] وقوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العَنكبوت: ٥٦].

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)]: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الَّذين في مكة لم يهاجروا، ناداهم اللَّه باسم الإيمان[(٣)].

والدَّليلُ على الهجرة من السُّنَّة، قوله ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ الْتَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ الْتَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعُ الْشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[(٤)].

---

(١) هذا تعريف الهجرة شرعًا، وهي في اللُّغة: الترك والخروج من أرض إلى أخرى. ينظر: «القاموس المحيط» للفيروزآبادي، مادة: [هجر] باب الراء فصل الهاء، (ص ٤٦٠).

(٢) هو: أبو محمَّد الحسين بن مسعود بن محمّد، الإمام الفقيه، المجتهد محي السُّنَّة، صاحب «معالم التنزيل» في التفسير، و«شرح السُّنَّة»، و«التهذيب، والمصباح» في الحديث، وغير ذلك، من التصانيف النافعة، مات بمرو الروز في شوال سنة [٥١٦ هـ] عن ثمانين سنة، ينظر: ترجمته في «طبقات الحفاظ» للسيوطي (١/ ٤٥٦، ٤٥٧ ترجمة رقم ١٠٢٧).

(٣) ينظر: «معالم التنزيل» للبغوي (٢/ ٢٧٣).

(٤) أخرجه من حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو داود، برقم (٢٤٧٩).

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو **الأصلُ الثالثُ:** وهو معرفةُ نبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، فعلى الإنسانِ أن يَعرِفَ نبيَّه الَّذي أَرْسلَه اللَّهُ إليه، وبَلَّغَه الرِّسالةَ، وبَيَّنَ لَه الشَّرائعَ الَّتي أَمَرَهُ اللَّهُ بها، وَأَوْضَحَ لَهُ العِبادةَ الَّتي خلَقَنا اللَّهُ لَهَا.

هذا النَّبيُّ هو: مُحَمَّدٌ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، خاتمُ الأَنبياءِ ورسولُ اللَّهِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِن الجنِّ والإنسِ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ للنَّاسِ جَمِيعًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨].

فاسمُه محمَّدٌ، واسمُه أحمدُ، واسمُه الحاشرُ، والماحي[(١)]، والْمُقَفَّي؛ لأَنَّهُ خَاتَمُ الأَنبياءِ وهو نَبِيُّ التَّوبةِ، ونَبِيُّ الرَّحْمَةِ[(٢)]، ونَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ[(٣)]. هَذِهِ كُلُّهَا أسماؤُه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ لكنْ أشهرُهَا وأفضلُهَا وأعظمُها مُحَمَّدٌ، الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُه، وَجَاءَ بِهِ الْقُرآنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: ٢٩][(٤)].

وَهَكَذَا أَحْمَدُ، كَمَا بَشَّرَ بِهِ عِيسَى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ

---

(١) أخرجه من حديث جبير بن مطعم وفيهما اسم خامس وهو «العاقب» البخاري، برقم (٣٥٣٢) ومسلم، برقم (٢٣٥٤).

(٢) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم، برقم (٢٣٥٥).

(٣) أخرجه من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام أحمد (٤/ ٤٠٤ برقم ١٩٦٣٧).

(٤) ورد اسم محمد ﷺ في القرآن في أربعة مواضع:
الأول: في قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤].
الثاني: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠].
الثالث: قوله تعالى: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمَّد: ٢].
الرابع: في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفَتْح: ٢٩].

أَحْمَدُ﴾ [الصَّف: ٦] فهو محمَّدٌ، وأبوهُ اسمُه عبدُ اللَّهِ، وجدُّه اسمه عبدُ المطلبِ، وعبدُ المطلبِ لَقَبٌ وإلَّا فاسمه شيبة، وأبو جدِّه اسمُه هاشمٌ، وهو سَيِّدٌ من ساداتِ قريشٍ، كَمَا أنَّ عبدَ المطلبِ كَذَلِكَ.

وهاشمٌ من قريشٍ، وقريشٌ قَبيلة عظيمة، وهي أفضلُ العربِ، والنَّبِيُّ ﷺ من خَاصَّتِهم، من بني هاشمٍ، وبنُو هاشم خَاصَّةُ قريشٍ، وهم أفضلُ قريشٍ: واسمُه فِهْرُ بنُ مَالِكٍ.

وقيلَ: قريشٌ هو النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ جَدُّ فِهْرِ بنُ مَالِكٍ، وقريشٌ مِن العربِ الْمُسْتَعْرِبَةِ الَّتِي استَعرَبَ لِسَانُهَا، فصارَ لَهَا لَسَانٌ عَرَبِيٌّ وَاضِحٌ، فَهِيَ أَكْثَرُ عُرُوبَةً مِن قَحْطَانَ؛ ولهذا يُقالُ لَهم: العربُ العاربة، والعرب الْمُستعرِبةُ، وهُم مِن ذُرِيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

وهذا النَّبِيُّ العظيمُ، وهو مُحَمَّدٌ ﷺ نُبِّئَ بـ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العَلق: ١] فَأَولُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العَلق: ١] وَصَارَ بِهَا نَبِيًّا، وقَد أتاهُ جِبْرِيلُ، وهو فِي الغارِ، غارِ حِرَاءٍ، فَأَقْرَأَهُ هَذِهِ السُّورَةَ(١).

ثُمَّ بعدَ مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ جَاءَهُ بِالْمُدَّثِّرُ(٢)، فَصَارَ رَسُولًا بِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدَّثِّر: ١-٢] والْمُدَّثِّرُ: الْمُلْتَحِفُ؛ لأَنَّهُ بعدَ مَا جَاءَهُ الوحي، اشْتَدَّ عليه الأمرُ، وقَالَ: زَمِلُونِي، زَمِلُونِي.. دَثِرُونِي، دَثِرُونِي .. مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ مِن الخوفِ لَمَّا ضَغَطَ عليه جَبْرَائِيلُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مراتٍ.

ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ، تَمْهِيدًا لأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ وَعَظَمَتِهَا، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ:

---

(١) فقد ورد في الصَّحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في قصة كيفية بدء الوحي عليه ﷺ أخرجه البخاري، برقم (٣) ومسلم، برقم (١٦٠).

(٢) أخرجه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٤) ومسلم، برقم (١٦١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدَّثِّر: ١-٢] أَيْ: قُمْ فَأَنْذِرِ النَّاسَ، فَصَارَ رَسُولًا بِأَمْرِهِ بِالنِّذَارَةِ: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ مِن الشِّرْكِ؛ لأَنَّ تَطْهِيرَ الْمَلَابِسِ غَيرُ مُرَادِهِ فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ لأَنَّ الصَّلَاةَ لَمْ تُفْرَضْ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَالمُرَادُ هُنَا الأَعْمَالُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦] فَالْعَمَلُ يُسَمَّى لِبَاسًا.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرُّجزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلِهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا الأَمرِ عَشْرَ سِنِينَ، يَدعُو إِلَى التَّوحِيدِ، وَيُحَذِّرُ مِن الشِّرْكِ، وَيَأْمُرُ بِخَلْعِ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَخُصُّوا اللَّهَ بِالعبادَةِ فِي دُعَائِهِمْ وَنَذْرِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعدَ العَشْرِ عُرِجَ[1] بِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ مَعَ جَبْرَائِيلَ عليه السلام، وَفُتِحَتْ لَهُ السَّمَوَاتُ إِلَى مَوضعٍ رَفِيعٍ فوقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، حَتَّى سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ، ثُمَّ نَادَاهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلا وَكَلَّمَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، فَرَضَهَا خَمْسِينَ صَلَاةً، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ التَّخْفِيفَ حَتَّى جَعَلَهَا اللَّهُ خَمْسًا.

فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: هِيَ خَمْسٌ فِي العَدَدِ، وَهِيَ خَمْسُونَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ[2]، فَمَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَأَدَّاهَا، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَجْرَ خَمْسِينَ، فَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

---

(١) العروج هو الصُّعود إلى الأعلى، عرج إذا صعد إلى العلو، بدرج، ومنه المعارج، المصاعد أو الفواصل الَّتي تصعد بها الملائكة إلى السَّماء. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، مادة: [عرج] باب العين فصل الراء (ص ٦٠٢).

(٢) أخرجه عن أنس رضي الله عنه البخاري، برقم (٧٥١٧)، ومسلم، برقم (١٦٢).

فَنَزَلَ بِذَلِكَ عليهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فَاسْتَقَرَّتْ الصَّلاةُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَالْلَيْلَةِ: الظهرُ، والعصرُ، والمغربُ، والعشاءُ، والفجرُ، وَصَلَّاهَا فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ.

ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى قُرَيشٍ لَهُ ولأصحابِهِ، فَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهِجْرَةِ مِن مَكَّةَ؛ لأَجْلِ أَذَى وَظُلْمِ قُرَيشٍ، إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى الأَنْصَارِ، وقَدْ بَايَعُوهُ فِي مُوسِمْ الْحَجِّ عَلَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَيْهِمْ وَيَنْصُرُوهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ[(١)].

فَلمَّا تَمَّتْ البَيْعةُ، وَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهِجرةِ هَاجَرِ إِلَيْهِمْ، وَكَانَ بعضُ أصحابِهِ قَدْ هَاجَرَ قَبلَ ذَلِكَ إلى الحبشةِ، ومَكثُوا عندَ النَّجَاشِيِّ مُدَّةً، ثُمَّ هاجَرَ بَقِيَتُهُم إلى المدينةِ، فَلمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمدينةِ جَاءَ الَّذِينَ فِي الْحَبشةِ إِلَى الْمَدينةِ، واسْتَقَرَّ الجميعُ فِي الْمَدينةِ، والحمدُ للَّهِ[(٢)].

---

(١) ينظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٤٧)، و«السيرة النبوية» لابن كثير (٢/ ١٩٢، ٢٠٩، ٢١٥، ٢٨٩)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٣/ ١٩٢، ٢٠٣)، و«مختصر سيرة الرسول ﷺ» لمحمد بن عبد الوهاب (ص ١٧٤).

(٢) ولمعرفة المزيد من أحكام الهجرة. ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (٩/ ٤٤، ٢٩٩، ٤٠٢، و١٨/ ١١٩، ٢٧/ ٣٢٨).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزَّكاة، والصَّوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي، صلوات اللَّه وسلامه عليه، ودينه باقٍ، وهذا دينه لا خير إلَّا دل الأمة عليه، ولا شر إلَّا حذرها منه، والخير الَّذي دلها عليه التَّوحيد، وجميع ما يُحبّه اللَّه ويرضاه، والشَّرِّ الَّذي حذرها منه الشِّرك، وجميع ما يكرهه اللَّه ويأباه.

بعثه اللّه إلى النَّاس كافة، وافترض طاعته على جميع الثقلين: الجن والإنس، والدَّليلُ: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وكمل اللَّه به الدِّين، والدَّليلُ قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والدَّليلُ على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١].

والنَّاس إذا ماتوا يبعثون، والدَّليلُ قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نُوح: ١٧-١٨].

وبعدَ البعثِ مُحاسبون ومجزيُّونَ بأعمالهم، والدَّليلُ قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النّجم: ٣١].

ومن كذَّبَ بالبعث كفر، والدَّليلُ قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التَّغَابُن: ٧]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلما استقر في المدينة بعد الهجرة أمره اللَّه ببقية شرائع الإسلام من الزَّكاة، وصيام رمضان، وحجِّ البيت، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر؛ لأنَّ المدينة صارت دار إسلام، وهي العاصمة الأولى للمسلمين، فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنَّهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وهذا من رحمة اللَّه ﷻ، أنْ أَجَّلَ هذه الواجبات إلى أنْ هاجر إلى المدينة.

وكان أصل الزَّكاة مشروعًا في مكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام، وهي مكية: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعَام: ١٤١].

ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها، كُلُّ هذا صار في المدينة، وهكذا صيام رمضان شُرِعَ في السَّنة الثَّانية من الهجرة.

وهكذا الحجُّ شُرِعَ في السَّنة التَّاسعة أو العاشرة من الهجرة، وأنزل اللَّه فيه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] في سورة آل عمران، وهي مدنية.

وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أوَّل الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عن مَنْ كَفَّ عنه، ثُمَّ أُمِرَ بأن يبدأهم بالقتال، وأن يجاهد الكُفَّار، وإن لم يبدأوا، فيدعوهم إلى اللَّه ويرشدهم إليه، فإنْ أجابوا، وإلَّا قاتلهم حتَّى يستجيبوا للحقِّ إلَّا أهل الكتاب، فإنَّه يقبل منهم الجزية.

وسَنَّ اللَّه في المجوس سُنَّة أهل الكتاب، إمَّا إسلام، وإمَّا جزية، وأمَّا بقية الكفرة إمَّا الإسلام، وإمَّا السيف مع القدرة.

وبعد ما أكمل اللَّه به الدِّين، وأتم به النِّعمة كما قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ

دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] توفاه اللَّه إليه بعد عشر سنين من الهجرة، بعد ما بَلَّغَ البلاغ المبين، وأكمل اللَّه به الدِّين، وأتم به النِّعمة، وقال ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠-٣١].

والنَّاسُ إذَا مَاتُوا يُبعثون، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نُوح: ١٧-١٨] وقال سبحانه: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التَّغَابُن: ٧] وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النَّجْم: ٣١].

فهم مُحَاسَبُونَ ومَجْزِيُّونَ يوم القيامة، ويعطون كتبهم بأيمانهم وشمائلهم، فالسَّعيدُ يُعطى كتابه بيمينه، والشَّقيُّ يعطى كتابه بشماله.

السَّعيد: يرجح ميزانه، **والكافر**: يخف ميزانه، وأصحاب المعاصي على خطر، فقد يرجح ميزانهم بالتَّوبة، أو بعفو اللَّه سبحانه، أو بالحسنات، وقد يخف ميزانهم، فيكونون من أهل النَّار، فيعذَّبون فيها ما شاء اللَّه، ثُمَّ يخرجهم اللَّه من النَّار بسبب موتهم على الإسلام.

فالواجب على كلِّ مُكلَّف أن يحذر سيِّئات العمل، وأن يلزم التَّوبة والاستقامة؛ لأنَّه لا يدري متى يهجم عليه الأجل، فالحزم كلّ الحزم أن يأخذ المسلم بالعزيمة، ويجاهد نفسه حتَّى يستقيم على الحقِّ، والتَّوبة النَّصوح من جميع الذُّنوب، حتَّى إذا هجم عليه الأجل إذا هو على خير عمل، وعلى استقامة، فيفوز بالسّعادة والنجاة يوم القيامة.

بيان ما بعث اللَّه به الرُّسُل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأرسل اللَّه جميع الرُّسل مبشرين ومنذرين، والدَّليلُ قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرُهُم مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو خاتم النَّبيِّين، والدَّليلُ على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النِّسَاء: ١٦٣].

وكُلُّ أُمَّة بعث اللَّه إليهم رسولًا من نوح إلى محمَّدٍ يأمرهم بعبادة اللَّه وحده، وينهاهم عن عبادة الطَّاغوت، والدَّليلُ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النّحل: ٣٦] وافترض اللَّه على جميع العباد الكفر بالطَّاغوت، والإيمان باللَّه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «معنى الطَّاغوت ما تجاوز به العبد حده

---

(١) هو محمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي الحنبلي؛ أبو عبد اللَّه شمس الدين، المشهور بابن قيم الجوزية، ولد في ٧ صفر سنة [٦٩١هـ] له مؤلفات كثيرة مفيدة في الأصول والفروع، في العقائد والأحكام، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ في دمشق في ١٣ رجب سنة [٧٥١هـ] ينظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٢/ ٤٤٧ - ٤٥٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥)، و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبلي (٦/ ١٦٨- ١٧٠).

من معبود أو متبوع أو مطاع[١]، والطَّواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه اللَّه، ومن عُبِدَ وهو راضٍ، ومن دعا النَّاس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل اللَّه، والدَّليلُ قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦].

وهذا هو معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وفي الحديث: «رَأسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[٢] واللَّه أعلم».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

والرَّسُولُ ﷺ مُرْسَلٌ إلى جَمِيعِ النَّاسِ، إلى الجنِّ والإِنْسِ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعرَاف: ١٥٨] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سَبَإ: ٢٨] وهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي.

وهكذا الرُّسل جميعًا أرسلوا إلى أُممهم مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ، من أولِهم إلى آخرهم، فأولهم نُوحٌ، بَعَثَه اللَّه تعالى لَمَّا وقَعَ الشِّرك في قومه.

وقبله آدم فَإِنَّه نَبِيٌّ رسولٌ مُكَلَّفٌ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ إلى ذريتِهِ؛ ليعبدوا اللَّهَ بالشَّريعةِ الَّتي جاءَ بِهَا أَبُوهُمْ آدم ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ، واستمرُّوا على الإسلامِ والاستقامةِ، حتَّى وقَعَ الشِّركُ فِي قومِ نُوحٍ،

(١) ينظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (١/ ٤٠).

(٢) جزء من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الترمذي، برقم (٢٦١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي، برقم (١١٣٩٤)، وابن ماجه، (٣٩٧٣)، والحديث صحيح، وقد سئل سماحة الشيخ عنه، فقال: «الحديث صحيح».

فَلمَّا وقَعَ الشِّركُ فِي قوم نُوحٍ، أرسلَ اللَّهُ إليهِمْ نُوحًا ـ عليه الصَّلاةُ والسلامُ ـ، وهو أوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهلِ الأَرْضِ بعدَ وُقُوعِ الشِّركِ.

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيهِمْ رَسُولًا، فَعَادٌ أَرسَلَ اللَّهُ إليهِمْ هُودًا، ثُمَّ أرسلَ اللَّهُ صَالحًا إِلَى قَومِهِ ثَمُودَ، ثُمَّ أرسلَ إبراهيمَ، ولُوطًا، وشُعيْبًا، فِي زمانٍ مُتقَارِبٍ.

ثُمَّ جَاءَتْ الرُّسُلُ بعدَ ذَلِكَ تَتْرَى، فَفِيهِم مُوسَى وهَارُونُ وعِيسَى وأَيُوبُ ودَاوُدُ وسُليمَانُ، ثُمَّ خُتِمُوا بِمُحَمَّدٍ عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزَاب: ٤٠]، وهو خاتمهم وآخرهم وأفضلهم عَلَيه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قَالَ اللَّهُ ـ جَلَّ وَعَلا ـ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النِّسَاء: ١٦٥] فقوله: ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ يعني: يُبَشِّرُونَ من أطاعهم بالجنَّة، و﴿وَمُنذِرِينَ﴾ يعني: يُنْذِرُونَ النَّاسَ مِن الشِّركِ بِاللَّهِ، وَمِنَ النَّارِ والعذابِ الأَليم، إِذَا خَالَفُوا أَمرَ اللَّهِ.

وهكذا مُحَمَّدٌ ﷺ أرسلَهُ اللَّهُ بَشيرًا ونَذيرًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزَاب: ٤٥-٤٦].

فالواجبُ عَلَى جَميعِ الأُمَمِ اتِّبَاعُ رُسُلِهُم، فَكُلُّ أُمَّةٍ يَجِبُ عَليهَا أَنْ تَتبعَ رسولَها، وتَنقَادَ لِمَا جَاءَ بِهِ مِن الْهُدَى، وَقَدْ وعَدَهَا اللَّهُ على ذلك السَّعادةَ فِي الدُّنيَا والآخرةِ، وأكثرُ الخلقِ قَد عَصَوا رسلَهُم، وخَالَفُوا مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسلُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يُوسُف: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعَام: ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: ١٣] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ

﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبإ: ٢٠].

وكُلُّ رسولٍ يَدعُو أُمتَهُ إلى توحيدِ اللَّهِ، وطاعتِهِ، وتركِ الشِّركِ به ومعصيتِه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ يعني: أطيعوه، ووحِّدُوه، واستَقيمُوا على دينِه، واجتنبوا الطَّاغوتِ.

والطَّاغُوتُ: هو كُلُّ مَا عُبِدَ مِن دونِ اللَّهِ، وهُوَ رَاضٍ، وكُلُّ مَنْ حَكَمَ بغيرِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ، أو دعَا إلى ذلك، والطَّاغوت: مأخوذ من الطُّغيان: وهو تَجَاوُزُ الْحَدِّ، يُقَالُ: طَغَى الماء إذَا جَاوَزَ الْحَدَّ[1].

والطَّاغُوتُ: هُوَ الَّذِي يَتَجَاوَزُ الحدَّ، إمَّا بشركِه وكفرِه، وإمَّا بدعوتِه إلى ذلكَ، وشرُّهم ورأسُهم إبليسُ لعَنَه اللَّهُ، وهكذا كُلُّ مَن دَعَا إلى عبادةِ نفسِهِ، أو رضِيَ أنْ يُعبدَ مِن دونِ اللَّهِ كَفرعونَ والنَّمرُودِ، أو ادَّعى شَيئًا مِن عِلمِ الغيبِ، كالكهنةِ والعرَّافِينَ والسَّحَرَةِ فِي الجاهليَّةِ وفِي الإسلامِ.

وكَذلِكَ مَن حَكَمَ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مُتَعَمِّدًا، فَهؤلاءِ رُؤوسُ الطَّوَاغِيتِ، وكُلُّ مَنْ جَاوَزَ الحَدَّ، وخَرَجَ عِن طَاعَةِ اللَّهِ، يُسَمَّى طَاغُوتًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فالرُّشدُ: الإسلامُ ومَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، والْغَيُّ: الكفرُ باللَّهِ والضَّلالُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٦] فـ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ يعني: يَتَبَرَّأ مِنْه، ويَعْتَقِد بُطلَانَه، فيَتَبَرَّأ مِن الشِّركِ، ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ يعني: يُصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ مَعبُودُه، وإلهُه الحقّ،

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٨/ ١٥٣)، و«لسان العرب» لابن منظور (١٥/ ٩).

ويؤمن بِالشَّريعةِ، وبمحمَّدٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ويَنْقَاد لِذَلِكَ، هَذَا هُوَ الْمُؤْمِنُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ يعني: اسْتَعْصَمَ ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ وهي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه كلمةُ التَّوحِيدِ، يعني: فقد اسْتَمْسَكَ بالعروةِ الَّتي لا انقطاعَ لَهَا؛ بل مَن استمسك بها صادقًا، واستقامَ عَليهَا، وَصَلَ إِلَى الجنَّةِ والكرَامةِ؛ لأَنَّ لَهَا حُقُوقًا، وهي توحيدُ اللَّهِ، وطَاعتُه واتِّبَاعُ شَرِيعتِه.

ومحمَّدٌ ﷺ هو خاتمُ الأنبياءِ والمرسَلين، وهو رسولُ اللَّهِ إلى جميعِ أهلِ الأَرضِ، من الجنِّ والإنسِ، فيجبُ عَلى جميعِ الْمُكَلَّفِين طَاعتُه واتِّبَاعُ شَرِيعتِهِ، ولَا يَجُوزُ لأَحَدٍ الخروجُ عنهَا، وجَميعُ الشَّرائعِ الْمَاضيَّةِ كُلُّها نُسخَتْ بِشريعتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية [الأعرَاف: ١٥٨].

وقال قبلَها سُبحانَه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعرَاف: ١٥٧] وقَالَ سُبحانَه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هُود: ١٧].

وقال ـ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ـ فِي الحديثِ الصَّحِيح: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**» أخرجه مسلم فِي صحيحه(١).

وَالآيَاتُ والأَحَادِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وقد أَجْمَعَ أهلُ العلمِ

(١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم، برقم (١٥٣).

رَحِمَهم اللَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَسَعُ أَحَدًا مِن هذِهِ الأُمَّةِ الخُرُوجُ عَلَى شريعةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ، فَهُوَ كَافِرٌ كُفْرًا أَكْبرَ مُخْرِجًا مِن الْمِلَّةِ[(١)]، نسأل اللَّه العافية والسَّلامة.

وَفِي الحَدِيثِ: «**رَأسُ الأَمرِ الإِسلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[(٢)].

«**رَأْسُ الأَمْرِ**» يعني: رأسُ الدِّينِ، وهُو الإِسلامُ؛ يعني: شَهَادةُ أنْ لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللَّهِ، فَمَن التزَمَ بِهَا دَخَلَ الإِسْلَامَ.

«**وَعَمُودُهُ الصَّلَاة**» وهي الرُّكنُ الثَّاني، وهي أعظمُ الأَركَانِ بعدَ الشَّهَادَتَيْنِ، ثُمَّ يَلي ذَلكَ الزَّكَاةُ، والصِّيَامُ، والحجُّ، وبقيَّةُ أَوامِرِ اللَّهِ.

«**وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» لأنَّ بِهِ صِيَانةَ الدِّينِ وحمايتَه، وبه دعوةُ النَّاسِ إلى دينِ اللَّهِ وإلزامُهم بالحقِّ.

فَهُو ذُروةُ سَنَامِهِ، مِن جِهةِ مَا تَضمَّنه مِن حمايةِ الدِّينِ، والدعوةِ إلى الحقِّ، واللَّهُ أَعلمُ.

فَعَلَى جَمِيعِ المُكَلَّفِين أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ، وَيَعْبُدُوه دونَ كُلِّ مَا سِوَاه، وأنْ يَكفِرُوا بِالطَّاغُوتِ، ويُنْكِرُوا عِبَادتَه، ويَلتَزِمُوا بِالتَّوحِيدِ، واتِّبَاعِ شَرِيعَتِهِ ﷻ، وتَعظيمِ أَمرِه ونَهيِهِ.

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١/ ٥٢) و(٢٨/ ٤٧٥).

(٢) سبق تخريجه في (ص ٧٥).

فهرس الموضوعات
لكتاب شرح الأصول الثلاثة

الموضوع	رقم الصفحة
إجازة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لطباعة الكتاب:	١٧
مقدمة مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية:	١٩
تعريف الشارح بثلاثة الأصول ومؤلفها:	٢١
مقدمة المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:	٢٣
توطئة للأصل الأول:	٣٠
الأصل الأول: معرفة العبد ربه:	٤٠
معنى العبادة وبيان أنواعها:	٤٥
ذكر أدلة بعض أنواع العبادة:	٥٠
الأصل الثَّاني: معرفة العبد دينه:	٥٦
بيان مراتب الدين الثلاثة وأدلتها:	٥٦
المرتبة الأولى: الإسلام، تعريفه، وأركانه وأدلتها:	٥٦
المرتبة الثانية: الإيمان، تعريفه، وأركانه وأداتها:	٦١
المرتبة الثالثة: الإحسان، تعريفه، وركنه، ودليل ذلك:	٦٤
الأصل الثالث: معرفة العبد نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	٦٥
الأمر ببقية شرائع الإسلام بعد الهجرة:	٧٢
بيان ما بعث اللَّه به الرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:	٧٤
فهرس الموضوعات:	٨١

شرح

القواعد الأربع

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ

الحمد للَّه وحده وصلى اللَّه وسلم على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه أمَّا بعد:

فقد قرأت هذا الشرح لشيخنا ووالدنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأكرم مثواه على القواعد الأربع في التوحيد، والتي ألفها الشيخ المجدِّد العالم العلَّامة محمد بن عبد الوهاب التميمي رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر لنا وله، وقد وضح الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الشرح ما تضمنته هذه القواعد من بيان التوحيد الَّذي فرضه اللَّه على العبيد، وما ينافيه من الشِّرك، وبين حال المشركين الأوَّلين، وإقرارهم بتوحيد الربوبية، وأنه لم يعصم دماءهم وأموالهم؛ بل صار حُجَّةً عليهم، ولعل اللَّه تعالى أن ينفع بهذا الشرح المفيد، كما نفع بأصله، وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه.

عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه الجبرين رَحِمَهُ اللَّهُ

١٤٢٦/١٠/٢٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده محمد وآله وصحبه

أما بعد فقد قرأت هذا الشرح لمشيخنا وعالمنا سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله وأكرم مثواه على أربع القواعد

في التوحيد والتي ألفها الشيخ المجدد العالم العلامة محمد بن عبد الوهاب التميمي

رحمه الله وغفر لنا وله وقد وفى الشيخ رحمه الله في هذا الشرح ما تضمنته

هذه القواعد من بيان التوحيد الذي فرضه الله على العبيد وما ينافيه من الشرك

وبين حال المشركين الأولين وما أمرهم به توحيد الربوبية وأنه لم يعصم دماءهم

ولا أموالهم بل صار حجة عليهم ولعل الله تعالى أن ينفع بهذا الشرح المفيد كما

نفع بأصله والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ١٤٢٦/١/٢٤هـ

عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين

مُقَدِّمَة

الحمد للَّه وحده والصَّلاة والسَّلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإنَّ من رحمة اللَّه تعالى بهذه الأمة أن قيَّض لها في كل عصر من العصور علماء ناصحين، ودعاة مصلحين ينفون عن دين اللَّه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ومن هؤلاء الدُّعاة المصلحين الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه اللَّه تعالى ـ الَّذي جَدَّدَ اللَّه به أمر الدين بعد ما كادت أن تندرس معالمه، ولقد وفق اللَّه ذلك الإمام إلى تدوين عدد من المؤلفات النافعة المختصرة في ألفاظها ومبناها، العظيمة في معناها، ومن تلك المؤلفات «القواعد الأربع» التي اعتنى بها أئمة الدعوة من بعده، وحرصوا على شرحها، وبيان معانيها لطلابهم وتلامذتهم.

وممن اعتنى بكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب عامةً، سماحة شيخنا العلَّامة الشيخ عبد العزيز ابن باز ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حيث درَّسها مرارًا، وشرح معانيها، وجَلَّى مراميها بتعليقات محكمة ثرية بالنُّصوص الشرعية والمعاني الجليلة.

ويطيب **«لمؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية»** أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على **«القواعد الأربع»** ضمن سلسلة إصدارتها لشروح وتعليقات سماحة الشيخ ابن باز على كتب أهل العلم وفق الضوابط العلمية

المقرة في لائحة المؤسسة كالالتزام برسم المصحف العثماني في إيراد الآيات، والأحاديث مضبوطة بالشكل والحاشية مختصره مع ترجمة موجزة لسماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد تولَّى مراجعة هذه المادة كل من:

* فضيلة الشيخ العلَّامة عبد اللَّه بن عبد الرحمن بن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ.
* فضيلة الشيخ د. عبد العزيز بن عبد اللَّه آل عبد اللطيف وفقه اللَّه.

نسأل اللَّه تعالى أن يضاعف الأجر والمثوبة للشيخين الكريمين على ما بذلا، وأن يجعل هذه المادة في موازين حسنات شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه اللَّه تعالى وأسكنه فسيح جناته.

وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مؤسسة
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

مقدمة الشارح للقواعد الأربع

بسم اللَّه والحمد للَّه وصلَّى اللَّه وسلَّم على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد:

فهذه «القواعد الأربع» نبَّه عليها المؤلف رحمة اللَّه عليه، وهي قواعد مهمة، فمن عقلها وفهمها جيدًا، فَهِمَ دين المشركين، ودين المسلمين، وأغلبُ الخلق لا يفهمُ هذه القواعد؛ ولهذا إلتبست عليهم الأمور، فعبدوا القبور وأصحابها، والأولياء، والأشجار والأحجار من دون اللَّه، وهم يحسبون أَنَّهم على شيء لجهلهم بحقيقة التوحيد، وحقيقة الشرك.

ومؤلِّف هذه القواعد: هو الشيخ الإمام محمَّد بن عبد الوهاب ـ رحمة اللَّه عليه ـ المجدِّد لما انْدَرَسَ من معالم الإسلام في هذه الجزيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، المتوفى سنة ستٍّ ومائتين وألف من الهجرة النبوية[(١)].

(١) لسماحة الشيخ محاضرة عن دعوته وسيرته، ألقاها عام ١٣٨٥هـ حينما كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية، وطبعة في رسالة مستقلة، وتوجد ضمن مجموع الفتاوى، وله مقالات عن دعوته الإصلاحية، وردود على المناوئين له، ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٣٥٤ حتى ٣٨٤) و«فتاوى نور على الدرب» جمع الطيار والموسى (١/ ١٩-٢٥ س٦ وس٧) و«نور على الدرب» جمع الشويعر (٨/ ٣٨-١٥٤).

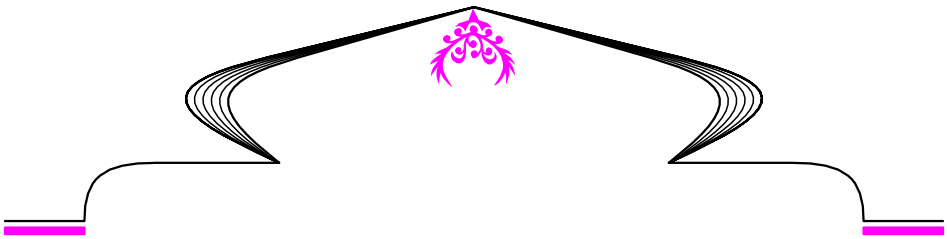

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

«أَسْأَلُ اللَّهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ».

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يجمع ـ في مقدمته هذه ـ بين الإفادة، وبين الدُّعاء للطالب، وهذا من النُّصح، أن يدعو للطالب بالتوفيق ويفيده، ولا شك أنَّ الطالب إذا قَبِلَ اللَّهُ هذا الدُّعاء في حقِّه سَعِدَ.

قوله: «وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ»، فإنَّ هؤلاء الخصال الثلاث عنوان السَّعَادَةِ، إذا حرص المؤمن على هذه الخصال، فقد تمت سعادته، فهو يشكرُ اللَّه على ما أعطاه بفعل أوامره، وترك نواهيه، وإذا أذنب استغفر، وتاب إلى اللَّه، هذا هو شأن المؤمن؛ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ؛ ولهذا يقول ﷺ: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[(١)].

(١) أخرجه من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم برقم (٢٩٩٩).

وهذا هو الواجب على المؤمن أنْ يشكر اللَّه عند الرخاء، وعند النِّعم، من الصحة والعافية، ونعمة الإسلام، ونعمة الأولاد، ونعمة المال إلى غير ذلك، فهو يشكر اللَّه عليها بطاعة أمره، وترك نهيه، هذا هو الشكر، كما قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سَبَإٍ: ١٣] يعني: يطيع أوامره، وينتهي عن نواهيه، ويصرف النِّعم في طاعة المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعند البلاوي من المرض أو موت الولد، أو القريب ونحو ذلك، يصبر ويحتسب، ولا يجزع بل يتحمل، فلا يضرب خدًّا ولا يشق جيبًا، ولا يدعو بدعوى الجاهلية، ولا يتكلم بفحش؛ بل يتحمل ويصبر، وعند الذنوب يبادر بالتوبة والاستغفار.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللَّهُ لِطَاعَتِهِ أَنَّ الْحَنِيفِيَّة مِلةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذّاريَات: ٥٦].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تُسَمَّى صَلَاةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦] **وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ».**

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا عرف المؤمن أَنَّ التوحيد إذا دخله الشِّرك أفسده، كما أنَّ الحدث إذا دخل الطَّهارة أفسدها، عرف أنَّ أَهمَّ شيءٍ عليه معرفته هو التوحيد على حقيقته، ويعرف الشِّرك على حقيقته، حتَّى لا يقع في الشِّرك، فيبطل توحيده، ودينه وإسلامه.

لأنَّ التوحيد: هو دين اللَّه، وهو الإسلام، وهو الهُدى، فإذا فعل شيئًا من أنواع الشِّرك بطل هذا الإسلام، وبطل هذا الدين؛ كأن يدعو الأموات ويستغيث بهم، أو يسب الدِّين، أو يسب اللَّه أو يسب الرسول ﷺ، أو يستهزئ باللَّه ورسوله ﷺ، أو يستهزئ بالدِّين، أو يَدَعُ ما أوجب اللَّه عليه، ويعتقد حلَّ ما حرَّم اللَّه ممَّا هو معلوم من الدِّين بالضرورة، كالزِّنا وأشباهه، فإذا أتى بشيء من هذه النواقض بطل إسلامه، كما أنَّ من أتى بناقض من نواقض الطَّهارة من ريح أو بول أو غائط بطلت طهارته، وهكذا توحيده وإسلامه، إذا وجد منه ناقض بطل هذا التوحيد، وهذا الإسلام، كالمسلم الَّذي يَسُبُّ اللَّه والدِّين ويستهزئ به كفر حتَّى يتوب، وكذا من سبَّ اللَّه كفر، ومن جحد وجوب الصلاة كفر، ومن جحد تحريم الزِّنا كفر، ومن استغاث بالموتى ونذر لهم كفر، وهكذا فنواقض الإسلام تبطله، كما أنَّ نواقض الطهارة تبطلها.

وممَّا يبيِّن ويشرح لك حقيقة الدِّين أنْ تتعلم هذه القواعد التي جاءت في كتاب اللَّه، فإذا درستها وتأملتها اتضح لك الأمر أكثر.

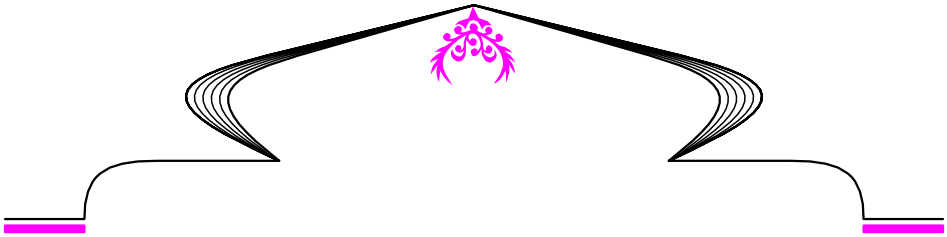

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الأُولَى

«أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

القاعدةُ الأولى: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ الرَّسُولُ ﷺ، والصَّحابَةُ رضي الله عنهم مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، مُقِرُّون بأنَّ اللَّه خالقهم ورازقهم، ومدبر أمورهم، وليس عندهم في هذا شك، وَجُهَّال المسلمين اليوم يحسبون أنَّ الإقرار بهذا التوحيد يكفي - للدخول في الإسلام -.

إذا أقرَّ أنَّ اللَّه الخالق الرَّازق، وأنَّه ربَّه كفى هذا من الجهل؛ إذْ صار المشركون أعلم منهم، فإذا أقرَّ أحدهم بالربوبية، وقال: إنَّ اللَّهَ رَبِّي وَخَالقي، ورازقي، اعتقد أنَّ ذلك يكفي، لا، ما يكفي ذلك، فالمشركون أقرُّوا بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ

خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ويقول: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١] ـ فالمشركون ـ مُقِرُون بذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ﴾ يعني: يا محمد: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

فما دمتم تعرفون هذا أفلا تتقون الإشراك باللَّهِ، وترجعون إلى التوحيد والحقِّ؟!، فهم يعرفون هذه الأمور، ويقرُّون بها لِلَّهِ، ومع هذا ما أسلموا فلم ينفعهم ذلك، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ؛ لأنَّهم ما خصوا اللَّهَ بالعبادة؛ بل أشركوا مع اللَّهِ اللَّات والعُزَّى ومناة، وأصنامهم الكثيرة.

فالتوحيد: هو صرف العبادة لِلَّهِ وحده، والإيمان بأنَّه وحده المستحق لها دون ما سواه، وممَّا يبيِّن لك هذا أنَّ المشركين، يقولون: ما دعوناهم وما توجَّهنا إليهم، إلَّا لطلب القربة والشفاعة، كما في القاعدة الثانية.

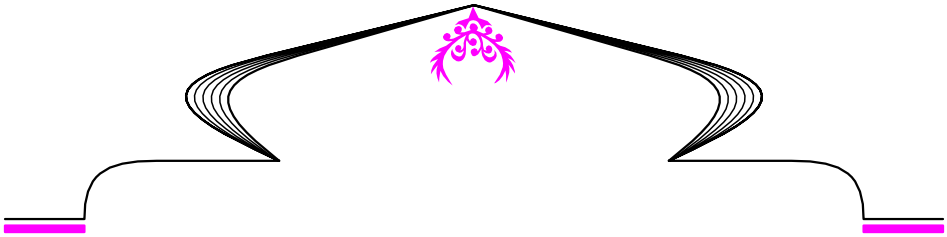

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الثَّانِيَّةِ

«أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ، فَدَلِيلُ الْقُرْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣].

وَدَلِيلَ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ، شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ:

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، فِيمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ: هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ، وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الْإِذْنِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ما قصدنا أَنَّ الأصنام يخلقون، أو يرزقون، أو يُدبِّرون

الأمور، أو يحيون الموتى، نحن نعرف أنَّ هذا كُلُّهُ لِلَّه ﷻ؛ ولكن قصدناهم ليشفعوا لنا ليقرِّبونا إلى اللَّهِ زلفى؛ لأنَّهم أحسن منَّا، فهم أصحاب دين، ولهم طاعات، وأعمال صالحات؛ ولهذا نعبدهم وندعوهم، ونستغيث بهم، ليقربونا إلى اللَّهِ، وليشفعوا لنا؛ لأنَّهم خيرٌ منَّا وأوْجَهُ، كما قال جلَّ علا عنهم في سورة تنزيل الزمر: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] يعني: أنَّهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ يعني: الأنبياء والصالحين ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ يعني: ما عبدناهم لأنَّهم يخلقون، أو يرزقون، بل عبدناهم؛ لأنَّهم يقرِّبون إلى اللّه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزُّمَر: ٣] سمَّاهم في هذه الآية بالكذبة، الكَفَرَة.

فهذا يدل على أنَّ عبادتهم إيَّاهم؛ لأجل طلب التقريب أنَّه من الكُفر، وإن لم يقولوا: أنَّهم يخلقون ويرزقون، إذا دعوهم واستغاثوا بهم، ونذروا لهم، وذبحوا لهم بقصد القربة، وأنَّهم يشفعون لهم، هذا هو الكفر الَّذي فعله المشركون الأوَّلون؛ ولهذا سمَّاهم كَذَبةً كفرةً؛ يعني: كذبوا بأنَّهم يقربوهم إلى اللَّهِ، وكفروا بهذا العمل.

يقول سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] فأقرُّوا بأنَّ آلهتهم لا تنفع ولا تضر، ومع ذلك يقولون: أنَّهم يشفعون لهم، فهم مُقِرُّون بهذا، واللَّهُ جلَّ وعلا يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول اللَّه تعالى: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافِر: ١٨].

وهذا الشِّرك أبطل حصول الشَّفاعة لهم، ولم ينفعهم؛ بل ضرَّهم، وإنَّما الَّذي ينفعهم هو أن يتوبوا إلى اللَّهِ، ويستقيموا على التَّوحيد، وأن يعبدوا اللَّهَ وحده، وَيَدَعُوا الإشراك به، هذا هو الَّذي

ينفعهم أن يوحِّدوا اللَّه، كما هو معنى: «لَا إِلَه إِلَّا اللَّه» يعني: يَخُصُّون اللَّه بالعبادة والدُّعاء والخوف والرَّجاء والذَّبح والنَّذر، كُلُّها لِلَّه وحده، ولا يشركون مع اللَّه أحدًا لا نبيًّا مرسلًا، ولا ملكًا مُقرَّبًا، ولا جِنِّيًّا ولا غير ذلك، هذا هو دين اللَّهِ.

والمشركون الَّذين قاتلهم النَّبِيّ ﷺ فعلوا ما يدل على ذلك، أي: صرفوا العبادة لغير اللَّهِ والتوحيد، والدِّين، والإسلام: هو صرف العبادة للَّه وحده، وعدم صرفها لغيره، ولو زعم أنَّ ذلك الغير لا يخلق، ولا يرزق، ما دام صرف له العبادة، فقد كفر، وإنْ اعتقد أنَّ ذلك المعبود لا يخلق، ولا يرزق، فإنَّ المشركين قد اعتقدوا هذا، فهم يعلمون أنَّ معبوداتهم لا تخلق، ولا ترزق، وأنَّها فقيرة، وأنَّها مملوكة، فلم يعذرهم اللَّهُ بذلك؛ بل كَفَّرهم بطلبهم الشَّفاعة من غير اللَّه، وصرفهم العبادة؛ لأجل طلب الشَّفاعة.

فالحاصل: أنَّ دعاءهم لغير اللَّهِ واستغاثتهم بغير اللَّهِ، وصرف بعض العبادات لغير اللَّهِ، يجعل العبد مشركًا،وإنْ أقرَّ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبر، وإنْ أقرَّ بأَنَّ معبوداتهم لا تنفع، ولا تضر؛ ولكنه يريد شفاعتهم، أو يريد أنْ يُقرِّبوه، فهذا لا يُخَلِّصُه من الشرك.

فالَّذي يَعبد البدوي، أو الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو الرَّسولَ ﷺ، أو يَعبد صنمًا أو جنِّيًّا، ويقول: أنا اعتقد أنَّه يقرِّبني، ولا اعتقد أنَّه يخلق، أو يرزق، فإنَّه يُبَيَّنُ له أَنَّ هذا هو الشِّرك الأكبر، وأنَّ هذا هو دين المشركين الَّذي كانوا عليه، يقول اللَّهُ تعالى عنهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

فالواجب عليه أنْ يحذر دين المشركين بالتوبة النصوح والإقلاع عن الشِّرك، وتعليم من لم يفقه ذلك من إخوانه وعشيرته، وأهل بيته، ويكون عنده نشاط في تبليغ الدَّعوة، والحرص على تفهيمهم،

وأنَّ قولهم: أنَّ الآلهة الَّتي عبدوها تقربهم إلى اللَّهِ زلفى، وأنَّهم لا يقصدون أنَّها تنفع أو تضر؛ وإنَّما قصدوا شفاعتها وتقريبها، هذا هو الشِّرك الأكبر؛ كونهم قصدوا تقريبها لهم إلى اللَّهِ وشفاعتها لهم عنده، فصرفوا لها العبادة، فهذا هو الشِّرك الأكبر.

والشَّفاعة شفاعتان:

شفاعة مثبتة مرضيَّة، وهي: الَّتي يأذن اللَّه بها ويرضاها كشفاعة النَّبيِّ ﷺ؛ لأهل الموقف حتَّى يقضي بينهم بإذنه سبحانه، وشفاعته في أهل التوحيد حتَّى يدخلوا الجنَّة بإذنه ورضاه ﷻ[(١)].

وشفاعة منفية باطلة وهي: الشَّفاعة الَّتي يطلبها المشركون من غير اللّه يطلبونها من أتباعهم من الأنبياء، أو الصَّالحين، أو الملائكة، أو الجنِّ، أو الأشجار، والأحجار، وهذه شفاعة باطلة، قال اللَّه تعالى فيها: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] ويقول تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافر: ١٨] فهي شفاعة باطلة؛ لأنَّهم طلبوها من غير اللَّه، وتوسلوا إليها بالشِّرك، فصارت باطلة[(٢)].

(١) يشير إلى حديث الشَّفاعة الطويل المشهور المتفق عليه عن أنس ﷺ أخرجه البخاري، برقم (٧٥١٠) ومسلم، برقم (١٩٣).

(٢) ينظر: للمزيد حول الشَّفاعة وأدلتها شرح سماحته لكتاب «التوحيد» (ص ١٦٧ وحتى ١٧٥) و«مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحته (١/ ٣٧٠، ٤/ ٤٠٣، ١٦/ ١٠٧، ٢٤/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦/ ١٩١) و«فتاوى نور على الدرب» (١/ ١١٧ س٥٥) جمع/ د. عبد اللَّه بن محمَّد الطيار، والشَّيخ محمَّد بن موسى الموسى، و«فتاوى نور على الدرب» لسماحته جمع د. محمَّد بن سعد الشويعر (٢/ ١٠٣-١٠٦، ٢٠٢، ٢٠٣).

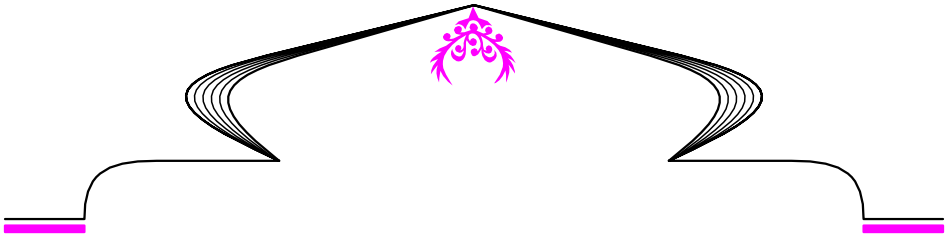

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

القَاعِدَةُ الثَّالِثَةُ

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٧].

وَدَلِيلُ الْمَلَائِكَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

وَدَلِيلُ الْأَنْبِيَاءِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسرَاء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الْأَشْجَارِ وَالْأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النّجم: ١٩-٢٠].

وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ» الحديث[1].

القَاعِدَةُ الرابعةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِنَ الأَوَّلِينَ؛ لِأَنَّ الأَوَّلِينَ يُشْرِكُونَ فِي الرَّخَاءِ، وَيُخْلِصُونَ فِي الشِّدَّةِ، وَمُشْرِكُوا زَمَانِنَا شِرْكُهُمْ دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ، وَالدَّلِيلُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥].

تمت وصلَّى اللَّهُ على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم».

قال الشارح رحمه الله:

هذه هي **القاعدة الثالثة**، وهي: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظَهَرَ فِي أُنَاسٍ مُتَفَرِّقِينَ فِي عِبَادَاتِهِمْ، وذكر بعدها **القاعدة الرابعة**: من القواعد الأربع الَّتي من عَقلها وفهمها جيِّدًا، عَقل دين المشركين، وعَقل دين المرسلين، وعرف الفرق بينهما، وهي قواعد مُهمَّة وواضحة، أوضح فيها المؤلف رحمه الله حقيقة الشِّرك، وحقيقة ما عليه المشركون، وأوضح فيها حقيقة ما دعا إليه النَّبِيّ ﷺ وما أرشد إليه، وما بعثه اللّه به.

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٨٠) وقال: حديث حسن صحيح.

فمن عَقلَ هذه القواعد الأربع، كما ينبغي عرف دين المشركين على بصيرة، وعرف دين الرُّسُل على بصيرة.

وقد تقدَّمت **القاعدة الأولى**: في بيان أَنَّ المشركين مُقِرُّون بتوحيد الربوبية، وأنَّهم لا ينكرون أنَّ اللَّهَ هو الخالق، الرَّازق، المُدبِّر، المحي، المميت، الرزَّاق للعباد، يعرفون هذا؛ ولهذا أقرُّوا به لما سئلوا: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] كما تقدَّم: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

وبيَّن في **القاعدة الثانية**: أنَّهم يقولون: «ما دعوناهم وتوجَّهنا إليهم إلَّا لطلب القربة والشَّفاعة» يعني: أنَّهم ما توجهوا إليهم يعتقدون فيهم أنَّهم يخلقون أو يرزقون لا، يعرفون أنَّ الخلَّاق الرَّزَّاق هو اللَّه؛ ولكن عبدوهم يرجون شفاعتهم، وتقريبهم إلى اللَّه، يقول اللَّه تعالى على لسانهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

هذا هو شركهم، يقولون: دعوناهم وتوجَّهنا إليهم ليقربونا إلى اللّه، وليشفعوا لنا عنده، واللّه هو الرَّزاق الخَالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- وتقدَّم تفصيل الشَّفاعة[1].

وأمَّا شرك المشركين المتأخرين، فشركهم دائم: في الرَّخاء والشِّدَّة، ومع الأنبياء وغيرهم، وبعضهم أشرك في الرُّبوبية، واعتقد أنَّ بعض المشايخ، والصَّالحين يتصرَّف في الكون، ويتصرَّف في النَّاس، وهذا من سخافة العقول وضلالها، فصاروا أَسْفَهَ من

(١) في (ص٩٩).

المشركين الأوَّلين، وأقلُّ عقلًا وأعظم شركًا[١].

ثُمَّ ذكر في **القاعدة الثالثة**: وهي أنَّ النَّبِيَّ ﷺ ظهرَ في أُناسٍ شركهم متنوع، ومتفرقين في عباداتهم منهم من يَعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الصَّالحين، ومنهم من يعبد الجنَّ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشَّمس والقمر، فقاتلهم ﷺ جميعًا وقاتلهم الصَّحابَةُ رضي الله عنهم، ولم يفرِّقُوا بينهم، وذكر الآيات الدَّالة على ذلك، مثل قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٨٠].

فجعل عبادة الملائكة والأنبياء كُفْرٌ، وذكرَ في قصة عيسى والنَّصارى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المَائدة: ١١٧].

وذكر في الأشجار والأحجار والصَّالحين كذلك: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النَّجْم: ١٩-٢٠] واللَّات: رجلٌ صالح، ومناة: حجر، والعُزَّى: شجرة[٢].

والمقصود: أنَّ المشركين تنوَّعت عباداتهم لغير اللَّه، منهم من يعبد الشَّمس والقمر، ومنهم من يعبد النُّجوم، ومنهم من يعبد الجنَّ إلى غير ذلك، فقاتلهم الرسول ﷺ وقاتلهم الصَّحابَةُ رضي الله عنهم، ولم يفرِّقوا بينهم، فالشِّرك واحد، وإنْ تنوع المعبودون، فالَّذي يعبد الشَّمس، أو القمر، أو الملائكة، أو الأنبياء، أو الصَّالحين، أو

(١) هذا توضيح وشرح مجمل للقاعدة: الأولى والثانية والرابعة، وتأتي الثالثة فيما يلي.
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٥٥).

النُّجوم، أو غيرهم، كلهم مشركون، سواء كان المعبود صالحًا أو جمادًا أو نبيًّا، أو ملكًا أو غير ذلك، واللَّه جلَّ وعلا يقول: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [الحَجّ: ٣٤].

فمن خالف هذه الآيات، وما جاء في معناها، فقد أشرك سواء فعل ذلك مع الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو الجنِّ، أو النُّجوم، أو الشَّمس، أو القمر، أو غير ذلك؛ ولهذا أنزل اللَّه جلَّ وعلا فيهم: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ يعني: شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفَال: ٣٩].

فالشِّرك: يطلق عليه فتنة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ يعني: حتَّى لا يقع شرك باللَّهِ، ويكون الدِّينُ كُلُّهُ له، والاختلاف يُسمَّى فتنة، والمعاصي تُسَمَّى فتنة؛ ولكن هنا الفتنة الشِّرك باللَّه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ﴾ ثُمَّ قال: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ ثُمَّ قال: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ [البَقَرَة: ٢١٧] يعني: الشِّرك.

فالفتنة: هي الشِّرك، وهي أكبر من القتل، كون الإنسان يقتل نفسًا هذه جريمة عظيمة ومنكر عظيم؛ لكن كونه يشرك باللَّهِ أعظم من القتل، نسأل اللَّه العافية.

فدلَّ ذلك على أنَّ الواجب على ولاة الأمور أنْ يقاتلوا عُبَّاد غير اللَّهِ مطلقًا كائنًا من كان هذا المعبود، إذا دُعُوا إلى اللَّه وأرشدوا، ولم يقبلوا وجب قتالهم كما قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا

تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبَة: ٤١] ويقول جلَّ وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصَّف: ١٠-١١]، ويكون القتال مع القدرة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغَابُن: ١٦].

وممَّا يتعلق بعبادة الأحجار والأشجار حَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِي رضي الله عنه[(١)] لَمَّا خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَكَانُوا حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِالكُفْرِ[(٢)] مَرُوا عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ سِدْرَةً وَيُعَظِّمُونَهَا وَيُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا السِّلَاحَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِذَا عُلِّقَ عَلَيْهَا يَكُونُ أَمْضَى وَأَقْوَى، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[(٣)]، كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعرَاف: ١٣٨]»[(٤)].

---

(١) أبو واقد اللَّيثي صحابي اختلف في اسمه واسم أبيه، فقيل: الحارث بن مالك، وقيل: الحارث بن عوف، وقيل اسمه عوف بن الحارث، مشهور بكنيته مات سنة (٦٨هـ) ينظر: «الاستعاب» لابن الأثير، (١/ ٨٨) و«تهذيب الكمال» للمزي (٥/ ٢٧١) و«تقريب التهذيب» للحافظ ابن حجر: (ص٦٨٢ برقم ٨٤٣٣).

(٢) يعني قريب عهد بالخروج منه، والدُّخول في الإسلام، وأنه لم يتمكن الدِّين في قلوبهم. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير مادة: [حدث] باب الحاء مع الدال (ص ١٩٢).

(٣) ذات أنواط: هي اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب النون مع الواو مادة: [نوط] [ص٩٤٦].

(٤) سبق تخريجه في (ص ١٠١).

فجعل طلب إيجاد شجرة تُعبد، مثل قول بني إسرائيل ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ فإذا قال: نريد شجرةً نعبدها، أو حجرًا نعبده، أو قبرًا نعبده، نُعلق عليه السَّلاح، ندعوه نستغيث به ننذر له فهو مثل قول بني إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ وهذه قاعدة عظيمة مع القاعدتين السابقتين.

ثُمَّ أوضح في **القاعدة الرَّابعة**: أنَّ شرك الأوَّلين أخفُّ من شرك المتأخرين، فشركُ هؤلاء أعظمُ وأقبحُ، فالأوَّلون شركُهم كان في الرَّخاءِ ويُخلصونَ في الشِّدَّةِ،أمَّا هؤلاء المشركون في غالب البلدان، شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّةِ، كَعُبَّاد البدوي، وعُبَّاد الحسين، وعُبَّاد الشَّيخ عبد القادر الجيلاني وغيرهم، شركهم دائمٌ، فالواجب الحذر من شرك المشركين في الشِّدَّة والرخاء دقيقه وجليله.

وممَّا يدل على أنَّ المشركين يشركون في الرخاء دُونَ الشِّدَّة، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ يعني: الباخرة في السفينة: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥] يعني: أخلصوا لِلَّه الدُّعاء يخافون أنْ يغرقوا في البحر، أو تنقلب السفينة وتغرق، فعند هذه يخلصون لِلَّه العبادة، فإذا نجَّاهم إلى البَرِّ وسَلِمُوا عادوا إلى الشرك نعوذ باللَّهِ.

وفي الآية الأخرى يقول ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾ [الإســـــــــرَاء: ٦٧] وهكذا في الآية الأخرى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: ٣٢].

هكذا حال المشركين عند الشدائد، يخلصون لِلَّه العبادة، ويعلمون أنَّه المنجِي في الشدائد، وأنَّه لا إله غيره، وإذا جاء الرَّخاء

وقعوا في الشِّرك مع آلهتهم وأصنامهم.

أمَّا هؤلاء المشركون في أوقاتنا هذه، فشركهم دائم، لا بصيرة عندهم، يعبدون غير اللَّهِ في الرَّخاء والشِّدَّة، ولا تمييز عندهم لضعف العقول وغلبة الجهل، نسأل اللَّه العافية والسَّلامة، وفق اللَّه الجميع.

وصلّى اللَّه على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

فهرس الموضوعات
لكتاب شرح القواعد الأربع

الموضوع	رقم الصفحة
تقريظ الشيخ العلامة عبد اللَّه بن جبرين:	٨٥
مقدمة مؤسسة عبد العزيز بن باز:	٨٧
مقدمة الشارح الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٨٩
مقدمة المؤلف محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:	٩١
القاعدة الأولى:	٩٥
القاعدة الثانية:	٩٦
القاعدة الثالثة:	١٠٠
القاعدة الرابعة:	١٠١
فهرس الموضوعات:	١٠٩

التعليق
على
فضل الإسلام

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

تعليق

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لِلَّهِ وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسول اللَّهِ، وعلى آله وأصحابه، ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فيطيب **«لمؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية»** أن تضع بين يدي القارئ الكريم تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على كتاب **«فضل الإسلام»** لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ ضمن سلسلة إصداراتها لشروح وتعليقات سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على كتب أهل العلم.

وهذا التعليق، بيّن فيه سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ مراد المؤلف من كتابه **«فضل الإسلام»** وأوضح ما تضمنه الكتاب من الحثِّ على الدخول في دين الإسلام، والالتزام به كُلِّه ظاهرًا وباطنًا، والتحذير من الابتداع، وبيان خطره على الدِّين، والفرد، والأمة والمجتمع.

وقد تميَّز هذا التعليق بسلاسة الأسلوب، ووضوح العبارة المُدعَّمةِ بالدِّليل، كما هي عادة سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد راجعه في طبعته الأولى فضيلة الشيخ د. عبد العزيز بن محمَّد السدحان حفظه اللَّه، ثُمَّ كان إعادة العمل وإعداده للطبعة الثانية هذه.

نسأل اللَّه أن ينفعنا به، وكُلَّ من قرأه واطَّلع عليه، وأن يجعل أجر هذا الجهد المبذول في إخراج هذا التعليق في موازين حسنات

شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ وأسكنه فسيح جنَّاته، إنَّهُ وليُّ ذلك، والقادر عليه، وصلَّى اللَّه على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

مؤسسة
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

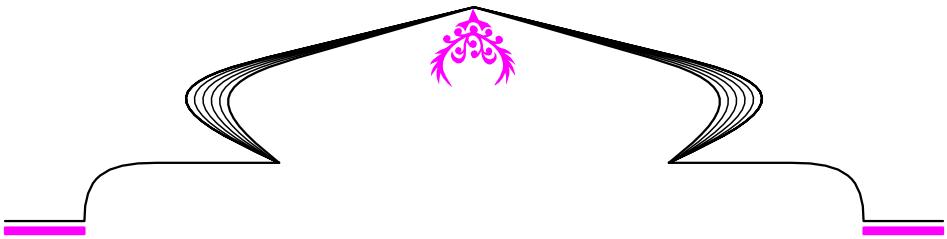

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

وبه نستعين

باب فضل الإسلام

وقول اللَّهِ تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ [يُونس: ١٠٤] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحَديد: ٢٨].

وفي "الصَّحيح" عَن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُم وَمَثَلُ أَهْلِ الكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتْ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ أَجْرًا؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ؟ قَالُوا:

لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»[(١)].

وفيه أيضًا عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللَّهُ عَن الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِن أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»[(٢)].

وفيه تعليقًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ: الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»[(٣)] انتهى.

وعَن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّة؛ إِنَّهُ لَيْسَ مِن عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِن خَشْيَةِ اللَّهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِن عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِن خَشْيَةِ اللَّهِ إِلَّا كَانَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ يَبِسَ وَرَقُهَا، فَبَيْنَمَا هِيَ كَذَلِكَ إِذْ أَصَابَتْهَا الرِّيحُ فَتَحَاتَّ عَنْهَا وَرَقُهَا، كَمَا تَحَاتُّ عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا، وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ خَيْرٌ مِن اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٢٢٦٨) وفيه بدل: «**وَأَقَلُّ أَجْرًا**» «**وَأَقَلُّ عَطَاءً**».

(٢) أخرجه باللَّفظ المُستشد به مسلم عن أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وتمامه: «**المَقْضِيّ لهُمْ قَبْلَ الخَلَائق**» وفي لفظ: «**المَقْضِيّ بَيْنَهُم قَبْلَ الخَلَائِقِ ...**» برقم (٨٥٦).

(٣) علّقه البخاري في «صحيحه» باب الدِّين يسر، في كتاب الإيمان قبل رقم (٣٩) ووصله في «الأدب المفرد» (ص ٤٠٤ برقم ٩٤١) والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٦ برقم ٢١٠٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وحسّنه الحافظ في "الفتح" (١/ ٩٤).

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٢/ ٢١ برقم ٨٧) وأبو داود في «الزهد» (١/ ٨٣ برقم ١٨٩)، ومن طريقة ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٢٤ برقم ٣٥٥٢٦).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: «يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَعِيبُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وَصِيَامَهُمْ؟! وَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرِّ صَاحِبِ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنْ عِبَادَةِ الْمُغْتَرِّينَ»[(١)].

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

المقصود من هذا: أنَّ اللَّهَ تعالى جعل هذا الإسلام أفضل الأديان، وهو دين اللَّهِ الَّذِي به السعادة والنجاة، وأنَّ العبدَ لو تمسك به واستقام عليه له الجنَّة والكرامة، وأنَّ اجتهادات العبد في صلاة أو صوم أو غير ذلك على غير السُّنَّة لا تنفعه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

فالواجب على جميع المكلفين: التمسك بالإسلام، والاجتهاد في طاعة اللَّهِ؛ هذا هو طريق النجاة، والسعادة، فالاقتصاد في الإسلام والسير عليه بالقليل خير من اجتهاد فيه بالكثير في غير إسلام وسنَّةٍ، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّهِ.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١/ ٢١١ برقم ٣٧٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١١).

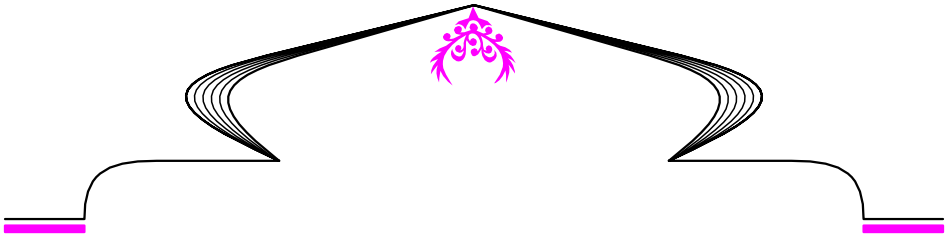

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب وجوب الدخول في الإسلام

وقول اللَّهِ تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقول اللَّهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال مجاهد: «السُّبُل: البدع، والشبهات»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه(٢)، وفي لفظ: قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(٣).

وللبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»(٤).

وفي "الصَّحيح" عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٩/ ٦٧٠) والدارمي في «سننه» برقم (٢٠٩).
(٢) أخرجه البخاري، برقم (٢٦٩٧) ومسلم، برقم (١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم، برقم (١٧١٨).
(٤) أخرجه البخاري، برقم (٧٢٨٠).

الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِحَقٍّ؛ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ» رواه البخاري[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: سُنَّة الجاهلية يندرج فيها كل جاهلية مطلقة أو مقيدة، أي: في شخص دون شخص كتابية أو وثنية أو غيرهما من كل مخالفة لما جاء به المرسلون»[٢].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

الشاهد: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ» وأنَّ الواجبَ على العبد: التمسك بالإسلام، والحذر من سنن الجاهلية؛ فالعمل بالإسلام ولو قلَّ هو الذي ينفع، أمَّا الاجتهاد في غير الإسلام والسُّنَّةِ، فيضرُّ ولا ينفع، فالواجب على جميع المكلفين: التمسك بالإسلام، والتقيد بدين اللَّهِ، والسير عليه في كل شيء إخلاصًا لِلَّه، ومتابعة لرسوله ﷺ.

❖ ❖ ❖

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفِي "الصَّحيح" عَن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ القُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا[٣] فَقَد سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَد ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»[٤].

وعن محمد بن وضّاح أنَّه كان يدخل المسجد فيقف على الحلق فيقول: فذكره....

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٨٨٢).
(٢) انظر: كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٧٩).
(٣) في النسخة المقروءة [فإن استقمَ].
(٤) أخرجه البخاري، برقم (٧٢٨٢).

وقال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قال عبد اللَّه يعني: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس عام إلَّا والذي بعده أشر منه، لا أقول: عام أمطرُ من عام، ولا عام أخصبُ من عام، ولا أمير خيرٌ من أمير، لكن ذهاب علمائكم، وخياركم، ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم، فيهدم الإسلام وَيُثلَمُ[(١)]»[(٢)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**اسْتَقِيمُوا**» يعني: على الطريق، «**والقراء**» يعني: العلماء وطلبة العلم، أي: استقيموا على دين اللَّهِ، فإذا استقام العبد فقد سبق سبقًا بعيدًا، وإن حاد يَمينًا وَشِمالًا فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا، فالواجب، التَّمسك بما شرعه، اللَّهُ، والحذر ممَّا ذم اللَّه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

فكن على الطريق ولو مقتصدًا مع الأبرار المقتصدين خيرٌ من أنْ يسلك الطُّرق المنحرفة عن الهدى؛ لأنَّها تُضِلُّهُ وتبعده عن اللَّهِ ﷻ، بل صاحب الهدى وإن ظلم نفسه ببعض المعاصي فهو على طريق النجاة، لكن من سار على غير الإسلام، وابتغى في الإسلام سنّة الجاهلية فهو في طريق الهلاك، نسأل اللَّه العافية والسَّلامة.

---

(١) ثَلَمَ الإناء والسيف ونحوه يثلمه ثلمًا، وثلَّمه فانثلم، وتثلَّم كسر حرفه، والثُّلمة: خرجة الحرف المكسور. «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده، حرف الثاء واللام والميم، (١٠/ ١٥٥) و«القاموس المحيط» لفيروزآبادي (١٠٠٢) مادة: [ثلم] فالثلم هو الكسر والجرح، فإن الابتداع في الدِّين هو هدم له وجرح فيه، نسأل العافية.

(٢) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» رقم (١٧، ١٨) وجوّد سنده الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٢٠).

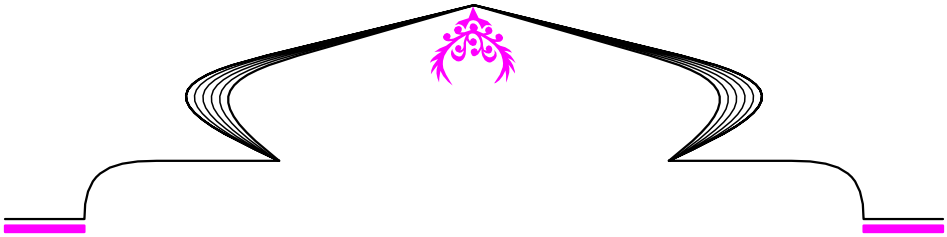

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب تفسير الإسلام

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ الآية [آل عِمرَان: ٢٠].

وفي "الصَّحيح" عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»(١)».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا جواب النَّبِيّ ﷺ لجبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لمَّا سأله عن الإسلام أجابه بهذا الجواب، كما جاء من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**الإِسْلَامُ: أَنْ تَشْهَدَ أَن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ**» هذا تفسير للإسلام بأركانه.

والإسلام أعمّ؛ يشمل كل ما أمر اللَّهُ به ورسوله، وترك ما نهى

(١) جزء من حديث جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ المشهور في سؤاله للنَّبِيِّ ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وعلامات الساعة، أخرجه مسلم، برقم (٨) وقد أخرجا في الصَّحيحين قصة جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دون ذكر الحج فيها - البخاري، برقم (٥٠) ومسلم، برقم (٩، ١٠).

اللَّه عنه ورسوله ﷺ، كما قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] ولكن هذه أركانه، فالشيء يفسَّر بأركانه، ويفسَّر بجميع أجزائه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفيه عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا قَالَ: «المُسْلِمُ: مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[(١)].

وعَن بهز بن حَكِيم بنِ مُعَاوِيَةَ، عَن أَبِيهِ، عَن جَدِّهِ، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الإِسْلَامِ؟ فَقَالَ: «الإِسْلَامُ: أَنْ تُسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ تُوَلِي وَجْهَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتُصَلِّيَ الصَّلَاةَ المَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ» رواه أحمد[(٢)].

عَن أَبِي قِلَابَةَ، عَن رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، عَن أَبِيهِ أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا الإِسْلامُ؟، قَالَ: «أَنْ يسْلِمَ قَلْبُكَ لِلَّهِ ﷻ، وَأَنْ يَسْلَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِكَ وَيَدِكَ، قَالَ: فَأَيُّ الإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ» قَالَ: وَمَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ»»[(٣)].

---

(١) أخرج البخاري لفظ الحديث، برقم (١٠، ٦٤٨٤) ومسلم، برقم (٤٠) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومن حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري، برقم (١١) ومسلم، برقم (٤٢) ومسلم من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٤١) وأمَّا حديث أبي هريره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، المذكور أخرجه «الترمذي» برقم (٢٦٢٧) وقال: «حسن صحيح».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣ برقم ٢٠٠٣٦) عن حكيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٤٤ برقم ١٧٠٦٨) وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٢٧ برقم ٢٠١٠٧) عن أبي قلاية عن عمرو بن عبسه، قال: «قال رجل، فذكره». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٣٥٧ برقم ٥٢٦٣): «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يدل على التَّعميم، وأنَّ الإسلام يَعُمُّ الأركان وغيرها، فالمسلم حقًّا هو الَّذي يؤدى الأركان، وما أوجب اللَّه عليه، ويكفُّ يده عن ظلم النَّاسِ، وعن التعدي على حدود اللَّه.

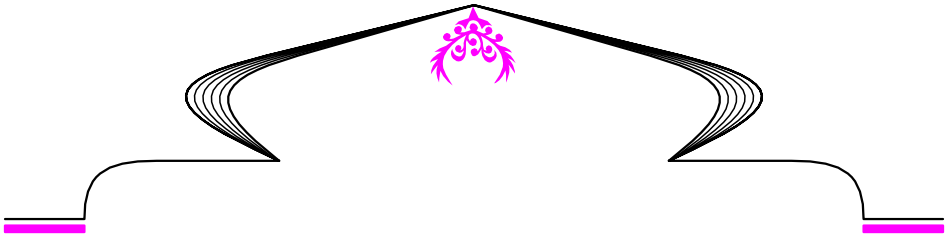

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب قول اللَّهِ تعالى:

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨٥]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَتَجِيءُ الصَّلاةُ فَتَقُولُ: «يَا رَبِّ أَنَا الصَّلاةُ»، فَيَقُولُ: «إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ»، ثُمَّ تَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: «يَا رَبِّ، أَنَا الصَّدَقَةُ» فَيَقُولُ: «إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ»، ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: «يَارَبِّ، أَنَا الصِّيَامُ»، فَيَقُولُ: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»، ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ»، ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلَامُ، فَيَقُولُ: «يَا رَبِّ، أَنْتَ السَّلَامُ، وَأَنَا الإِسْلامُ»، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ، بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ، وَبِكَ أُعْطِي، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾» رواه أحمد[(١)].

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٢ برقم ٨٧٢٧) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٥ برقم ١٨٣٦٧): «فيه عباد بن راشد، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه جماعة، وبقية رجال أحمد رجال الصَّحيح» وضعف إسناده الشيخ شعيب في تعليقه على «المسند» (١٤/ ٣٥٥) بأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفِي "الصَّحيح"[(١)] عن عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» رواه أحمد»[(٢)].

قال المعلق رحمه الله:

ومعنى هذا الكلام: أنَّه يجب على جميع الأمة أن تتبع الإسلام، وأنَّه لا نجاة ولا سعادة للخلق إلَّا به، كما قال اللَّه: «**بِكَ اليوم آخذ، وبِكَ اليوم أعطي**»، فمن توفي على الإسلام فله الجنَّة، إمَّا من أول وهلة إنْ سَلِمَ من المعاصي، وإمَّا بعد العقوبة التي يُقَدِّرُها اللَّهُ عليه بسبب معاصيه التي مات عليها إنْ لم يعف اللَّه عنه ابتداءً، فليس هناك نجاة إلَّا بالإسلام؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فمن مات على غير الإسلام ولو عنده ما عنده من الطاعات كأمثال الجبال فإنَّها حابطة قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

لا بُدَّ من التوحيد بشهادة أن لا إله إلَّا اللَّه، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ، والدخول في الإسلام بقلبه وقالبه، ثم بعد ذلك الأعمالُ، فمن استقام على الأعمال دخل الجنَّة من أول وهلة، ومن قصَّر في شيء من الأعمال الواجبة عليه، أو أتى ببعض المعاصي الَّتي حَرَّمها اللَّه عليه صار تحت المشيئة إن شاء اللَّه عفا عنه، وإن شاء عَذَّبه على قدر ما عنده من المعاصي كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨] فمن هداه اللَّه إلى الإسلام، وسلم من الشِّرك فهو على طريق النجاة.

---

(١) سبق تخريجه في (ص١١٨ ح٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٨٠ برقم ٢٥١٧١).

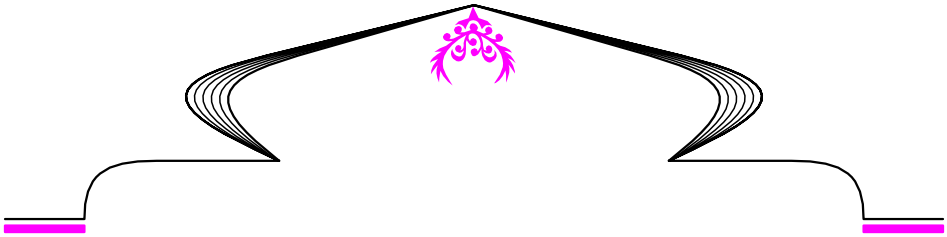

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه[١]

وقول اللَّهِ تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ الآية [النّحل: ٨٩].

روى النسائي وغيره عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ رَأَى في يَدِ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرَقَةً مِنَ التَّوْرَاة، فَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ[٢] فِيهَا يَا ابنَ الخَطَّابِ؟! لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَوْ كَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيًّا وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي ضَلَلْتُمْ»[٣].

وفي روايةٍ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي» فَقَالَ

---

(١) وفي نسخة وجوب الاستغناء بمتابعته، أي الكتاب، وفي نسخة كما هنا دون قوله عن كل ما سواه ينظر: نسخة كتاب «فضل الإسلام» ضمن مجموع مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (١/ ٥).

(٢) التَّهوُّك: كالتَّهوُّر، وهو الوقوع في الأمر بغير رويَّة، والمُتهوك الَّذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (ص ١٠١٥) مادة: [هوك] باب الهاء، مع الواو.

(٣) لم أجده في النسائي، وهو عند الإمام أحمد في «المسند» عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٣٨٧ برقم ١٥١٩٥) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٤ برقم ٨٠٨): «فيه: مجالد بن سعيد، ضعّفه أحمد، ويحيى بن سعيد، وغيرهما».

عُمَرُ: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمَحَمَدٍ نَبِيًّا»»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

الواجب على جميع الأمة: اتِّباعه ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، ولو كان موسى أو عيسى أو غيرهما أحياء ما وسعهم إلَّا اتِّباعه؛ لأنَّه بُعِثَ إلى النَّاس عامة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعرَاف: ١٥٨].

وهذا واضح في قوله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨٥] وفي قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النُّور: ٦٣] وفي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشر: ٧].

فالواجب على جميع الأمة رجالاً ونساءً، عربًا وعجمًا، جنًّا وإنسًّا أن يتبعوه عليه الصَّلاة والسَّلام، وأن ينقادوا لشرعه بحسب ما جاء في القرآن العظيم والسُّنَّة المطهرة، وليس لهم الخروج عن ذلك.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» عن عبد اللَّه بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣/ ٤٧٠ برقم ١٥٩٠٣). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٣ برقم ٨٠٦): «رجاله رجال الصَّحيح، إلَّا أن فيه جابر الجعفي، وهو ضعيف». وبعد أن ذكره الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» طرقه وما فيها، قال: «وهذه جميع طرق هذه الحديث، وهي إن لم يكن فيها مايحتج به، لكن مجموعها يقتضي أن لها أصل». «فتح الباري» (١٣/ ٥٢٥).

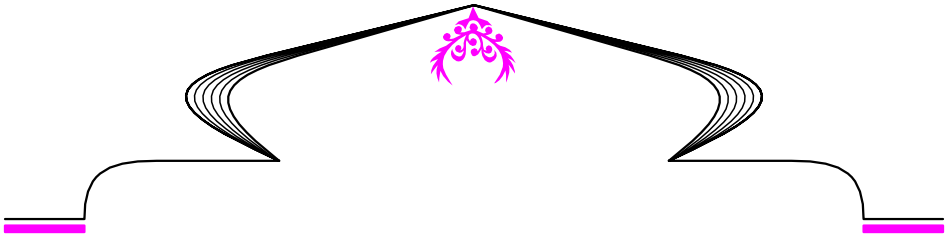

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨].

عن الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالجِهَادُ، وَالهِجْرَةُ، وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ[1] الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ ادَّعَا دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا[2] جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟» قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ المُسْلِمِينَ والمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ» رواه أحمد والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»[3].

وفي "الصَّحيح": «مَن فَارَقَ الجَمَاعَة شِبرًا فَمَاتَ فمميتته

---

(١) الربقة في الأصل: عروة في حبل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها، فاستعارها للإسلام، يعني: مايشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام، أي: حدوده، وأحكامه، وأوامره ونواهيه. «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب الراء مع الباء، مادة: [ربق] (ص ٣٤٣).

(٢) أي جماعات جهنم «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، مادة: [جثا] باب الجيم مع الثاء، (ص ١٣٨).

(٣) أخرج عنه هذا الجزء في حديث طويل الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠، ٢٠٢ برقم ١٧٢٠٩و١٧٨٣٣) والترمذي، برقم (٢٨٦٣).

جَاهِلِيَّةٌ»[١] وفيه: «أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟!»[٢].

قال أبو العباس: «كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب، أو بلد، أو جنس، أو مذهب، أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لما اختصم مهاجريٌّ وأنصاريٌّ، فقال المهاجري: «يا للمهاجرين»، وقال الأنصاري: «يا للأنصار»، قال ﷺ: «أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟!» وغضب لذلك غضبًا شديدًا» انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ[٣]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يحذر من الدَّعوة إلى الجاهليَّة، يا آل فلان، يا آل فلان، لا، بل يا أهل التوحيد، يا أهل الإيمان، كلهم إخوة، إذا جاءت الحرب لا ينتسبون يا فلان... يا بني كذا، يا بني كذا، لا!؛ المسلمون شيء واحد، ولا يُدعى بدعوى الجاهلية؛ ولهذا لما قال المهاجريُّ: «يا للمهاجرين؟» وقال الأنصاريُّ: «يا للأنصار؟» قال رسول اللَّهِ ﷺ: «**أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ**».

فالواجب الدَّعوة بالإسلام: أيُّها الإخوة، أيُّها المسلمون أيُّها المؤمنون، هكذا عند الاستغاثة والحثِّ، يحثهم على القتال باسم الإسلام واسم الإيمان.

وأبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّن أنَّ الدَّعاوى الَّتي بغير الإسلام: يا أهل مكة، يا أهل الطائف، يا أهل نجد. يا أهل

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم، برقم (١٨٤٨).

(٢) أخرجه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٣٥١٨) ومسلم، برقم (٢٥٨٤) دون قوله: «**وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ**».

(٣) «مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٨/ ٣٢٨، ٣٢٩).

كذا ... هذه من دعاوى الجاهلية؛ بل يقول: أيُّها المؤمنون، أيُّها الإخوة، يا أنصار اللَّهِ، يا عباد اللَّهِ، وهكذا.

هذا هو الواجب، هذا هو الَّذي يحثهم به، ويحرك القلوب، فعند لقاء العدو يحثهم على الثبات والصبر بدعوى الإيمان بدعوى الإسلام: أيُّها المسلمون، يا جند اللَّه، يا عباد اللَّه، أيُّها المؤمنون، يا أنصار اللَّهِ، هكذا، يشجعهم ويحثهم بالاسم العام.

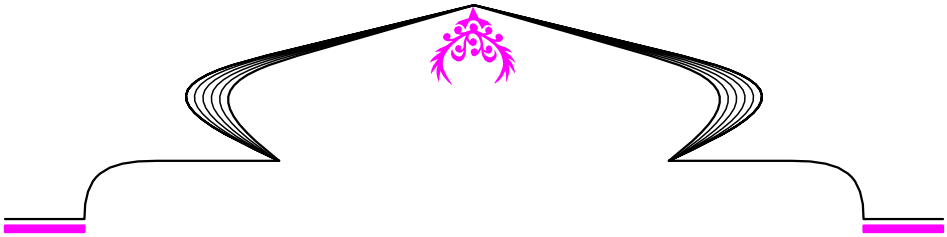

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب وجوب الدُّخول في الإسلام كُلِّه وترك ما سواه

وقول اللَّهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨] **وقوله تعالى:** ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [النِّسَاء: ٦٠] **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعَام: ١٥٩]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

الواجب هو الدُّخول في الإسلام كُلِّه وليس بعضِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٨] يعني: في الإسلام، يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعَام: ١٥٩] ويقول جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٠-١٥١].

فالواجب: الدُّخول في الإسلام كُلِّه، فيلتزم المسلم بالإسلام كُلِّه صلاةً وزكاةً وصيامًا وحجًّا وجهادًا، لا يقول فقط: أنا أصلِّي ولا أزكي، أو أزكي ولا أصوم، بل يجب أنْ يلتزم بالإسلام كُلِّه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٠٦] الآية: «تبيضُّ وجوه أهل السُّنَّة والائتلاف، وتسودُّ وجوه أهل البدعة والاختلاف»(١).

«عن عبد اللَّه بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي(٢).

فليتأمل المؤمن الذي يرجو لقاء اللَّهِ كلام الصادق المصدوق في هذا المقام، خصوصًا قوله: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» يا لها من موعظة لو وافقت من القلوب حياة».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجب على العبد أن يلزم الحقّ، ويستقيم على ما أشار عليه الصَّحابة وأتباعهم بإحسان، وأن يحذر أقوال أهل البدعة والفرقة والاختلاف لقوم النَّبِيِّ ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ**

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٢٩ برقم ٣٩٥٠، ٣٩٥١).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٤١) وقال: «هذا حديث مُفَسَّرٌ غريب لا نعرفه مثل هذا إلَّا من هذا الوجهة». وقال الحاكم: «قد رُوي هذا الحديث عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص وعمرو بن عوف المزني بإسنادين، تفرد بأحدهما عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، والآخر كثير بن عبد اللَّه المزني، ولا تقوم بهما الحُجَّة». «المستدرك» (١/ ٢١٨ برقم ٤٤٤، ٤٤٥).

فِرْقَةً...» إلخ وهم ما بين شاذٍّ ومبتدع؛ لكن أهل السُّنَّة هم الَّذين ساروا على نهج الصَّحابة واستقاموا على الدِّين، فلهم الجنَّة والكرامة، أمَّا بقية الفرق فيهم الكافر، وفيهم المبتدع، وفيهم المخالف للشرع.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وصحَّحَهُ، لكن ليس فيه ذكر النَّار[١]، وهو في حديث معاوية عند أحمد، وأبي داود[٢] وفيه: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتجارى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ، كَمَا يَتَجَارَى الْكَلبُ[٣] بِصَاحِبِهِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ». وقد تقدم قوله: «وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يجب على المسلمين الحذر أن لا يبتدعوا في الدِّين، وأن لا يتبعوا سنن الجاهليَّة، بل يجب أن يلتزموا بالإسلام الَّذي جاء به

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٤٠) وكذا أبو داوود، برقم (٤٥٩٦) وابن ماجه، برقم (٣٩٩١) والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢ برقم ١٦٩٧٩) قال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وقال الحاكم: «حديث صحيح، وله شواهد». «المستدرك» (١/ ٢١٧ برقم ٤٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٠٢ برقم ١٦٩٧٩) ومن طريقه أبو داود، برقم (٤٥٩٧).

(٣) الكَلَبُ - بالتحريك -: داء يعرض للإنسان من عَضِّ الكَلِب، الكَلِب، فيصيبه شبه الجنون، فلا يَعُضُّ أحدًا إلَّا كَلِبَ، وتعرض له أعراض رديئة، ويمتنع من شرب الماء حتَّى يموت عطشًا. «النهاية في غريب الحديث والأثر»، باب الكاف مع اللام، مادة: [كلب].

المصطفى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ، وأنَّ يتعاونوا ويتواصوا به، فيتبعوا ما شرع اللَّه، ويبتعدوا عما حرَّم اللَّه، ويحذروا البدع والمعاصي، هكذا يجب على أهل الإسلام أن يستقيموا، ويتعاونوا على البر والتقوى.

أمَّا أن يتفرَّقوا، هذا يقول: بهذا، وهذا يقول: بهذا، فلا يجوز؛ هذا دين الجاهليَّة، نسأل اللَّه العافية.

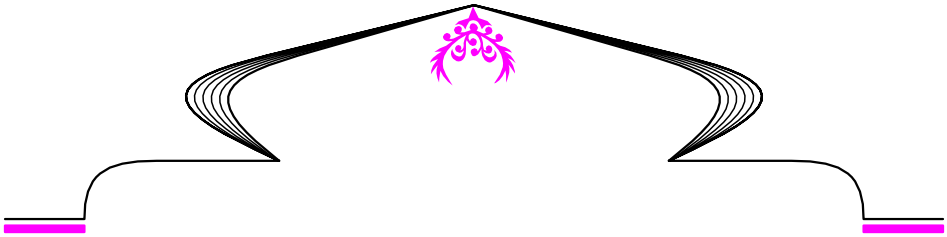

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب ما جاء أنَّ البدعة أشد من الكبائر

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود من هذا ـ الباب ـ أنَّ البدعة أشد من الكبائر؛ لأنَّها إحداث في الإسلام، وتهمة له بالنقص، فلهذا يبتدع ويزيد، أمَّا المعاصي فهي اتِّباع للَّهوى، وطاعة للشَّيطان، فهي أسهل من البدعة، وصاحبها قد يتوب ويسارع، وقد يتعظ.

وأمَّا صاحب البدعة فيرى أنَّه مُصيب لذا لا يتوب، يرى أنَّه مجتهد فيستمر في بدعته والعياذ باللَّه، ويرى الدِّين ناقصًا، وهو بحاجة إلى بدعته، ولهذا صار أمر البدعة أشدّ وأخطر من المعصية، قال اللَّه في أهل المعاصي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨، ١١٦] فهم تحت المشيئة، أمَّا أهل البدعة فشرهم عظيم وخطرهم كبير؛ لأنَّ بدعتهم معناها تهمة للإسلام بالنقص، وأنه يحتاج إلى هذه البدعة، ويرى صاحبها أنَّه محقٌّ، ويستمر، ويبقى عليها ويجادل عنها.

لا تدخل البدعة في الذُّنوب، ومتوعِّد صاحبها بالنَّار والعياذ

باللَّهِ إلَّا أن يتوب، نسأل اللَّه العافية، ولكن إذا كانت دون الشِّرك يرجى لصاحبها؛ لأنَّها تدخل في المعنى من جهة المعاصي، لكنها غير داخلة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ بالجملة، لكن إذا كان المبتدع بدعته دون الشِّرك، فلها حكم المعاصي؛ من جهة أنَّه لا يخلد في النَّار.

■ **مسألة: الَّذِي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟**

● **الجواب:** نعم، لا شك أنَّ من أثنى عليهم ومدحهم فهو من دعاتهم، نسأل اللَّه العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وقوله تعالى:** ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [الأنعام: ١٤٤] **وقوله تعالى:** ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل: ٢٥]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [النحل: ٢٥] عليهم مثل أوزار مَنْ تبعهم في بدعتهم، نسأل اللَّه العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي "الصَّحيح" أنَّه ﷺ: قال في الخوارج: «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[(١)]».

«وفيه: أَنَّهُ ﷺ: «نَهَى عَنْ قَتْلِ أُمَرَاءِ الجَورِ مَا صَلُّوا»»[(٢)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷺ في الخوارج «أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» لعظم بدعتهم؛ لأنَّهم شَبّهوا على النَّاس، اجتهدوا في القراءة والصَّلاة، حتَّى قال النَّبِيُّ ﷺ: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ»[(٣)] ثُمَّ حملوا على المسلمين وقتلوهم، من جرأتهم الخبيثة، وقاتلوا عليًّا؛ حتَّى أعان اللَّه عليًّا عليهم وقتلهم، ثُمَّ كان أن قتلوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلوا عمرو بن خارجة، وقتلوا جمعًا غفيرًا، كُلُّه ببدعتهم وضلالهم.

هؤلاء الخوارج شرهم عظيم؛ لأنَّهم يرون أنَّهم مُصيبون في قتلهم العصاة من الأمراء وغير الأمراء، وهذا من جهلهم وضلالهم؛ ولهذا قال فيهم ﷺ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٤)] وقال: «وَلَئِنْ لَقِيتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٥)].

وقد نهى عن قتل الأمراء، وإن جاروا وظلموا ما داموا ملتزمين بالإسلام لا يجوز جهادهم؛ ولكن يُناصحون، وأمَّا إذا أتوا كُفرًا بواحًا وجب جهادهم، إذا كان هناك قوة تقدر، وإلَّا لم يجب.

---

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري، برقم (٣٦١١) ومسلم، برقم (١٠٦٦).
(٢) أخرجه عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مسلم، برقم (١٨٥٤).
(٣) أخرجه من حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري، برقم (٣٦١٠) ومسلم، برقم (١٠٦٤).
(٤) أخرجه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، البخاري، برقم (٣٦١١) ومسلم، برقم (١٠٦٦).
(٥) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وتقدم تخريجه قبل حاشية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وعن جرير بن عبد اللَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَجُلًا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَن يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» رواه مسلم[(١)].

وله[(٢)] مثله من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ...»، ثُمَّ قال: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ ...».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا معناه إحياء السُّنَّه وإظهارها، وليس البدعة، لأنَّ أصل الحديث أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رأى قومًا فقراء مُجْتابي النِّمار، فلما رأى فقرهم خطب في النَّاس عليه الصَّلاة والسَّلام، وحثَّهم على الصَّدقة، ورغَّبهم فيها، فقال: «**تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: «وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِن الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا؛ بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ»**.

(١) أخرجه مسلم، برقم (١٠١٧).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٦٧٤).

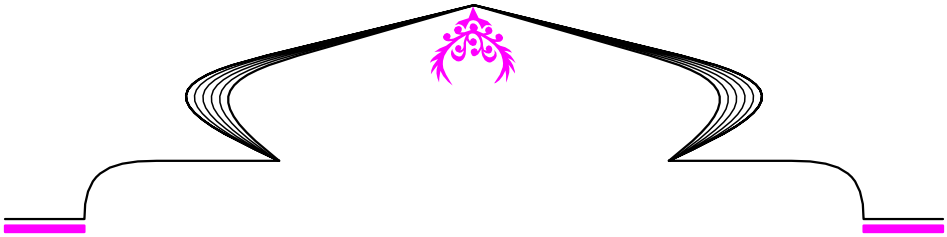

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب ما جاء أنَّ اللَّهَ احتجز التوبة على صاحب البدعة

هذا مروي من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] **ومن مراسيل الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ[(٢)] **وذكر ابن الوضاح عن أيوب قال: «كان عندنا رجل يرى رأيًا فتركه، فأتيت محمد بن سيرين، فقلت: أشعرت أنَّ فلانًا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا يتحول، إنَّ آخر الحديث أشدّ عليه من أوله «يُمْرِقُوَن مِنَ الإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَعُودُوَن إِلَيْهِ»[(٣)].**

وسئل أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ **عن معنى ذلك، فقال: «لا يوفق للتوبة».**

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود: هذا من أخطار البدعة وبلائِها والعياذ باللَّهِ، من أخطارها أنَّ صاحبها لا يُوفَّق للتوبة، يَرَى أنَّه مُصيب، ويستمر على

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١١٣برقم ٤٢١٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٤٤٩ برقم ٧٢٣٨) وفي (٧/ ٥٩ برقم ٩٤٥٦) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصَّحيح غير هارون ابن موسى الفروي، وهو ثقة «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٩برقم ١٧٤٥٧) كما حسن إسناده المنذري: في «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٥ برقم ٨٧).

(٢) أخرجه في كتاب «البدع والنهي عنها» (ص ١١٩ برقم ١٥٧) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١٤١ برقم ٢٨٦).

(٣) «البدع والنهي عنها» (١/ ١٥٥ برقم ١٤٣).

الباطل هذا من أخطارها وَبَلَائِهَا، فالواجب الحذر من البدعة؛ لأنَّها شر عظيم؛ ولهذا قال ﷺ في الحديث الصَّحيح: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١).

وقال: «**وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة**»(٢) لا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّهِ.

■ وسئل الشَّيخ عن صحة الحديث؟

● **فقال**: الحديث يحتاج إلى تأمل ونظر في سنده، الَّذي ذكره ابن وضاح؟ يراجع إن شاء اللَّه؟(٣)

فراجع القارىء الحديث: «**إِنَّ اللَّهَ احْتَجَزَ التَّوبَةَ عَنْ صَاحِبْ كُلُّ بِدْعَةٍ**» وتتبع طرقه، فقال:

هذا الحديث رواه الطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الشعب» والهروي في «ذم الكلام»(٤)، من طريق ابن عبد الهادي في «جمع الجيوش والدساكر» وعزاه الألباني في الصَّحيحة(٥) إلى أبي الشيخ في «تاريخ أصفهان»(٦)، كلهم من حديث هارون بن موسى عن أبي ضمرة أنس بن عياض عن حميد الطويل عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال: رسول اللَّه ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةِ عَنْ صَاحِبْ كُلَّ بِدْعَةٍ**» وفي لفظ: «**احْتَجَز التَّوبَةَ**» وفي لفظ: «**احْتَجَرَ اللَّه التَّوْبَةَ**».

---

(١) سبق تخريجه في (ص١١٨ ح٣).

(٢) أخرجه من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم برقم (٨٦٧).

(٣) وكان ذلك في درس صبيحة يوم الاثنين الثالث من شهر ربيع الأول عام ١٤١٨هـ كما قيد ذلك كتابة الشيخ/ بدر بن طامي العتيبي القارئ للكتاب على سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) سبق تخريجه من عند الطبراني والبيهقي، وهو في «ذم الكلام» (٥/ ١٥٣).

(٥) (٤/ ١٥٤ برقم ١٦٢٠).

(٦) تاريخ أصبهان، برقم (٢٥٩) والمحدثين بأصبهان (٣٠/ ٦٠٩).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصَّحيح غير هارون بن موسى الفروي، وهو ثقة. قلت: قال النَّسائي: لا بأس به، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الدارقطني: هو وأبوه ثقتان، ورواه عن موسى جماعة منهم داود بن حسين البيهقي، وزكريا بن يحيى الساجي، وجعفر بن محمَّد السوسي، وحسن إسناده المنذري في «الترغيب والترهيب».

وله طرق أخرى عن حميد من حديث بقية بن الوليد عن محمَّد بن عبد الرحمن القشيري عن حميد به، رواه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة»[(١)] والهروي في «ذم الكلام» ومن طريقه ابن عبد الهادي في «جمع الجيوش» ورواه البيهقي في «الشعب» وابن الوضاح في «كتاب البدع والنهي عنها» واختلف على بقيَّة في إسناده، فرواه أحمد بن فرج عنه عن محمَّد بن عبد الرحمن عن رجل من أهل الكوفة عن حميد به.

ورواه ابن مصفى، وكثير بن عبيد، وإسحاق بن راهويه عن محمَّد بن عبد الرحمن عن حميد عن أنس به، ومدار الجميع على محمَّد بن عبد الرحمن القشيري، وهو متروك الحديث.

قال ابن عدي: منكر الحديث مجهول، وهو من مجهولي شيوخ بقيَّة[(٢)]. قلت: وبقية باتفاق الحفاظ لا يقبل حديثه عن المجاهيل، فالعمدة على الإسناد السابق.

وللحديث شواهد في المعنى من حديث حذيفة بن اليمان، وعمر بن الخطاب ﷺ أجمعين.

---

(١) (١/ ٢٢ برقم ٣٩).

(٢) ينظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» له (٦/ ٢٥٧ برقم ١٧٣٥).

أمَّا حديث حذيفة فرواه ابن ماجه في «سننه»، قال: حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْعَسْكَرِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَبُو هَاشِمِ بْنِ أَبِي خِدَاشٍ الْمَوْصِلِيُّ، قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِحْصَنٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي عَبْلَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يَقْبَلُ اللَّهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ صَوْمًا وَلَا صَلَاةً وَلَا صَدَقَةً وَلَا حَجًّا وَلَا عُمْرَةً وَلَا جِهَادًا وَلَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا يَخْرُجُ مِنْ الإِسْلَامِ، كَمَا تَخْرُجُ الشَّعْرَةُ مِن الْعَجِينِ**»(١).

ورواه ابن عبد الهادي في «جمع الجيوش» قلت: ورجاله ثقات غير محمَّد بن محصن العكاشي، واسمه: محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمَّد ابن عكاشة بن مُحصن الأسدي، قال يحيى بن معين: كذَّاب، وقال البخاري: منكر الحديث، وكذَّبه أبو حاتم، وقال مرة: مجهول، وقال ابن حبان: شيخ يضع الحديث على الثقات، قلت: ومشهور عن هذا اللَّفظ أنَّه من كلام بعض أئمة السلف، كالحسن البصري والأوزاعي، وهشام بن حسان، روى ذلك ابن الوضاح عنه في كتاب «البدع والنهي عنها» وغيره.

أمَّا حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فرواه ابن أبي عاصم في السُّنَّة، وابن بطة في الإبانة، وابن عبد الهادي في «جمع الجيوش»، من حديث بقية، قال: حدثنا شعبة أو غيره حدثنا مجالد، عن الشعبي عن شريح عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لعائشة: «**يَا عَائِشَةَ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا، إِنَّهُمْ أَصْحَابِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، وَأَصْحَاب الضَّلَالَةِ مِنْ هذِه الأُمَّة، يَا عَائِشَةَ إِنَّ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ غَيْر أَصْحَابِ الأَهوَاءِ والْبِدَعِ، لَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةً، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ،**

(١) أخرجه، برقم (٤٩).

وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ»[(١)] وهذا إسناد ضعيف فيه عدة علل:

منها: حال بقية، وعدم جزمه بمن روى عنه هل هو شعبة أم غيره.

ومنها: الاختلاف عليه فيه، فرواه مرةً، من قول عمر عند ابن أبي عاصم في السُّنَّة.

ومنها: حال مجالد بن سعيد[(٢)] وهو ضعيف، وقال ابن عبدالهادي: حديث ضعيف، ذكره ابن المحب في كتاب الطبقات، وعزاه أيضًا إلى الطبراني في المعجم الصغير.

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: بعد أن عزاه إلى ابن مردويه، قال: وهو غريب أيضًا ولا يصح رفعه[(٣)].

فصل مختصر في بيان معنى الحديث

إنَّ مِمَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم قاطبة أنَّ جميع الذُّنوب بما فيها الشِّرك إذا تاب صاحبها منها؛ فإنَّ اللَّهَ تعالى يقبل توبته لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

وقد سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فيما نقله السفاريني في «لوامع الأنوار» عن معنى هذا الحديث؟ فقال: لا يُوفَّق ولا يُيسر صاحب

---

(١) «المعجم الصغير» للطبراني (١/ ٣٣٨برقم٥٦٠) وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٣٨) وابن أبي عاصم في «السُّنَّة» (١/ ٦٠ برقم ٣٨) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٠٣).

(٢) قال عنه الحافظ ابن حجر: ليس بالقوي وقد تغير في آخر عمره من صغار الطبقة السادسة، أخرج له مسلم وأهل السنن الأربعة، مات سنة (٢٤٤هـ) ينظر: تقريب التهذيب (ص٥٢٠ برقم ٦٤٧٨).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧) عند تفسيره لآية ١٥٩ من سورة الأنعام.

بدعة لتوبة[١]، قلت: وهذا هو المعنى لما جاء في ذلك من الأحاديث، وهذه سنَّة اللَّهِ جلَّ وعلا فيمن ضلَّ عن الطريق ابتلاء منه، وحكمه بحكمة وعدل، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصَّف: ٥] وقال: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ [البَقَرَة: ١٠] وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعَام: ١١٠] ومنها قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ﴾ [مَريَم: ٧٥] وغيرها من الآيات.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ولهذا قال طائفة مِنَ السَّلف منهم الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية؛ لأنَّ المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها، وهذا معنى ما روي عن طائفة أنَّهم قالوا: «**إِنَّ اللَّهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ**» بمعنى أنَّه لا يتوب منها؛ لأنَّه يحسب أنَّه على هدى، ولو تاب لتاب عليه، كما تاب على الكافر، ومن قال: «لا يقبل توبة مبتدع مطلقًا» فقد غلط غلطًا منكرًا، ومن قال: «ما أذن اللَّه لصاحب بدعة في توبة» فمعناه: ما دام مبتدعًا يراها حسنة لا يتوب منها، فأمَّا إذا أراه اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنَّها قبيحة، فإنَّه يتوب منها كما يرى الكافر أنَّه على ضلال، وإلَّا فمعلوم أنَّ كثيرًا ممن كان على بدعة، وتبين له ضلالها، وتاب إلى اللَّهُ منها تاب اللَّه عليه، وهؤلاء لا يحصيهم إلَّا اللَّه[٢] واللَّه أعلم وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على نبينا محمَّد[٣].

---

(١) ينظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (١/ ٤٠٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/ ٦٨٤).

(٣) قرئ على سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في مساء الأحد الموافق للتاسع من شهر ربيع الأول عام ١٤١٨هـ كما أفاد بذلك القارئ خطيًا.

قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الحق، إنَّ اللَّهَ احتجب التَّوبة عن صاحب البدعة معناه؛ لأنَّه يستحسنها ويرى أنَّه مُصِيبٌ، فلهذا في الغالب يموت عليها ـ والعياذ باللَّهِ ـ ولا يتوب منها؛ لأنَّه يرى أنَّهُ مُصِيبٌ، بخلاف صاحب المعصية الَّذِي يعلم أنَّه عاصٍ، وأنَّه مجرمٌ، وأنَّه مخطيء قد يتوب منها، فيتوب اللَّه عليه؛ لكن صاحب البدعة على خطر؛ لأنَّه يستحسنها ويتبع هواه، فلهذا هو على خطر من حجب التوبة عنه لاستحسانه البدعة، وظنِّه أنَّه على هدى واعتقاد، إلا إذا هداه اللَّهُ وتاب، تاب اللَّه عليه فجميع الذنوب إذا تاب العبد عنها، تاب اللَّه عليه، حتى الشرك الذي هو أكبر من البدعة، والكفر باللَّهِ إذا تاب منه، تاب اللَّه عليه، والكفار من قريش وغيرهم لما تابوا، تاب اللَّه عليهم.

وهكذا سحرة فرعون لما تابوا تاب اللَّه عليهم، فهكذا صاحب البدعة إذا أنار اللَّه بصيرته وتاب منها، تاب اللَّهُ عليه، فهو من باب الوعيد مثل الحديث الصحيح: «**مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ** [يَوْمَ القِيَامَةِ] **صَرْفًا وَلَا عَدلًا**»[(١)] من باب الوعيد، وإلَّا من تاب، تاب اللَّه عليه.

(١) أخرجه من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري في عدة مواضع منها، برقم (١٨٧٠) ومسلم برقم (١٣٧٠).

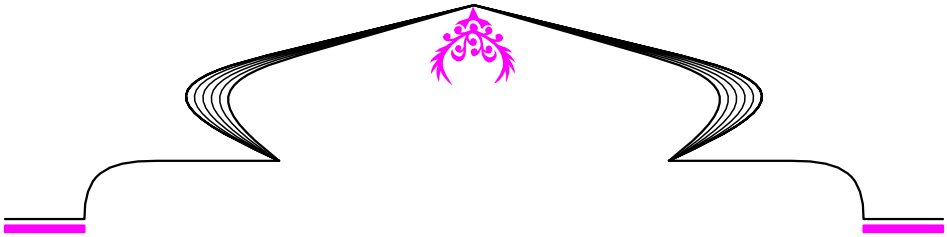

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ [آل عِمرَان: ٦٥- ٦٧]

وقوله: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠﴾ [البَقَرَة: ١٣٠].

وفيه حديث الخوارج، وقد تقدَّم(١).

وفي "الصَّحيح" أنَّه ﷺ قال: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانًا لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا أَوْلِيَائِيَ المُتَّقُونَ»(٢).

وفيه أيضًا من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:ـ وقد ذُكِرَ لَهُ أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ، قَالَ: أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَقُومُ وَلا أَنَامُ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَلَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ آخَرُ: أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَلَا أُفْطِرُ ـ فَقَالَ ﷺ: «لَكِنِّي أَقُومُ وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَآكُلُ اللَّحْمَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٣٧ ح١).

(٢) أخرجه عن عمرو بن العاص البخاري، برقم (٥٩٩٠) ومسلم، برقم (٢١٥) وفيه: «**إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ، وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ**» ولفظ: «**إِنَّمَا أَوْلِيَائِيَ المتقون**» عند أبي داود، برقم (٤٢٤٢) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة الأحلاس.

(٣) أخرجه البخاري، برقم (٥٠٦٣) ومسلم، برقم (١٤٠١) وذكر «**لَا آكُلُ اللَّحْمَ**» عند مسلم فقط.

فتأمل إذا كان بعض الصَّحابة لما أراد التَّبتُّل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ، وسمي فعله رُغُوبًا عن السُّنَّة، فما ظَنُّكَ بغير هذا من البدع؟ وما ظنُّكَ بغير الصَّحابة؟».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذا تحريم التَّكلُّف، والتَّنطُّع، وأنَّ الواجب على المؤمن أَن يحذر ذلك، فيصوم ويفطر، ويقوم وينام، لا يتكلف، ولهذا قال رسول اللَّه ﷺ: «**أَمَّا أَنَا فَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

اللَّهُ شرع لعباده ما لا يشق عليهم وما لا يعنِّتهم، فلا يجوز التَّنطُّع والتَّكلُّف، وفي سنة الرسول ﷺ الكفاية؛ فهو أفضل النَّاس وخيرهم ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ.

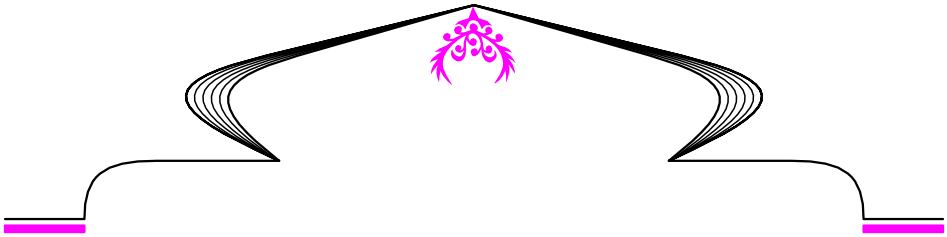

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الرُّوم: ٣٠]

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البَقَرَة: ١٣٢] **وقوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النّحل: ١٢٣].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِن النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّيَ مِنْهُمْ أَبِي إِبْرَاهِيم وَخَلِيلُ رَبِّي» ثُمَّ قَرَأَ ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ٦٨] **رواه الترمذي**(١).

وَعَن أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢٩٩٥) وأورده من طريقين، وقال عن الطريق الثاني: «هذا أصح»، وكذا أخرجه من الطريق الثاني الإمام أحمد (١/ ٤٠٠ برقم ٣٨٠٠).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (٢٥٦٤)، وفيه بدل: «**أَجْسَادَكُمْ**»: «**صُوركُم**» كما في الشرح.

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا حديث صحيح، رواه مسلم: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» فالقلوب هي محل النظر والعمل، أَمَّا الصُّوَر والأموال فلا قيمة لها إن لم يُستعن بها على الطاعة، لكن محل النظر القلوب إذا استقامت على محبة اللَّه، والإخلاص له، وخوفه، ورجائه، وصلحت الأعمال وصارت خالصة لِلَّه، موافقة للسُّنَّة، هذه هي الأفعال الَّتي تنفع صاحبها، صلاح القلب وصلاح العمل.

المقصود: بمعنى: «**لَا يَنْظُرُ**» نفي النظر الَّذي له القيمة، نظر الرضا والمحبة وهذا مثل قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ**»(١) لغضبه عليهم، وهو سبحانه لايخفى عليه خافية، يرى كلّ شيء جلَّ وعلا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«"ولهما" عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُم عَلَى الحَوْضِ**(٢).

ولَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَتِّي حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا(٣) **دُونِي، فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَصْحَابِي؟، فَيُقَالُ: «إِنَّكَ لا**

(١) يشر بذلك إلى الأحاديث الواردة فيمن لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة، منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري، برقم (٢٣٥٨) ومسلم، برقم (١٠٧، ١٠٨).

(٢) أي: أنا أتقدَّمكم إليه «النهاية في غريب الحديث، والأثر» لابن الأثير، باب الفاء مع الراء، مادة: [فرط]، (ص ٧٠١).

(٣) أي: اجتذبوا وانتزعوا «الإفصاح عن المعاني الصِّحاح» لابن هبيره (٢/ ٦٧).

تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»[(١)].

ولهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: «أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!»، قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: «كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ[(٢)] بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ[(٣)] أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَدَنَّ[(٤)] رجالٌ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ البَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ» فَيُقَالُ: «إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ» فَأَقُولُ: «سُحْقًا سُحْقًا»[(٥)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: «فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» وفِي لفظ آخر:

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٦٥٧٦) ومسلم، برقم (٢٢٩٧).

(٢) الغُرَّةُ: بياض جبهة الفرس، والمراد به هنا: النور، **والتحجيل**: بياض في قوائم الفرس في يدها ورجليها، وأصله من الحجل: بكسر المهملة، قال العلماء: سمي النور الَّذي على مواضع الوضوء يوم القيامة غُرَّة وتحجيلًا تشبيهًا بغرة الفردوس، واللَّه أعلم. ينظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٣/ ١٣٥) «وفتح الباري» للحافظ ابن حجر (٦/ ٢٢٦).

(٣) البُهم: جمع بهيم، وهو في الأصل الَّذي لا يخالط لونه لون سواه، ويعني: ليس فيه شيء من العاهات والأعراض الَّتي تكون في الدُّنيا كالعمى، والعور، والعرج وغير ذلك. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب الباء مع الهاء، مادة: [بهم] (ص ٩٥).

(٤) ليذدن: ليطردنَّ. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب الذال مع الواو، مادة: [ذود]، (٣٣٢).

(٥) أخرجه البخاري مختصراً، برقم (٢٣٦٧) ومسلم، برقم (٢٤٩)، واللَّفظ له.

«**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ** [عَلَى أَعْقَابِهِمْ] **مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»[(١)] ولهذا يمنعون من الحوض؛ لأَنَّهم ارتدوا، فالَّذين ارتدوا في عهد أبي بكر رضي الله عنه يمنعون من الحوض، أَمَّا من مات على إيمانه فإِنَّه يرد الحوض.

هذه علامة أمته غُرّ محجلون من آثار الوضوء، أمة محمد ﷺ المستجيبة لدعوته.

يقول: «سُحْقًا سُحْقًا» يعني: بُعْدًا بُعْدًا[(٢)] أي: لمن بدل بعدي، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه.

قال المؤلف رحمه الله:

«"وللبخاري": «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ[(٣)] حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِم، فَقَالَ: «هَلُمَّ» فَقُلْتُ: «أَيْنَ؟» قَالَ: «إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ» قُلْتُ: «وَمَا شَأْنُهُمْ؟» قَالَ: «إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِم القَهْقَرَى[(٤)] ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ» فذكر مثله، قال: «فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»[(٥)].

ولهما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «فَأَقول: كَمَا قَالَ العَبْدُ

---

(١) أخرجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، البخاري، برقم (٣٣٤٩) ومسلم، برقم (٢٨٦٠).

(٢) ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب السين مع الحاء، مادة: [سحق] (ص ٤٢٠).

(٣) الزمرة: الفوج من النَّاس والجماعة من النَّاس. ينظر: «لسان العرب» لابن منظور، فصل الزاي المعجمة مادة: [زمر] (٤/ ٣٢٩).

(٤) القهقرى: هو المشي إلى الخلف من غير أن يعيد وجهه إلى جهة مشيه، ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب القاف مع الهاء، مادة: [قهقر] (ص٧٨٠).

(٥) أخرجه البخاري، برقم (٦٥٨٧).

الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧][(١)].

ولهما مرفوعًا: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ[(٢)]، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ[(٣)]، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ[(٤)] حَتَّى تَكُونُوا أَنتم تجدعونها؟» ثُمَّ قرأ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠]» متفق عليه[(٥)].

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟» قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: «وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟» قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»[(٦)] قُلْتُ: «وَمَا دَخَنُهُ؟» قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٣٤٩) ومسلم، برقم (٢٨٦٠).

(٢) الفطرة: الحالة منه كالجلسة والركبة، والمعنى: أنه يولدُ على نوع من الجبلة والطبع المتهيئ لقبول الدِّين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقها إلى غيرها. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب الفاء مع الطاء (ص ٧١٠).

(٣) الجمعاء: أي: سليمة من العيوب مجتمعة الأعضاء كاملتها، فلا جدع بها ولا كي. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير: حرف الجيم مع الميم، مادة: [جمع] (ص ١٦٤).

(٤) أي: مقطوعة الأطراف أو واحدها. ينظر: «النهاية في غريب الحديث الأثر» لابن الأثير، باب الجيم مع الدَّال، مادة: [جدع] (ص ١٤١).

(٥) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (١٣٥٩) ومسلم، برقم (٢٦٥٨).

(٦) الدّخن: الدخان، يريد: أنَّ الخير الَّذي يكون بعد الشَّر لا يكون محضًا خالصًا، ولكن يكون معه شوب وكدورة. بمنزلة الدُّخان في النَّار. «أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري» للخطابي (٣/ ١٦٠٣).

بِغَيْرِ سُنَّتِي، ويَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: «فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟» قَالَ: «نَعَمْ، فِتْنَةٌ عَمْيَاء، ودُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا» قَالَ: «قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: «فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟» قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قُلْتُ: «فَإِن لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ؟» قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» أخرجاه[١].

وزاد مسلم: «قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ وَجَبَ وِزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَال: «ثُمَّ هِيَ قِيَامُ السَّاعَةِ»[٢].

وقال أبو العالية: «تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم؛ فإنَّه الإسلام، ولاتحرفوا عن الصراط يمينًا ولا شمالًا، وعليكم بسنَّة نبيِّكم محمَّد ﷺ، وإيَّاكم وهذه الأهواء» انتهى[٣].

تأمل كلام أبي العالية[٤] رحمه اللَّهِ تعالى هذا، ما أجلَّه، وأعرف زمانه الَّذي يُحَذِّر فيه من الأهواء الَّتي من اتَّبعها فقد رغب عن الإسلام، وتفسير الإسلام بالسُّنَّة، وخوفه على أعلام التَّابعين

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٠٦٦) ومسلم، برقم (١٨٤٧).
(٢) هذه الزيادة أخرجها أبو داود، برقم (٤٢٤٤) والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤٠٣ برقم ٢٣٤٧٣).
(٣) أخرجه المروزي في السنة (٢٦) ومعمر ابن راشد في جامعه (١١/ ٣٦٧) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢١٨).
(٤) هو: رفيع بن مهران الرياحي ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٩/ ٢١٤، ٢١٥).

وعلمائهم من الخروج عن السُّنَّة والكتاب يتبيَّن لك معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [البَقَرَة: ١٣١] **وقوله:** ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البَقَرَة: ١٣٢] **وقوله:** ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ﴾ [البَقَرَة: ١٣٠] **وأشباه هذه الأصول الكبار الَّتي هي أصل الأصول والنَّاس عنها في غفلة، وبمعرفتها يتبيَّن معنى الأحاديث في هذا الباب وأمثالها.**

وأمَّا الإنسان الَّذي يقرأها وأشباهها وهو آمن مطمئن أنَّها لا تناله، ويظنها في قوم كانوا أمنوا مكر اللَّهِ فبادوا ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعرَاف: ٩٩].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ **خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ** ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعَام: ١٥٣] **رواه أحمد والنسائي**(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٤٣٥ برقم ٤١٤٢) والنَّسائِيُّ في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٤٣ برقم ١١١٧٤) قال الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٨ برقم ٣٢٤١): «وهذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٢ برقم ١١٠٠٥): «رواه أحمد والبزار، وفيه: عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه ضعف».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

الواجب على المؤمن الحذر، وألَّا يغتر بالكثرةِ، وأن يعتبر بالسُّنَّة والدليل، وأنْ يخاف على نفسه ولا يأمن؛ لأنَّ اللَّهَ يقول: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعرَاف: ٩٩] يعمل ويتجه للطاعة وهو خائف وجِلٌ غير مطمئن.

يحذر البدع والمعاصي، ويتبع أهل الحقّ، ويستقيم معهم، ويبتعد عن أهل الباطل وصحبتهم، هكذا المؤمن، دائمًا على حذر، قال اللَّه جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البَيِّنَة: ٧-٨] قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [المُلك: ١٢] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: ٤٦] فيجب الحذر وعدم الطمأنينة، وكذا لا يقول: هذا رأي فلان، وهذا رأي فلان، بل حتى يعلم الدليل من الكتاب والسُّنَّة.

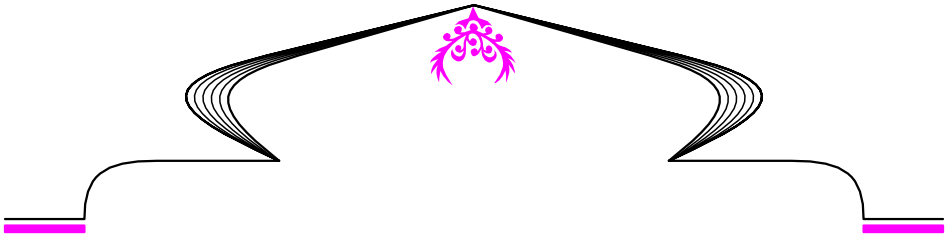

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب ما جاء في غربة الإسلام، وفضل الغرباء

وقول اللَّهِ تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هُود: ١١٦].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى(١) لِلْغُرَبَاءِ» رواه مسلم(٢).

ورواه أحمد من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «قِيلَ: وَمَن الغُرَبَاءُ، قَالَ: النُّزَّاعُ(٣) مِنْ القَبَائِلِ»(٤).

وفي رواية: «الغُرَبَاءُ الَّذينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»(٥).

---

(١) طوبى: اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب الطاء مع الواو، مادة: [طوب] (ص ٥٦٩).

(٢) أخرجه مسلم، برقم (١٤٥) كما أخرجه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (١٤٦) بلفظ «للإيمان» مع زياده في آخره.

(٣) النزاع: جمع نازع ونزيع، هو الغريب الَّذي نزع عن أهله وعشيرته، أي: بَعُدَ وغاب، والمعنى: أي: طوبي للمهاجرين الَّذين هجروا أوطانهم في اللَّه. ينظر: «النهاية في غريب الحديث الأثر لابن الأثير»، باب النون مع الزاي، مادة: [نزع] (ص ٩١٠).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٨ برقم ٣٧٨٤) وابن ماجه، برقم (٣٩٨٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٣ برقم ١٦٧٣٦) من حديث عبدالرحمن بن سنة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٨ برقم ١٢١٩٠): وفيه: «إسحاق بن عبد اللَّه بن أبي فروة، وهو متروك».

ورواه أحمد من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رضي الله عنه، وفيه: «فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ إذا فَسَدَ النَّاسُ»(١) وللترمذي من حديث كَثِيرِ بْنِ عَبْد اللَّهِ، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّهِ «فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ سُنَّتِي»(٢).

وعَن أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ قَالَ: «أَيَّةُ آيَةٍ؟» قُلْتُ: «قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] قَالَ: «أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا؛ سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلْ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَم شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِن وَرَائِكُمْ أَيَّامًا لِلصَّابِرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَابِضُ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ» قُلْنَا: «مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟»، قَالَ: «بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ» رواه أبو داود والترمذي»(٣).

قال المعلق رحمه الله:

في هذا ـ الباب ـ حثٌّ على الاستقامة في الغربة، وأنَّه ينبغي للمؤمن أن يستقيم عند غربة الإسلام، ولا يغتر بكثرة الهالكين،

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٨٤ برقم ١٦٠٤) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٧ برقم ١٢١٨٩): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصَّحيح.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم (٢٦٣٠) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٤٣٤١) والترمذي برقم (٣٠٥٨) وابن ماجه، برقم (٤٠١٤) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٤/ ٣٥٨ برقم ٧٩١٢).

ولهذا قال ﷺ في الحديث الصَّحيح لمَّا تلا أبو بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائدة: ١٠٥] قال ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللَّهُ أَن يَعُمَّهُمْ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»(١).

يقول: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المَائدة: ١٠٥] أي: لا يضر النَّاس من ضلَّ إذا اهتدوا واستقاموا، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنْكرِ، بعض النَّاس يظن أنَّهُ إذا اهتدى، ـ يعني: إذا أدَّى الطَّاعات الخاصة ـ لا يضره مَن ضلَّ، وهذا غلط؛ من الهداية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من أسباب الهداية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وروى ابن وضَّاح معناه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «إِنَّ مِن بَعْدِكُمْ أَيَّامًا لِلصَّابِرِ فِيهَا الْمُتَمَسِّكُ بِمِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ الْيَوْم لَهُ أَجْر خَمْسِينَ مِنْكُمْ»، قيل: «يا رسول اللَّه، منهم؟» قال: «بل منكم»(٢) ثم قال: أنبأنا محمد بن سعيد، أنبأنا أسد، قال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن أسلم البصري، عن سعيد أخي الحسن يرفعه، قلت لسفيان: عن النَّبِيِّ ﷺ؟، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: قَالَ: «إِنَّكُمُ الْيَوْمَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَجاهِدُونَ فِي اللَّهِ، وَلَمْ تَظْهَرْ فِيكُمْ السَّكْرَتَانِ: سَكْرَةُ الْجَهْلِ، وَسَكْرَةُ حُبِّ الْعَيْشِ، وَسَتُحولُونَ عَن ذَلِكَ فَلَا تَأْمُرُونَ بِالْمَعرُوفِ، وَلَا تَنْهَوْنَ عِن المُنْكَرَ، وَلَا تُجَاهِدُوَن فِي اللَّهِ، وَتَظْهَرُ

(١) أخرجه الترمذي، برقم (٢١٦٨) وابن ماجه، برقم (٤٠٠٥).
(٢) أخرجه في كتاب «البدع والنهي عنها» (١٨٩).

فِيكُمْ السَّكْرَتَانِ، فَالمُتَمَسِكُ يَؤمْئِذٍ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّة لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ»، قِيلَ: «مِنْ هُمْ؟»، قَالَ: «لَا، بَلْ مِنْكُمْ»[١].

وله[٢] بإسناد عن المعافري[٣] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ، الَّذِينَ يُمْسِكُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ حِينَ يُتْرَكُ، وَيَعْمَلُونَ بِالسُّنَّةِ حِينَ تُطْفَأ»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هؤلاء هم الغرباء الَّذين يَصْلَحُونَ عند فساد النَّاس، ويُصْلِحُونَ ما أفسد الناس بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويتمسَّكون بالقرآن حين يتركه النَّاس قال ﷺ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ، غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[٤]، فالغرباء هم أهل الصلاح، والاستقامة، وتنفيذ الأوامر، والدعوة إلى اللَّهِ، عند فساد الزمان وتغيُّر الأهل.

(١) ينظر: «البدع والنهي عنها» لابن وضاح، رقم (١٩٠).
(٢) هو: بكر بن عمرو ينظر: ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» للذهبي، (٦/ ٢٠٣).
(٣) لابن وضاح، ينظر: «البدع والنهي عنها»، رقم (١٦٩).
(٤) سبق تخريجه في (ص١٥٩ ح٢).

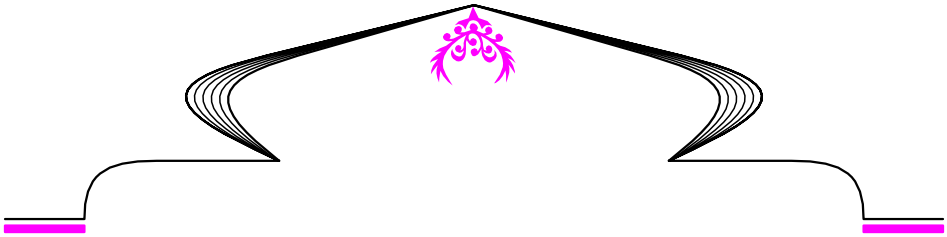

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

‹‹باب التحذير من البدع

عَن العِربَاضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: «يَارَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا؟» قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَن يَعِشْ مِنْكُمْ فَسيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» قَالَ أَبُو عِيسَى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(١).

وَعَن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُلّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَعَبَّدُوهَا؛ فَإِنَّ الأَوَّلَ لَمْ يَدَعْ لِلآخَرِ مَقَالًا، فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا مَعْشَرَ القُرَّاء، وَخُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» رواه أبو داود(٢).

وقال الدارمي(٣): أَخْبَرَنَا الْحَكَمُ بْنُ المُبَارَكِ، أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ

---

(١) أخرجه أبو داود، برقم (٤٦٠٧) والترمذي، برقم (٢٦٧٦) وابن ماجه، برقم (٤٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ١٧٤- ١٧٧ برقم ٣٢٩- ٣٣٣).

(٢) أخرجه أبو دواد في «الزهد» برقم (٢٨٠) بنحوه، وأصله بغير هذا السياق عنه عند البخاري، برقم (٨٢٧٢).

(٣) أخرجه الدارمي، برقم (٢٠٧).

يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ ﷺ فَقَالَ: «أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟» قُلْنَا: «لَا»، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: «يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَّا خَيْرًا» قَالَ: «فَمَا هُوَ؟» فَقَالَ: «إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ» قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى» فَيَقُولُ: «كَبِّرُوا مِائَةً»، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: «هَلِّلُوا مِائَةً» فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: «سَبِّحُوا مِائَةً» فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: «فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟» قَالَ: «مَا قُلْتُ لَهُم شَيْئًا؛ انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ» قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَن لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ شَيْءٌ».

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟!» قَالُوا: «يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّسْبِيحَ» قَالَ: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَن لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُفْتَتِحِو بَابِ ضَلَالَةٍ» قَالُوا: «وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ»، قَالَ: «وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ، مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ» ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ،

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَة: «رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ».

واللَّهُ المستعان وعليه التكلان، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذا التحذير من البدع، وأنَّ الواجب على أهل الإسلام الحذر منها، ولهذا حذَّر منها النَّبِيّ ﷺ، قال العرباض: وعظنا موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قالوا: كأنَّها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ** ـ يعني لولاة الأمور ـ، **وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَن يَعِشْ مِنْكُمْ فَسيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تمسكوا بها، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

فالواجب على أهل الإسلام أنْ يتمسكَّوا بما شرعه اللَّهُ لعباده، وأن يحذروا ما أحدثه النَّاس من البدع؛ ولهذا قال له حذيفة: «**كُلّ عِبَادَةٍ لَا يَتَعَبَّدُهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَا تَعَبَّدُوهَا، فَإِنَّ الأَوَّلَ لَمْ يَدَعْ لِلآخَرِ شيئًا**» لأنَّ الصَّحابة قد بيَّنوا، وسألوا نبيَّهم عن كلِّ شيء، فعليكم بالتأسي به، والسير على منهاجه.

ولما رأى عبد اللَّه بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قومًا في المسجد حلقًا، وفي أيدهم حصى، وكل واحدة فيها واحد يقول: سبحوا كذا، يعدون بالحصى، قال: «**إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ مُفْتَتِحِو بَابِ ضَلَالَةٍ، عُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَن لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ**» هذا مما أحدثه النَّاس من البدع؛ ولهذا

قال ﷺ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

فما يتقرب به النَّاس مما لم يشرع يسمى بدعة، فالواجب الحذر منها، وليس فيها تفصيل؛ كل بدعة ضلالة، أمَّا قول بعض النَّاس إنَّ البدعة تنقسم إلى خمسة أقسام، فهو قول غلط ممن قاله، والصواب أنَّ كل بدعة ضلالة.

والبدعة هي القربة الَّتي يتقرب بها النَّاس ولم يشرعها اللَّه، هذه مثل الَّذِي فعله هؤلاء في عهد ابن مسعود رضي الله عنه، ومثل بدعة الموالد، وبدعة بناء القبور، وإدخال المساجد عليها، وتجصيص القبور، والكتابة عليها، كل هذا ممَّا أحدثه النَّاس من البدع.

فالواجب الحذر من ذلك، وأن يتقيد المؤمن بما شرعه اللَّه، وما درج عليه أصحاب رسول اللَّهِ ﷺ في العبادات، وأن يحذر أنْ يزيد فيما شرعه اللَّه ـ جلَّ وعلا ـ، قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، اللَّه أكمل الِّدين، فليس لأحد أن يزيد فيه.

نسأل اللَّه العافية والسَّلامة، وَصَلَّى اللَّه على محمَّد، وعلى آله وصحبه.

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه، برقم (٨٦٧).

فهرس الموضوعات

لكتاب التعليق على فضل الإسلام

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية:	١١٣
باب فضل الإسلام:	١١٥
باب وجوب الدُّخول في الإسلام:	١١٨
باب تفسير الإسلام:	١٢١
باب قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾:	١٢٤
باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه:	١٢٦
باب ماجاء في الخروج عن دعوى الإسلام:	١٢٨
باب وجوب الدُّخول في الإسلام كُلِّه وترك ماسواه:	١٣١
باب ماجاء في أنَّ البدعة من أشد الكبائر:	١٣٥
باب ماجاء أنَّ اللَّه احتجز التوبة عن صاحب البدعة:	١٣٩
باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾:	١٤٦
باب قول اللَّه تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾:	١٤٨
باب ما جاء في غُربة الإسلام وفضل الغرباء:	١٥٦
باب التحذير من البدع:	١٦٠
فهرس الموضوعات:	١٦٥

شرح

كشف الشبهات

للإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

شرح

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لِلَّهِ وصلَّى اللَّهُ وسلَّم على رسُولِ اللَّهِ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، أمَّا بعد:

فيطيبُ «**لمؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم شرح سماحته لكتاب «**كشف الشبهات**» ضمن سلسلة إصداراتها لشروح وتعليقات سماحته على كتب أهل العلم.

وكتاب «**كشف الشبهات**» هو للإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ الَّذي بذل حياته للدِّفاع عن التَّوحيد، ونشر تعاليمه ومحاسنه في أرض الجزيرة العربية، فأرسل الرُّسائل وألَّف الكتب، ومنها هذا الكتاب «كشف الشُّبهات» الَّذي أورد فيه بعض الشُّبه الَّتي يثيرها الَّذين خلطوا التَّوحيد بالشِّرك، ودحضها رَحِمَهُ اللَّهُ بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد قام الشَّيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ بشرح الكتاب والتَّعليق عليه بأسلوب واضح ليسهل على القارئ فهمه، وليميِّز دين المرسلين ودعوتهم عن دين المشركين وعبادتهم.

وهذا الشرح هو تفريغ من تسجيل صوتي لسماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لدروس كان يُلقيها على طلابه، وقد بدأ الاعتناء به فضيلة الشَّيخ علي بن صالح بن عبد الهادي المريِّ وفَّقه اللَّهُ، ثُمَّ أكملت المؤسسة إخراجه ليعم نفعه وخيره الأمة.

وقد اتَّبعنا في إخراجه المنهج العلمي في تفريغات الدروس المسجلة وتحويلها إلى كتاب مقروء، مع الالتزام بلائحة المؤسسة فقد أوردنا الآيات برسم المصحف والأحاديث والآثار مضبوطة بالشكل مع تخريج موجز في الحاشية، وتوثيق النقول الورادة في المتن والشرح مع الاعتناء بالتنسيق وحسن التخريج.

وفي الختام: نسأل اللَّه تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي شيخنا عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف له المثوبة والأجر، ويعلي به منزلته في الجنَّة، إنَّه سميع قريب مُجيب.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

تعريف الشارح بكشف الشبهات

بِسْمِ اللَّهِ، والحمد للَّه، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه.

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه المُسمَّى «**كشف الشُّبهات**»:

عُبَّاد القبور لهم شبهات كثيرة يُوردونها على الدُّعاة إلى اللّهِ، يُلبِّسون بها على بعض النَّاس في دعائهم الأموات واستغاثتهم بهم، وبالملائكة والأنبياء والصَّالحين ونحو ذلك، يقولون: هؤلاء لهم جاهٌ عند اللَّه، ولهم شفاعة عند اللَّه، وهم مُقرَّبون عند اللَّه، وإنا نطلب منهم الشَّفاعة، نطلب منهم القُربى، نحن نعرف أنَّهم لا يتصرفون بأنفسهم، وأنَّهم لا يخلقون، ولا يرزقون، ولكن نريد شفاعتهم، نريد تقريبهم لنا إلى اللَّهِ زُلفى، نريد أن ينفعونا بشفاعتهم، يشبهون على النَّاس.

والمؤلف كتب هذه الرِّسالة «كشف الشُّبهات» لإيضاح الشُّبهات وإبطالها، كما أوضح الرَّسول ﷺ إبطالها وأوضح القرآن إبطالها، وبيان أن هذه الشُّبهات لا تلتبس على أهل العلم والإيمان.

[وفي عهد الشيخ محمَّد رحمة اللَّه عليه كانت عبادة غير اللَّه من الأولياء والصَّالحين وغيرهم قد انتشرت في كلِّ مكان في الدرعية

بنجد وفي الجزيرة، وفي مصر، وفي الشام، وفي العراق وغيرها من ديار الإسلام، فقد كثُر الشِّرك في النَّاس بعد القرون الثلاثة الفاضلة][(١)].

فمقصود المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من هذه الرِّسالة إيضاح الشُّبهات الَّتي اعترض بها عُبَّاد القبور، ولبَّسوا بها على المسلمين.

(١) ما بين المعكوفتين [...] من أجوبة سماحته عقب الشرح المذكور.

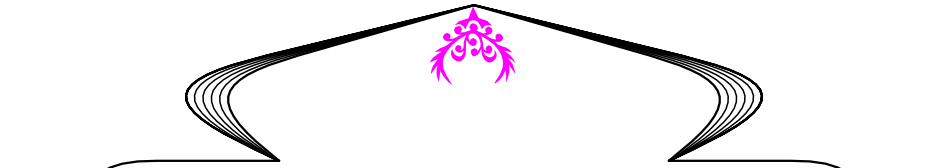

[حقيقة التَّوحيد][1]

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«اعلم رحمك اللَّه أنَّ التَّوحيد: هو إفراد اللّه سبحانه بالعبادة، وهو دين الرُّسل الَّذي أرسلهم اللَّهُ به إلى عباده، فأوَّلُهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسله اللَّه إلى قومه لمَّا غلوا في الصَّالحين: وَدٍّ، وسُواع، ويغوثَ، ويعوقَ، ونَسْرٍ.

وآخر الرُّسل محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الَّذي كسَّر صور هؤلاء الصَّالحين، أرسله اللَّه إلى قوم يتعبدون، ويحجون، ويتصدقون، ويذكرون اللَّهَ كثيرًا، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين اللَّه، يقولون: نريد منهم التَّقرب إلى اللَّهِ، ونريد شفاعتهم عنده، مثل الملائكة، وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصَّالحين.

فبعث اللَّهُ إليهم محمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجدِّد لهم دين أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ويخبرهم أنَّ هذا التَّقرب والاعتقاد محض حقِّ اللَّهِ، لا يصلح منه شيء لغيره، لا لملك مُقرَّب ولا لنبيٍّ مرسل فضلًا عن غيرهما وإلَّا فهؤلاء المشركون يشهدون أنَّ اللَّه هو الخالق الرَّازق وحده لا شريك

(١) العناوين الَّتي بين المعكوفتين [...] في مستهل متن كل شرح هي من وضع المعتني عملًا باللائحة العلمية بالمؤسسة.

له وأنَّه لا يرزق إلَّا هو، ولا يحيي إلَّا هو، ولا يميت إلَّا هو، ولا يُدبر الأمر إلَّا هو، وأنَّ جميع السَّموات السَّبع ومن فيهن والأرضين السَّبع ومن فيها، كلّهم عبيده وتحت تصرّفه وقهره.

فإذا أردت الدَّليل على أنَّ هؤلاء المشركين الَّذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ يشهدون بذلك فاقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١] **وقوله تعالى:** ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] **وغير ذلك من الآيات».**

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول الشَّيخ محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ: اعلم ـ أيُّها القارئ، أيُّها المسلم ـ أنَّ التَّوحيد: هو إفراد اللَّه بالعبادة، وهو دينُ اللَّه، قال جلَّ وعلا: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] وقال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفَاتِحَة: ٥] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

فالتَّوحيد: هو إفراد اللَّه بالعبادة، وهو دين الرُّسل الَّذي أرسلهم اللَّهُ به إلى عباده، من أوَّلهم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى آخرهم محمَّد ﷺ كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقد كان على دين التَّوحيد نوح، وقبله آدم عليه السلام وذريته، وهكذا الرُّسل بعده؛ كُلُّهم على هذا، على التَّوحيد فلمَّا حدث الشِّرك في قوم نوح وأشركوا بوَدٍّ وسواع ويغوث ويعوق ونسرٍ أرسلَ اللَّهُ إليهم نوحًا عليه الصَّلاة والسَّلام ينهاهم عن عبادة هذه الصُّور «الأصنام» وهم صوَّروهم ليتأسوا بهم، كانوا رجالًا صالحين، فلما هلكوا في قوم نوح، جاءهم الشَّيطان، وقال: هؤلاء صفتهم كذا وصفتهم كذا، وهم صالحون وأخيار، حتَّى صَوَّرُوا صورهم وجعلوها في مجالسهم حتَّى يتذكروا عبادتهم، ليقتدوا بهم، حتَّى يُصَيِّرهم بعد ذلك إلى الشِّرك، أو يُصَيِّر من بعدهم، فصوَّروا صورهم ونصبوها في مجالسهم، حتَّى طال عليهم الأمد فعبدوهم من دون اللَّه[1]، هم: عُبِدُوا في زمن نوح؛ ووجودهم كان قبل زمن نوح عليه السلام، وبقيت صورهم وذكراهم في النَّاس إلى عهد النَّبِيِّ ﷺ هو الَّذي أزالها مِنْ حول الكعبة.

فالنَّبِيُّ ﷺ لمَّا بعثه اللَّه، أنكر على المشركين عبادة الصَّالحين، وأخبرهم بما جرى لقوم نوح وأنزل اللَّه عليه في ذلك سورة نوح، وهو الَّذي كسَّر صور هؤلاء الصَّالحين، وَدًّا وسواعَ ويغوثَ ويعوقَ ونسرًا كانت موجودة في العرب، فأمر بتكسيرها لما فتح اللَّه عليه

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا عليه، برقم (٤٩٢٠) بلفظ: «**صَارَتْ الأَوْثَانُ الَّتِي كانت فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي العرب ...**».

مكة عليه الصَّلاة والسَّلام[(١)].

وكان المشركون يتعبدون عند هذه الأصنام وأشباهها، يرجون بركتها، وشفاعتها عند اللَّه ونفعها، كما أخبرنا رَبُّنا بقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] لا يعتقدون أنَّها تخلق وترزق كما يظن بعض المشركون الَّذين في زماننا، يظنون أنَّ أولئك كانوا يعتقدون أنَّها تخلق وترزق، لا، هم يعتقدون فيها أنَّها مخلوقة مربوبة لاتخلق ولا ترزق؛ ولكن يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] ومع هذا كفّرهم اللَّه، وأرسل إليهم رسوله، وقاتلهم على هذا الشِّرك.

وهذا يُبيِّن للقارئ حقيقة الشِّرك، وأنَّه هو التَّشفع بالصَّالحين وطلبهم لهم للقربى إلى اللَّه، والذَّبح لهم، والنَّذر لهم، والسُّجود لهم، بقصد القربة والشَّفاعة.

فهم ما قالوا: إنَّها تخلق وترزق، واللَّه بيَّن هذا في كتابه العظيم حيث قال لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ﴾ [يُونس: ٣١] فهم معترفون كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾ [الزّخرُف: ٨٧] ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزُّمَر: ٣٨] ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٢٤٧٨) ومسلم، برقم (١٧٨١) بلفظ: «**دخل النَّبِيُّ مَكَّةَ وَحَوْلَهَا ثَلَاثُمَائة وستُّونَ نُصُبًا فَجَعَل يَطْعَنُها بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ ...**».

ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

والآيات كثيرة في هذا، كُلُّها تدلُّ على أنَّهم مُقرُّون بأنَّ اللَّهَ خالق الأرض، خالق السَّماء، خالق كُلّ شيءٍ، ولكنهم كفروا بطلبهم الشَّفاعة والقربة من الأنبياء والصَّالحين، والذَّبح لهم والنَّذر لهم ونحو ذلك، كفروا بهذا، وإلَّا فهم يعلمون أن جميع المخلوقات اللَّهُ خالقها، ورازقها ﷻ، هم مُقرُّون بهذا وليس عندهم فيه شك، ولكنهم توسطوا بهم في طلب الشَّفاعة والقربى، والمغفرة وفي غير هذا من مطلوبهم.

وقالوا: إنَّما تقربنا إليهم نرجو شفاعتهم وتقريبهم لنا، فبيَّن اللَّهُ بطلان هذا وأنَّ هذا شرك أكبر وكفر وضلالة، وأنَّ تعبدهم، وذبحهم لهم، ونذرهم لهم، ودعاءهم إيَّاهم، كلَّ هذا من الشِّرك الأكبر، ولو اعتقدوا أنَّهم مخلوقون لِلَّهِ مرزوقون من اللَّهِ، لكن ما دام صرفوا هذه العبادة لهم، واستغاثوا بهم ونذروا لهم، وذبحوا لهم، هذا هو الشِّرك.

فلعل هؤلاء المتأخرين إذا بُصِّرُوا يتبصَّرون، وإذا ذُكِّروا يتذكرَّون بما كان عليه أهل الشِّرك، وأنَّ هذا الَّذي هم عليه هو شرك المشركين الأوَّلينِ.

وهؤلاء المتأخرون زادوا على الأوَّلين أيضًا، المشركون عُبَّاد البدوي، والحسين، والجيلاني وغيرهم، هؤلاء شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة، نعوذ باللَّه، فهم أشدُّ شركًا من الأوَّلين وأعظم إثمًا وأقبح فعلًا.

وبعضهم يشرك في الرُّبوبيَّة، يعتقدون أنَّ مُعبوداتهم تشارك اللَّه

في تصريف الكون، وهذا شرك آخر، شرك في الرُّبوبية نعوذ باللّهِ.

فالمقصود: أنَّ شرك المتأخرين أعظم من شرك الأوَّلين، وأقبح من جهتين: من جهة أنَّ شركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة والأوَّلون بخلاف ذلك، ومن جهة أنَّ كثيرًا منهم شرّكوا آلهتهم حتَّى في تدبير الأمور، وفي خلق الخلق، وفي رزق العالم، وهذا أقبح من شرك الأوَّلين وأخطر وأشدُّ ضلالًا وبُعدًا عن الهُدى، نسأل اللَّه العافية.

وقد جاء في الحديث الصَّحيح: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ**»(١) يعني: يعمّ الشِّرك حتَّى تطبق البلاد على الشِّرك بعدما ينزع الإيمان من قلوب النَّاس «**فَإِنَّ اللَّهَ يُرسِلُ رِيحًا طَيّبَةً تَقْبِضُ أَرْوَاحَ المُؤْمِنِينَ**»(٢) فلا يبقى إلَّا الكفار وعليهم تقوم السَّاعة، نسأل اللَّه العافية.

■ **مسألة:**

الشِّرك الأصغر الأقرب والأظهر أنَّهُ أكبر من الكبائر، وتسميته شركًا دلَّ على ذلك، أمَّا هل يدخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] الأقرب أيضًا أنَّهُ يدخل فيها؛ لكن قد يغفر برجحان الحسنات، إذا رجح ميزان الحسنات؛ لأنَّهُ من جنس الكبائر لكن قد لا يغفر له إذا لم يتب منه، ولم يرجح ميزانه، قد يعذَّب عليه، مثلما يعذَّب على الكبائر إذا مات عليها، إلَّا أن يعفو اللَّه عن الكبائر.

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (١٤٨).

(٢) أخرجه مسلم بمعناه في حديث طويل عن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٢٩٣٧).

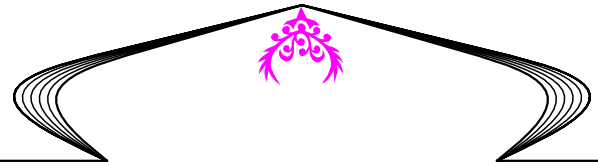

[المشركون الأوَّلون أقرُّوا بالرُّبوبيَّة وأشركوا في الإلوهيَّة في الرَّخاء دون الشِّدَّة]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإذا تحققتَ أنَّهم مُقرَّون بهذا، وأنَّه لم يدخلْهم في التَّوحيد الَّذي دعاهم إليه رسول اللَّهِ ﷺ، وعرفتَ أنَّ التَّوحيد الَّذي جحدوه هو توحيد العبادة، الَّذي يسميه المُشركون في زماننا «الاعتقاد» كما كانوا يدعون اللَّه سبحانه ليلًا ونهارًا.

ثُمَّ منهم مَن يَدعو الملائكة؛ لأجل صلاحهم وقربهم مِن اللَّهِ ليشفعوا لهم، أو يَدعو رجلًا صالحًا مثل اللَّات[1] أو نبيًّا مثل عيسى وعرفتَ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قاتلهم على هذا الشِّرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لِلَّهِ وحده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وكما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤].

وتحقَّقتَ أنَّ الرَّسول ﷺ قاتلهم ليكون الدُّعاء كلّه لِلَّهِ، والنَّذر كلَّه لِلَّهِ، والذَّبح كلّه لِلَّهِ، والاستغاثة كلّها باللَّهِ، وجميع أنواع العبادات كلّها لِلَّهِ.

---

(١) قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كَانَ اللَّات رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الحَاجِّ» أخرجه البخاري، برقم (٤٨٥٩).

وعرفتَ أنَّ إقرارهم بتوحيد الرُّبوبيَّة لم يدخلْهم في الإسلام، وأنَّ قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتَّقرب إلى اللَّهِ بذلك، هو الَّذي أحلَّ دماءهم وأموالهم؛ عرفتَ حينئذٍ التَّوحيد الَّذي دعتْ إليه الرُّسل، وأبى الإقرار به المشركون.

وهذا التَّوحيد: هو معنى قولك: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، فإنَّ الإله عندهم هو الَّذي يقصد لأجل هذه الأمور، سواء كان مَلَكًا، أو نَبِيًّا، أو وليًّا، أو شجرةً، أو قبرًا، أو جنيًّا، لم يريدوا أنَّ الإله هو الخالق الرَّازق المُدبِّر، فإنَّهم يَعلمون أنَّ ذلك لِلَّهِ وحده، كما قدَّمتُ لك.

وإنَّما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السَّيِّد، فأتاهم النَّبِيُّ ﷺ يدعوهم إلى كلمة التَّوحيد، وهي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكُفَّار الجُهَّال يعلمون أنَّ مراد النَّبِيّ ﷺ بهذه الكلمة هو: إفراد اللَّه تعالى بالتَّعلق به والكُفر بما يُعبد من دونه، والبراءة منه، فإنَّه لما قال لهم: «قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥](١).

فَإذا عرفتَ أنَّ جُهَّال الكُفَّار يعرفون ذلك، فالعجب ممَّن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جُهَّال الكفرة، بل يظن أنَّ ذلك هو التَّلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلَّا اللَّه، ولا يدبر الأمر إلَّا اللَّه، فلا خير في رجل يَدَّعي الإسلام وجُهَّال الكُفَّار أعلم منه بمعنى: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه»».

---

(١) يشير الشَّيخ إلى ما أخرجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الترمذي، برقم (٣٢٣٢) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا تحققتَ مِمَّا تقدَّم ذكره من أنَّ المشركينَ يُقرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبِّر، وأنَّه يحيي الموتى، وينزل المطر وهو على كلِّ شيء قدير فيما يتصرف فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنهم ينكرون توحيد الألوهية ـ وتخصيص اللَّه بالعبادة ـ ويرون أنَّه لا مانع من التَّعلق بالصَّالحين كاللَّات، وبالأنبياء كعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو بغيرهم من الأشجار والأحجار؛ لطلب البركة وطلب الشَّفاعة، كما فعلوا مع العُزَّى ومناة واللَّات، ومع عيسى وأمه، ومع الملائكة إلى غير ذلك.

هم يرون أنَّ التَّعلقَ بهؤلاء أو طلب الشَّفاعة منهم، والاستغاثة بهم والذَّبح لهم والنَّذر لهم لا بأس به، وأنَّ هذا لا يجوز منعهم منه؛ ولهذا أنكروا على النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك وقالوا له، لما قال لهم: «قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥] وقالوا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٣٦-٣٧].

فهم لا يُنكرون عليه دعواه بأنَّ اللَّهَ ربَّهم وخالقهم ورازقهم ومنزل المطر ومجري الشَّمس والقمر، يعرفون هذا، ولكن أنكروا عليه لمَّا دعاهم إلى توحيد اللَّهِ والإخلاص لِلَّهِ، وترك النَّذر لغير اللّه، والذَّبح لغير اللَّهِ، ونحو ذلك مِمَّا كانوا يفعلونه، ويرون أن ذلك لا يضر، وأنَّ هذا من باب التّوجه بهم والتَّقرب بهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨] ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] ما قصدنا أنَّهم يخلقون أو يرزقون أو يُدبِّرون، نعرفُ أنَّ هذا لِلَّهِ، ولكن يُريدون أنَّهم يُقرِّبونهم إلى اللَّهِ، هذا الَّذي قاله المشركون الأوَّلون، وأنكره النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام هو ما يقوله المتأخِّرون.

المتأخِّرون يقولون: في تعلُّقهم بالأموات من الأنبياء والصَّالحين: إنَّنا نُريد جاههم نريد أن يشفعوا لنا فنعبدهم؛ لينفعونا عند اللَّهِ، فهذا الَّذي قاله هؤلاء هو الَّذي قاله الأوَّلون، ولكن الأوَّلون أخف منهم شركًا، وأقلّ؛ لأنَّ الأوَّلين في حال الرَّخاء يشركون، وفي حال الشَّدائد يُخلصوا لِلَّهِ العبادة، أمَّا هؤلاء المتأخِّرون فشركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة، فصار مع الصَّالحين أو غيرهم ـ نعوذ باللَّه ـ.

فالواجب أن يكون عندك ـ أيُّها العبدُ ـ تمييِّز لهذا الأمر، وأن دينَ المشركين غير دين المسلمين، فالرَّسول ﷺ أرسله اللَّهُ إليهم ليدعوهم إلى توحيد اللَّهِ وطاعته، وترك الشِّرك باللَّهِ سبحانه، يَدعُوهم إلى ترك المعاصي، فهم قابلوا هذه الدَّعوة بالصُّدود والمعاداة والخصومة، وقاتلوه على هذا يوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، كلّ هذا دفاعًا عن دينهم الباطل؛ لتعلُّقهم على غير اللَّهِ وشركهم باللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن اللَّهَ أيَّد نبيَّه ونصره عليهم، حتَّى فتح عليه مكة عنوة ودخلوا ـ بعد ذلك ـ في دين اللَّهِ أفواجًا.

فجميع ما يتعلَّق بالدَّعوة يدلُّ على هذا المعنى، وأنَّ المُدعو إذا كان يتعلق بالأموات أو بالكواكب أو كذا فهذا الَّذي يُدعى ويُبيَّن له.

فصاروا أكثر شركًا وأشر شرًّا من الأوَّلين بسبب تساهلهم، وعنادهم، وعدم قبولهم النُّصح، نسأل اللَّه العافية.

فينبغي للمؤمن: أن ينتبه لهذا، وأن يعرف أنَّ الشِّرك: هو صرف العبادة لغير اللَّهِ أو بعضها، سواءً كان الصارف يُقِرُّ بتوحيد الرُّبوبيَّة أو لا يقر، مهما كان حاله، فإنَّه كافر ما دام يَعبدُ غير اللَّهِ، ويستغيث بغير اللَّه، ويدعو غير اللَّه، نسأل اللَّه العافية.

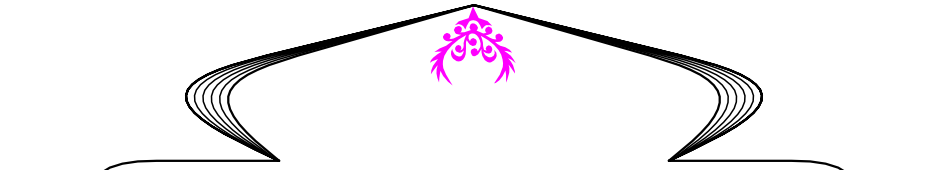

[وجوب خوف المؤمن من الوقوع في الشِّرك]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«إذا عَرفتَ ما ذكرتُ لك معرفة قلب، وعرفت الشِّرك باللَّهِ الَّذي قال اللَّهُ فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء:٤٨، ١١٦] وعرفتَ دين اللَّهِ الَّذي أرسل به الرُّسل، من أوَّلهم إلى آخرهم الَّذي لا يقبل اللَّهُ من أحدٍ سواه، وعرفتَ ما أصبح غالب النَّاس فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين:

الأولى: الفرح بفضل اللَّهِ وبرحمتهِ، كما قال اللَّه تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

الثَّانية: الخوف العظيم، فإنَّك إذا عرفتَ أن الإنسان يَكفر بكلمةٍ يُخرجها من لسانه، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها ويظن أنَّها تقربه إلى اللَّهِ تعالى، كما كان يفعل الكُفَّار خصوصًا إن ألهمك اللَّه تعالى ما قصَّ عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنَّهم أتوهُ قائلين: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الأعرَاف: ١٣٨] فحينئذٍ يعظم حرصك وخوفك، على ما يخلِّصك من هذا وأمثاله».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إذا عرفتَ ما ذكرتُ لَكَ معرفة قلب**» يعني: ما قلتُ لَكَ من حال المشركين الأوَّلين، وأنَّهم يعرفون أنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق المُدبِّر، المحيي المميت، وأنَّهم إنَّما عبدوا الأصنام والأوثان والأشجار والملائكة والأنبياء، بقولهم: إنَّهم يشفعون لهم ويقربونهم إلى اللَّهِ زلفى، وما عبدوهم على أنَّهم يخلقون أو يرزقون، يعرفون أنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرَّزاق المحيي المميت المُدبِّر، ولكن عبدوا الملائكة والأنبياء والأصنام واللَّات والعُزَّى وأشباهها، يعتقدون أنَّها تشفع لهم عند اللَّهِ، وتقربهم إليه زلفى، ومع هذا قاتلهم النَّبِيّ ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم حتَّى يُخلصوا العبادة لِلَّهِ وحده.

وإذا عرفتَ الشِّرك باللَّهِ الَّذي قاتلهم النَّبِيّ ﷺ عليه، وأنَّه صرف للعبادة لغير اللَّه كالذَّبح والنَّذر والاستغاثة ونحو ذلك، كونه يستغيث بالشَّجر أو بالصَّنم أو بالملك أو بالأنبياء أو بالأموات أو بالنُّجوم هذا هو الشِّرك، إذا استغاث بها أو نذر لها أو ذبح لها أو دعاها أو سجد لها أو ما أشبه ذلك هذا أعظم الذُّنوب، كما قال اللَّهُ تعالى في هذا الشأن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] وقال فيه سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥].

وإذا عرفتَ دين الإسلام الَّذي بعث اللَّهُ به الرُّسل، وأنزل به الكتب، وهو توحيد اللَّه والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، الَّذي قال فيه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[آل عِمرَان: ١٩].

دين الإسلام ليس بالتقليد الأعمى، والدَّعوى بالإسلام وما أشبه ذلك من غير نظر ولا عقيدة، لا بل دين الإسلام عقيدة وعمل، قول وعمل، تعرف دين الإسلام أنّه توحيد اللَّه والإخلاص له، والإيمان به وبرسله والإيمان بكل ما أخبر اللَّهُ به ورسولُهُ من أمر الجنَّة والنَّار وغير ذلك مع تصديق الرَّسول ﷺ واتِّباعه مع طاعة الأوامر، وترك النواهي، هذا هو دينُ اللّهِ، الَّذي جهله الأكثرون مع أنَّهم يَدَّعون أنَّهم مسلمون وهم يَعبدون الأشجار والأحجار والأصنام والأولياء من جهلهم.

إذا عرفتَ ذلك عرفتَ أنَّ اللَّهَ قد أعطاك فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: الفرح بفضل اللَّهِ ورحمته، فضل اللَّه أن عرَّفك بالإسلام وهداك له، ومن رحمته أن جعلك من أهله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨] تفرح أنَّ اللَّهَ شرح صدركَ، وعَلَّمك، وفهَّمك دينه، وهداك له ورحمك، حتَّى صرت من أهله هذه نعمة عظيمة.

والفائدة الثَّانية: الخوف، تخاف أن يُصيبك ما أصاب النَّاس، تخاف أن تهلك، أو تزل، يقول اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [المُلك: ١٢] ويقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٧٥] ولما ذكر أهل الجنة قال: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البَيِّنَة: ٨] ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] تخاف اللَّه أن تزل قدمك، أن تقع في الشرك، أن ترتد عن دينك.

وعرفتَ أنَّ الإنسان قد يكفر بكلمة تصدر من لسانه، قد يقولها وهو جاهل، قد يقولها وهو يعتقد أنَّها تقربه إلى اللَّهِ زلفى، قد يَسبُّ

اللَّهَ أو الرَّسولَ، أو يستهزئ بالدِّين أو يجحد ما أوجب اللَّهُ أو يجحد بعض ما حرَّم اللَّهُ فيكفر بذلك وهو لا يبالي ولا ينتبه.

هكذا المؤمن يفرح بفضل اللَّهِ يَحمد اللَّه أن جعله من أهل الإسلام، ويستقيم ويجاهد نفسه في اللَّهِ، ويخاف أن تزل قدمه أو يزيغ قلبه، ليس بآمن؛ بل يخاف ويحذر، يخاف أن يقع فيما وقع فيه الأكثرون من الشِّرك باللَّهِ.

هكذا المؤمن يكون خائفًا وَجلًا حذرًا لا يأمن مكر اللَّه، ومن الإيمان الخوف من اللَّه والخشية له، ورجاؤه وتعظيمه، والإخلاص له والثّبات على دينه، كلّ هذا داخل في الإيمان، هؤلاء هم أهل الأمن والهداية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢] هم الموفقون بسبب إيمانهم وصدقهم وإخلاصهم، وخوفهم من اللَّهِ وعنايتهم بدينهم، وحذرهم من أسباب الشِّرك.

قال ابن أبي مليكة[(١)] رَحِمَهُ اللَّهُ التابعي الجليل: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ»[(٢)] كلهم يخاف: كلهم يحذر، قال بعضهم[(٣)]: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم الخليل، يقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] يخاف ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ

(١) هو الإمام الحُجَّة الحافظ أبو بكر، وأبو محمَّد عبد اللَّه بن أبي ملكية، قال البخاري: مات سنة سبع عشرة ومائة، سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٨٨-٩٠).

(٢) ذكره البخاري معلقًا في «صحيحه» في كتاب الإيمان، بين رقمي (٤٧، ٤٨) ووصله في «كتاب التاريخ الكبير» (٢/ ١٣٧) كما وصله الخلال في كتاب «السنة» برقم (١٠٨٠).

(٣) أخرجه عن إبراهيم التميمي الطبري في تفسيره (١٣/ ٦٨٧، ٦٨٨).

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦] يخاف أن يصيبه ما أصاب الكثير.

والنَّبِيُّ ﷺ كان يَضَّرع إلى ربِّه في سجوده ويسأله ﷻ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ**»(١) ويسأل ربَّه دائمًا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي**»(٢) «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(٣) وهو نبيُّ اللَّهِ ورسوله، وهو أفضل الخلق عليه الصِّلاة والسَّلام، ويقول: «**أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**»(٤) يحلف باللّه أنّه أخشى الناس للَّه، وأنه أخوف الناس من اللَّه، مع إيمانه العظيم وتقواه «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ**».

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وقد يقولها وهو جاهل ولا يعذر بجهله**» لأنَّه بين المسلمين، وعنده الكتاب والسُّنَّة قريب، يعني: هذا فيه معنى التساهل؛ لأنَّه إنسان مُفَرِّطٌ يستطيع التَّعلم، ولم يبال.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٤٨٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٦٣٩٩) ومسلم، برقم (٢٧١٩).

(٣) أخرجه الترمذي وحسنه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٢١٤٠) وابن ماجه، برقم (٣٨٣٤).

(٤) أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٥٠٦٣) ومسلم، برقم (١٤٠١).

■ **مسألة: العذر بالجهل:**

مسألة عظيمة، والأصل فيها أنَّه لا يُعذر من كان بين المسلمين، من بلغه الكتاب والسُّنَّة لا يُعذر، اللَّه جلَّ وعلا، قال: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] من بلغه القرآن والسُّنَّة فهو غير مَعذور، إِنَّما أُتِيَ من تساهله، وعدم مبالاته بالتَّعلم.

وليست مسألة ـ العذر بالجهل مسألة ـ خلافية، إلَّا في الدَّقائق الَّتي قد تخفى مثل قصة الَّذي قال لأهله: «**اَحْرِقُونِي**»[(١)] [(٢)].

■ **مسألة:**

خوف الشِّرك: هو خوف السِّر، أن يخاف الأصنام ويخاف النجوم، والأشجار أو الأحجار، أو الجنِّ أو الإنس الغائبين من الأ**حياء أو** أصحاب القبور الأموات، تخاف أن يفعلوا بك ما يضرك؛ لاعتقادك أنَّهم يستطيعون ذلك بغير أسباب حسيَّة، بل بقدرتهم الخاصة، لأنَّهم يعلمون أمورك، ويعلمون الغيب، وأنَّهم ينفعوكَ ويضروكَ أو ما أشبه ذلك، فهذا هو الخوف الَّذي هو الشِّرك الأكبر[(٣)].

أمَّا الخوف الَّذي يحملك على ترك واجب أو فعل محرَّم،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (٣٤٧٨، ٦٤٨١، ٧٥٠٨) ومسلم، برقم (٢٧٥٧).

(٢) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٩/ ٧٩، ٣٩٨، ٢٨/ ٢١٥-٢١٧) و«فتاوى نور على الدرب» لسماحته (١/ ٢٦٣).

(٣) أمَّا الخوف الَّذي له أسباب حسيَّة من الظلمة القادرين على إيقاع الظلم، أو الخوف الطبيعي من حر أو برد أو حيَّة أو عقرب، فيتخذ الأسباب الَّتي تقيه، فهذا ليس من خوف الشِّرك، ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٨/ ٢٨١، ٢٨٢).

يسمى معصية لا يسمى شركًا[١] إذا حمله خوفه من ولده أو خوفه من زوجته يكون معصية لا يكون شركًا، فكونك يفعل شيئًا ممَّا حرَّم الله خوفًا من أن تهرب زوجته أو يهرب ولدهفيشرب الخمر أو يترك الصَّلاة في جماعة مراعاةلزوجته أو صاحب العمل أو نحو ذلك، فهذه معصية.

(١) ينظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للشيخ محمد بن حسن آل الشيخ (٢/ ٤٦٣).

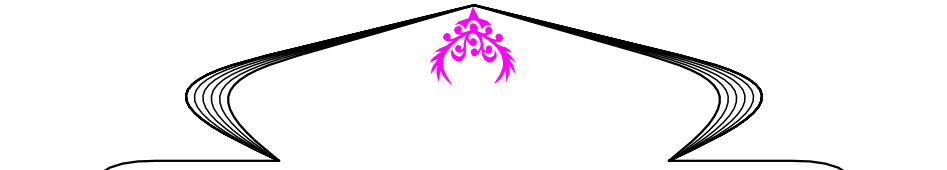

[الصراع بين الرُّسُل وأعدائهم]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واعلم أنَّه سبحانه من حكمته لم يبعث نبيًّا بهذا التَّوحيد إلَّا جعل له أعداء، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وقد يكون لأعداء التَّوحيد عُلوم كثيرة، وكتب وحجج، كما قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣].

إذا عرفتَ ذلك وعرفتَ أنَّ الطَّريق إلى اللَّه تعالى لا بُدَّ له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج، فالواجب عليك أن تتعلَّم من دين اللَّهِ ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشَّياطين الَّذين قال إمامهم ومقدمهم لربِّك ﷻ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦-١٧] ولكن إذا أقبلت على اللَّهِ وأصغيت إلى حججه وبيّناته، فلا تخف ولا تحزن: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء: ٧٦].

والعاميُّ من الموحِّدين، يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧٣] فجند اللَّه هم الغالبون بالحُجَّة واللِّسان، كما أنَّهم الغالبون بالسَّيف والسِّنان، وإنَّما الخوف على الموحِّد الَّذي يسلك الطَّريق وليس معه سلاح، وقد مَنَّ اللَّه تعالى علينا بكتابه الَّذي جعله اللَّهُ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى

وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] **فلا يأتي صاحب باطل بحُجَّة إلَّا وفي القرآن ما ينقضها، ويبيِّن بطلانها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾** [الفرقان: ٣٣] **قال بعض المفسِّرين: هذه الآية عامة في كلِّ حُجّة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة»**[(١)].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أنَّ اللَّه جَلَّ وعلا لم يبعث نبيًّا بهذا التَّوحيد إلَّا جعل له أعداء، مُنذ نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمَّد ﷺ، ابتلاءً وامتحانًا، يبتلي الأخيار بالأشرار، يبتلي الرُّسل بالأعداء، ويبتلي الدُّعاة إلى اللَّهِ بأعدائهم، فلا بُدَّ من التأهب وأخذ العدة والسِّلاح لمجاهدة هؤلاء، كما قال اللَّهُ جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] وقال جلَّ وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣١].

فالرُّسلُ لهم أعداء، ولهؤلاء الأعداء شُبَهٌ وحُجج يُوردونها على الرُّسلِ وأتباعهم الدُّعاة والعلماء، ولهم كتب يرجعون إليها، ويشبهون بها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ [غافر: ٨٣] يعني: العلم الباطل، فهي عُلوم لا

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١/ ٥٩) و(٢٨/ ٣٨٢).

تنفع، ولكن يحصل بها التَّشبيه على الرُّسلِ، ودعاة الهُدى، ولكن متى كان صاحب الحقِّ على بيِّنة وبصيرة لم يبالِ بشُبههم؛ بل يهزمها ويبيِّن بطلانها؛ لأنَّه على بصيرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يُوسُف: ١٠٨] كما هدمها الرُّسل وبيَّنوا بطلانها.

هكذا أتباع الرُّسل يبيِّنون بطلان حجج أهل الباطل وشبهاتهم ويكشفون زيفها ويوضِّحون الحقَّ للنَّاس بما أعطاهم اللَّهُ من البصيرة والأدلَّة الشَّرعيَّة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصَّافات: ١٧١-١٧٣] وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحَجّ: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد: ٧].

فصاحب البصيرة المتعلِّم الَّذي عرف التَّوحيد، وعرف الشِّرك على بصيرة لا تَغُرُّهُ شُبهُ أولئك المجرمين ولا تلتبس عليه، بل يهدمها ويوضِّح بطلانها ويكشفها للنَّاس، كما سمعت في قوله جلَّ وعلا: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفُرقان: ٣٣] فلا يأتي صاحب باطل بحُجَّةٍ إلَّا وفي القرآن ما ينقضها ويبيِّن بطلانها.

وهم يُشبِّهون على النَّاس بمثل قوله جَلَّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] وأيُّ حُجَّة في هذا؟! نعم: ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] فهل قال لك أحد: ادعهم من دون اللَّهِ؟!

بيَّن لك أن تكون منهم، تعلَّم واستقم على طاعة اللَّهِ حتَّى

تكون منهم، مع كونهم أولياء اللَّه لا يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم، كما أنَّ الرُّسلَ وهم أفضل المؤمنين، هم أولياء اللَّه، ومع هذا لا تجوز عبادتهم من دون اللَّه، هكذا بقيَّة المؤمنين هم أولياء اللَّه وعباد اللَّه الصَّالحون، ولكن ليس لك أن تعبدهم، كما أنَّه ليس لك أن تعبد الرُّسل، بل اعبد اللَّه وحده، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البَيِّنَة: ٥].

فالأمر واضح إذا أخلص العبد لِلَّهِ وصدق في طلب العلم وتفقه في الدِّين وتعلَّم الأدلَّة الشَّرعيَّة، وأخذ ذلك من علماء أهل السُّنَّة المعروف بالثَّبات والعلم والبصيره، وَعُني بالقرآن الكريم والسُّنَّة المطهرة، فإنَّ اللَّهَ يُعينه على كشف حجج أهل الباطل وإزالة شُبُههم وإظهار الحقّ، وإنَّما يخشى عليه إذا سلك الطَّريق وليس معه سلاح، فيخشى على طالب العلم إذا كان مجرَّدًا من سلاح العلم، دعوى علم لكن بدون بصيرة، ليس علمًا حقيقيًا عنده بعض العلوم لكنه ما اعتنى بالمقام هذا غالب الخلق.

والسِّلاح هو العلم قال اللَّهُ قال رسوله، وما عليه أهل الحقِّ، وما عليه أهل الباطل، يُميِّز بين التَّوحيد والشِّرك، بين الإسلام وضده، بما أعطاه اللَّه من العلم، فإذا كان عنده علم وبصيرة، وأخلص لِلَّه وصدق مع اللَّه، فاللَّهُ يُعينه عليهم ويُخَلِّصه من شرهم، ولا يخشى عليه إلَّا من قلَّة العلم، أو فساد النِّيَّة وعدم الإخلاص، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّه، وفَّق اللَّهُ الجميع.

■ **مسألة: في تكفير العامي:**

كل من له قدرة على إقامة الدَّليل، إقامة الحُجَّة عالمًا كان أو عاميًّا، يكون كل على حسب الحال،فمن قام بالكفر لا يكفر إلَّا بالدَّليل، والعاميُّ لا علم له، إلَّا في مثل من جحد تحريم الزِّنا يكفر عند العامة والخاصة، ولا يحتاج أدلَّة، أو قال: إنَّ الشِّرك جائز، يجوز للنَّاس أن يعبدوا غير اللَّهِ الأصنام والنجوم، لا يشك أحد في هذا، ولا يحتاج أدلَّة، وإذا قال الصَّلاة غير واجبة من شاء صلَّى ومن شاء ترك، من قال هذا كفر، التوقف في أشياء تخفى على العامة.

والعاميُّ إذا ثبت عنده ما يوجب الكفر يكفر، كثبوت كفر أبي جهل وأبي طالب، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، فقد قام الدَّليل على أنَّهم ماتوا على الكفر، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ يوم بدر كفارًا.

■ **مسألة: في منع شغل العامَّة بالعقيدة:**

العقيدة هي أهم الأمور، النَّبِيُّ ﷺ جلس في تقرير العقيدة ثلاثة عشر سنة وهو في مكة، كلّها في العقيدة، فالعقيدة هي أصل الدِّين، ومن يقول: لا تشغلوا العامة بتقرير أمور العقيدة، هذا لا يعد من أهل العلم، بل يعد من أهل الجهل.

[أجوبة أهل التَّوحيد على شبهات المشركين إجمالًا وتفصلًا

أولًا: ذكر الجواب المجمل]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأنا أذكر لك أشياء مِمَّا ذكر اللَّه في كتابه جوابًا لكلام احتجَّ به المشركون في زماننا علينا فنقول:

جواب أهل الباطل من طريقين: مُجملٌ ومفصَّلٌ.

أمَّا المُجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عَقِلَهَا، وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾ [آل عِمرَان: ٧] وقد صَحَّ عن رسول اللَّه ﷺ أنَّه قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّه فَاحْذَرُوهُمْ»(١).

مثال ذلك: إذا قال لك بعض المشركين: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] أو استدلَّ بالشَّفاعة أنَّها حقٌّ، وأنَّ الأنبياء لهم جاه عند اللَّهِ، أو ذكر كلامًا للنَّبِيِّ ﷺ يستدلُّ به على شيء من باطله، وأنت لا تفهم معنى الكلام الَّذي ذكره

(١) أخرجه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، البخاري، برقم (٤٥٤٧) ومسلم، برقم (٢٦٦٥).

فجاوبه بقولك: إنَّ اللَّهَ ذكر أنَّ الَّذينَ في قلوبهم زيغ يتركون المُحكم، ويتبعون المتشابه، وما ذكرته لك من أنَّ اللَّهَ ذكر أنَّ المشركين يُقِرُّون بالرُّبوبيَّة وأنَّ كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] هذا أمر محكم بين لا يقدر أحد أن يغيِّر معناه.

وما ذكرته لي أيُّها المشرك من القرآن أو كلام النَّبِيِّ ﷺ لا أعرف معناه، ولكن أقطع أنَّ كلام اللَّه لا يتناقض، وأنَّ كلام النَّبِيّ ﷺ لا يخالف كلام اللَّهِ ﷻ.

وهذا جواب سديدٌ، ولكن لا يفهمه إلَّا من وَفَّقه اللَّه تعالى فلا تستهن به، فإنَّه كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فُصِّلَت: ٣٥].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلام المؤلف، كلام عظيم وجيِّد وسديد، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ جواب أهل الباطل من طريقين: مُجملٌ ومُفصَّلٌ؛ لأنَّ أهل الباطل من المشركين شَبَّهوا على العامَّة بأشياء كثيرة، واحتجوا على الشَّيخ بها، وكاتبوه في ذلك ليصححوا ما هم عليه من الباطل من دعوة أهل القبور والاستغاثة بالأموات وبالملائكة والجنّ فأجابهم إجمالًا وتفصيلًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالمُجمل جوابًا لكلِّ شُبهة يصلح للعالم المتبصر ولغيره يجيب به، فيقول: لمن ادعى أنَّ التَّعلق بالأولياء أو بالأنبياء ليس من الشِّرك، وأنَّ لهم جاه، وأنَّ اللَّهَ يشفعهم فيمن دعاهم، أو استغاث بهم **تقول له**: أنا قلت لك شيئًا مفصلًا واضحًا أنَّ اللَّهَ حَرَّم الشِّرك ودعاء غيره، وحكم على المشركين بالشِّرك والكُفر باللَّهِ بدعائهم

الأموات والاستغاثة بهم، أو بالرُّسل أو بالجنِّ أو بالنُّجوم أو بغير ذلك، وهذا شيء مُحكم واضح من القرآن والسُّنَّة ومن سيرة النَّبيِّ ﷺ.

وما قلتَهُ لي من أنَّ لهم جاهٌ، عند اللَّهِ أو شفاعة لا أفهم أنَّه يدلُّ على ما ذكرت من الشِّرك، ولا أعرف هذا من هذه النصوص وكلام اللَّه لا يتناقض، وكلام الرَّسول لا يخالف كلام اللَّه، واللَّهُ أخبر عن أهل الباطل أنَّهم يتَّبعون المُتشابه، ويتركون المُحكم فالواجب عليك أن تأخذ بالمُحكم الواضح الَّذي بَيَّن فيه ﷻ تحريم الشِّرك وتحريم دعوة غير اللَّهِ.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] وقال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] كل هذا محكم واضح، وأنَّ اللَّهَ أبطل شبهتهم وردَّ عليهم وبيَّن كفرهم، وأنَّ زعمهم أنَّهم يُقرِّبونهم إلى اللَّهِ زُلفى، وأنَّهم شفعاء باطل، ولا ينفعهم، ولا يجزي عنهم شيئًا.

وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يُونس: ١٨] قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣].

فعليكَ بهذا المُحكم الواضح ودع عنك التَّعلق بأشياء لا تدلُّ

على ما أردتَ من قوله جلَّ وعلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] نعم أولياء اللَّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون مدحهم اللَّه، لأنَّهم آمنوا واتقوا؛ فكلّ من أطاع اللَّه ورسوله واستقام على الحقِّ فهو وليُّ جعلنا اللَّه وإيَّاكم منهم، وكذلك الرُّسل ممدوحون بأنَّهم أطاعوا اللَّه، وبلغوا رسالاته، كان هذا عملهم وهو لهم؛ لكن ليس معناه أنَّهم يُدعون من دون اللَّهِ، ولا يُستغاث به، ولا يُنذر لهم.

وهكذا الأنبياء والصَّالحون كلُّهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكلّهم أولياء عملهم لهم، وصلاحهم لهم، وعباداتهم لهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون من أجل طاعتهم لِلّهِ وقيامهم بحقِّه؛ لكن لا يدعون مع اللَّهِ، كون النَّبيّ ﷺ جاه عند اللَّهِ، كما قال تعالى عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزَاب: ٦٩] وجاه الرَّسول أعظم من كلِّ هذا لا يدلُّ على جواز الشِّرك بدعائه.

وجاه الرَّسُول عظيم، يَشْفع يوم القيامة، كونه له، والأولياء لهم جاه، ولهم منزلة عند اللَّهِ، ولهم شفاعة؛ لكن مَن يقول لَكَ: إنَّهم يُدعون مع اللّهِ؛ لأجل هذا؟! فهذا تعلق باطل، كرامتهم لهم، نعم، يشفعون فيمن رضي اللَّهُ قوله وعمله، والمُشرك لا يرضى اللَّهُ قوله ولا عمله؛ لأنَّ اللَّهَ يقول جلَّ وعلا: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٧] فلا يشفعون له، وأخبر أنَّ الكُفَّار مغضوب عليهم، وأنَّهم ضالون، فلا شفاعة فيهم، كلُّ هذا مُحكم واضح.

إنَّ الكَافر لا شفاعة له، ولا ينفعه اعتقاده أنَّ هؤلاء أولياء ولهم جاه، جاههم لهم وعملهم الصَّالح لهم، ولا ينفعه هذا الَّذي تعلق به.

وهكذا الرُّسل عملهم لهم، وصلاحهم لهم، ولا ينفع المشرك

اعتقاده أنَّهم صالحون أو كونهم أولياء أو رسلًا لشركه الَّذي أبطل عمله بدعائهم من دون اللَّهِ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] فشركه أحبط عمله سواءً أشرك برسولٍ أو بوليٍّ أو بنجم أو بجنٍّ أو بصنم، وهذه التَّعلقات بكونهم أولياء أو رسل باطلة هم أولياء وهم رسل، ولكن لا يجوز التَّعلق بهم، كما أنَّه لا يجوز أن يتعلق بالملائكة ولا بالجنِّ ولا بالأصنام ولا بالكواكب ولا بغير ذلك، وكل هذا واضح لأهل العلم والإيمان والبصيرة، ولكن بعض النَّاس قد يخفى عليه هذا لقلة علمه، وعدم بصيرته، قد يلتبس عليه بعض الأمر.

لكن ينبغي لكَ أن تعلم أنَّ هذا جواب جيِّد، وهو أن تقول له: أنا أعطيك شيئًا مُحكمًا، وأَستدلُّ عليكَ به، أمَّا الَّذي يشتبه عليكَ، فاللَّهُ أخبرنا أنَّ الَّذين في قلوبهم زيغ يَتَّبعون المُتشابه، دعنا من المتشابه ونجتمع أنا وإيَّاكَ على المُحكم، الَّذي بيَّنه اللَّهُ في قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: ١٨].

وقوله جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] هذا واضح بيِّنٌ في الرَّدِّ عليهم: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزُّمَر: ٢] إلى غير هذا من الأدلَّة.

فائدة:

كل مشرك كافر، وكل كافر مشرك، والمنافق أشدهم كفرًا، نسأل اللَّه العافية، فهو مشرك كافر، والمنافق هو الَّذي يضمر العداء

للإسلام، والكفر به، هذا المنافق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النِّسَاء: ١٤٥].

■ **مسألة: من هم أولياء اللَّه؟**

هم المؤمنون، كل من أطاع اللَّه ورسوله، واستقام على الحقِّ، فهو من أولياء اللَّه، نسأل اللَّه أن يجعلنا وإيَّاكم منهم، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢].

■ **مسألة: في تميِّز حب العبادة عن غيره:**

حُبُّ الزَّوجة أو حبُّ المال أكثر من حبِّ اللَّه، معصية من المعاصي، لكن الحبُّ الَّذي يقتضي عدم وجود المحبة للَّه، فهذا كفر أكبر، نسأل اللَّه العافية، أصل الحبُّ لابُدَّ منه، لكن يكون حبُّ اللَّه وحبّ رسوله ﷺ أكمل مما سواهما هذا الحبُّ هو من كمال الإيمان الواجب، وكمال التَّوحيد أن يكون حبُّ اللَّه ورسوله أكمل.

أمَّا من قدم كلام شيخه من فرط حبِّه له على كلام اللَّه ورسوله يكون معصيةً وتقليدًا أعمى، وإذا استحل ذلك، فقد يكون كفرًا أكبر نعوذ باللَّه من ذلك.

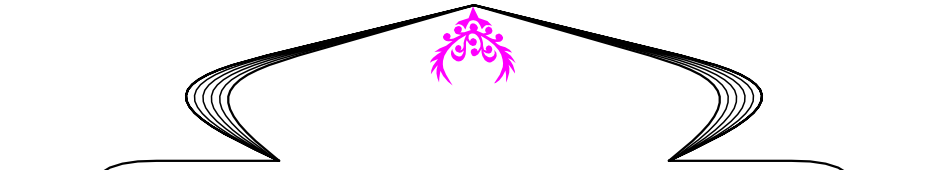

[بيان ذكر الجواب المفصل على أبرز الشُّبه]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وأمَّا الجواب المُفصَّل: فإنَّ أعداءَ اللَّهِ لهم اعتراضات كثيرة على دين الرُّسل يَصدون بها النَّاس عنه.

منها قولهم: نحن لا نشرك باللَّهِ، بل نشهد أنَّه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضر إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عن عبد القادر أو غيره؛ ولكن أنا مُذنبٌ والصَّالحون لهم جاهٌ عند اللَّهِ، وأطلب من اللَّهِ بهم.

فجاوبه بما تقدَّم[1]، وهو أنَّ الَّذين قاتلهم رسول اللَّهِ ﷺ مُقِرُّون بما ذكرتَ لي، ومُقِرُّون بأنَّ أوثانهم لا تدبِّر شيئًا، وإنَّما أرادوا الجاه والشَّفاعة، واقرأ عليه ما ذكر اللّه في كتابه ووضّحه.

فإن قال: هذه الآيات نزلت فيمن يَعبدُ الأصنام، كيف تجعلون الصَّالحين مثل الأصنام، أم كيف تجعلون الأنبياء أصنامًا.

فجاوبه بما تقدَّم[2] فإنَّه إذا أقرَّ أنَّ الكُفَّار يشهدون بالرُّبوبيَّة كلّها لِلَّهِ، وأنَّهم ما أرادوا مِمَّا قصدوا إلَّا الشَّفاعة، ولكن أراد أن يفرِّق بين فعلهم وفعله بما ذكر، فاذكر له أنَّ الكُفَّار منهم من يدعو

(١) في صفحة (١٧٦).
(٢) في صفحة (١٨١).

الصَّالحين والأصنام، ومنهم من يدعو الأولياء الَّذين قال اللَّه فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] ويدعون عيسى بن مريم وأمه، وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [المَائدة: ٧٥-٧٦].

واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٤٠ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ [سَبَأ: ٤٠-٤١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المَائدة: ١١٦].

فقل له: أعرفتَ أنَّ اللَّهَ كَفَّر مَن قصد الأصنام، وَكَفَّر ـ أيضًا ـ مَن قصد الصَّالحين، وقاتلهم رسول اللَّهِ ﷺ.

فإن قال: الكُفَّار يُريدون منهم النَّفع، وأنا أشهد أنَّ اللَّهَ هو النَّافع الضار المُدبِّر، لا أريد إلَّا منه، والصَّالحون ليس لهم من الأمر شيء؛ ولكن أقصدهم أرجو من اللَّهِ شفاعتهم.

فالجواب: أن هذا قول الكُفَّار سواءً بسواء، فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨]».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بدأ بالجواب المُجمل كما تقدَّم، ثُمَّ بالمُفصَّل، فإنَّه يجيب أهل الشُّبَهِ بالجواب المُجمل، والمُفصَّل؛ لأنَّهم أقسام:

منهم الفاهم ويحتاج إلى التَّفصيل، ومنهم الجاهل يكفيه الرَّدُّ المُجمل.

والمقصود: أنَّ أعداءَ اللَّه من المشركين لهم شُبَهٌ، يشبِّهون بها على النَّاس دين الرُّسل، وَيُلبِّسون بها، فلهذا ذكر الجواب المُفصَّل الَّذي يردُّ به على المشركين.

فإذا قالوا: لا تجعلونا مثل الكُفَّار الأوَّلين، يَعبدون الأصنام هُبل وغيره، ونحن ما نَعبد الأصنام؛ بل نتوسل بالصَّالحين، والأنبياء والأخيار، فتقول له: أنت فعلت مثل ما فعلوا هم، هم ما يَعبدون الأصنام وحدها، بل عبدوا الأصنام، وعبدوا الأنبياء والصَّالحين، مثل ما ذكر اللَّه عنهم، وعبدوا اللَّات وهو رجل صالح، وعبدوا عيسى وهو نَبِيٌّ، وعبدوا أمه وهي امرأة صالحة، وعبدوا الأولياء وغيرهم من سائر الصَّالحين فهم مثلكم.

فإذا قال: أنا لا أُشرك باللَّهِ شيئًا، وأنا أعرف أنَّ اللَّهَ هو الخالق، الرَّازق، المُدبِّر، المُحيي، المُميت، ولكني أطلب منهم الشَّفاعة وأتوسل بهم إلى اللَّهِ جلَّ وعلا ليقربوني إلى اللَّهِ زُلفى.

تقول له: هذا هو دينُ المُشركين، وإذا أردت الصَّواب: فاعْبد اللَّه وحده، ادْعه وحده، ولا تدع الأصنام، ولا الأنبياء، ولا الصَّالحين، الدَّربُ واحد سواءً دعوتَ نبيًّا أو صالحًا أو صنمًا أو شجرًا، فكلّه شرك باللَّهِ لا يجوز، وإذا كانوا صالحين وأنبياء، فصلاحهم وأعمالهم لهم وليس لك، والتَّوسل يكون بالأعمال

الصَّالحة، تَقتدِي بهم، تصلِّي كما صلوا، تصوم كما صاموا، تخلص لِلَّهِ العبادة كما أخلصوا، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما فعلوا، هذا هو التَّأسي بهم تعمل مثل أعمالهم الصَّالحة الطَّيِّبة.

أمَّا أن تدعوهم مع اللَّه، تقول: يا رسول اللَّه انصرني، أو اشف مريضي، أو يا سيِّدي عبد القادر أو يا أحمد البدوي، أو يا الحسين أو يا الحسن أو يا عليّ، تدعوهم وتقول: أنا لا أعبدهم، ولكن أدعوهم لأنَّهم صالحون، أو أنبياء، فهذه نفس عبادة أبي جهل، وعتبة بن ربيعة وأشباههم من كُفَّار قريش، وهذا دينهم، ذكر اللَّهُ أنَّهم قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: ٣] لا نعبدهم لأنَّهم يخلقوا ويرزقوا؛ بل ليقربونا إلى اللَّه زلفى.

وقال تعالى في حقِّهم: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨].

فاللَّه قال عنهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدَّثِّر: ٤٨] لأنَّهم طلبوها من غير وجهها، من يريد الشَّفاعة يطلبها من اللَّه، يقول: اللَّهُمَّ شفع فيَّ أنبياءك، اللَّهُمَّ شفع فيَّ عبادك الصَّالحين، ويسلك طريقهم، يعبد اللَّه كما عبدوه، ويدعوه كما دعوه، يستغيث به كما استغاثوا به، وهكذا يسير على نهجهم في العبادة لِلَّهِ وحده، وفي طاعة أوامره وترك نواهيه.

أمَّا أن يدعوهم مع اللَّهِ، يستغيث بهم، ينذر لهم ويذبح لهم، يطوف بقبورهم، هذا نفس فعل المشركين الأولين، فدين المشرك: هو التَّقرب إلى اللَّهِ بعبادة الصَّالحين يجعلهم وسائط يدعوهم مع اللَّه ويستغيث بهم، ويقول: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس: ١٨] نفس ما قاله الأوَّلون سواء بسواء.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١] قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] هم غافلون عن الدُّعاء: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ جميع النَّاس ﴿كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

وقال عن عُبَّاد المسيح وأمه وغيرهم من الصَّالحين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني: أولئك الَّذين يدعوهم أهل الشِّرك ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ هم يبتغون إلى ربِّهم الوسيلة، وهي القربى إليه بطاعته: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧] هذا شأنهم، يعبدون اللَّه، ويتقربون إليه، ويخافونه ويرجونه، وهم أنبياء وصالحون، فإذا كنت صادقًا تريد أن تتبعهم فاعمل كأعمالهم، لا تعبدهم؛ فهم عبيدٌ مثلك مخلوقون مرزوقون لا يملكون لك ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا.

فإذا كانوا هكذا وأنت تُقرُّ بهذا فادع اللَّه الَّذي دعوه، واعبد اللَّه الَّذي عَبدوه، وانذر له، واذبح له، وصلِّ له وصُم له، وغير ذلك من العبادات الَّتي فعلوها، حتَّى تكون مثلهم، وحتَّى يحصل لك الأجر، والثَّواب والنَّجاة مثلما حصل لهم.

فهذه حال المشركين في زمان المؤلف وقبله، في زمن قريش، وقبل ذلك في زمن الأوائل زمن قوم نوح وهود وصالح هذا شركهم وهكذا في زمان الآن.

ومن يقول: إنَّ آلهته تخلق وترزق، هذا من الشِّرك النَّادر شرك الرُّبوبيَّة، أغلب المشركين شركهم في الألوهية في التَّعبد، وطلب

النَّجاة والتَّوسل بهم بطلب شفاعتهم، طلب تقريبهم إلى اللّهِ، طلب أن يشفوا مريضهم، لا أنَّهم يشفون بأنفسهم لكن يشفون مريضهم بأنَّهم يشفعون إلى اللّهِ، ويسألونهم وهم رفاة في القبور، وهذا من الجهل العظيم، ميِّت قد انتقلت روحه من جسده لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، هو الَّذي يشفع لك، هو الَّذي يُخلِّصك من العذاب، ومن المرض بشفاعته؟! هذا هو الجهل الكبير، نسأل اللَّه العافية.

■ **مسألة: في التفريق بين طلب قضاء الحاجات والشَّفاعة:**

من يفهمون أنَّ الشِّرك هو طلب قضاء الحاجات من الأموات، أمَّا طلب الشَّفاعة منهم بالدُّعاء ليس هو من الشِّرك، ولكنه بدعة؟ الجواب: لا، بل من الشِّرك الأكبر؛ لأنَّهم لا يستطيعون أن يدعو له، ولا يشفعوا له، هم مرتهنون بأعمالهم، الدُّعاء، والشَّفاعة في حياتهم؛ ولهذا لما استسقى عمر والصَّحابة ما استسقوا بالنَّبِيِّ ليشفع لهم، استسقوا بالعباس، وبالدُّعاء، ولو كان ذلك شرعي لاستسقوا بالنَّبِيِّ ﷺ ولقالوا: أدعو لنا يا رسول اللَّه، وهو في قبره، أمَّا دعاء اللَّه عند القبر فبدعة.

كذلك الطلب من القبر، طلب لما لا يملك، ولا يقدر عليه، ومن فعل ذلك فقد أشرك باللَّه على الصَّحيح كما صرح به شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)]، والطواف بالقبر بنية صاحب القبر كفر أكبر وشرك أكبر، أما الطواف يقصد التقريب إلى اللَّه ظنًا منه مشروعية ذلك كالطواف بالكعبة فبدعة.

---

(١) ينظر: «فتاوى نور على الدرب» لسماحته جمع د. عبداللَّه بن محمد الطيار، والشيخ محمد بن موسى الموسى (١/ ٢٨٩ س١٢٨ و٤٠١ س١٥٤)، «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (١/ ٤٩ س٢).

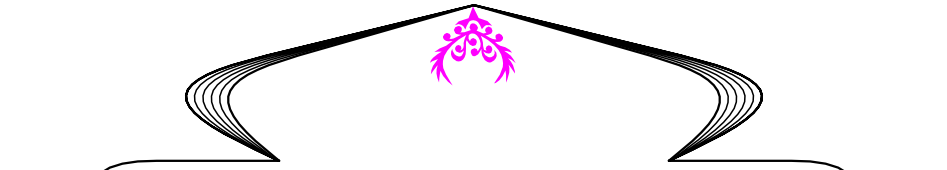

[بيان ذكر الجواب المفصَّل لأبرز ثلاث شُب يودونها على دعاة التوحيد]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«واعلم أنَّ هذه الشُّبَهة الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفتَ أنَّ اللَّهَ وضَّحها في كتابه وفهمتها فهمًا جيِّدًا، فما بعدها أيسر منها.

فإن قال: أنا لا أعبد إلَّا اللَّهُ، وهذا الالتجاء إلى الصَّالحين ودعاؤهم ليس بعبادة، فقل له: أنت تقِرُّ أنَّ اللَّهَ فرض عليك إخلاص العبادة، وهو حقُّه عليكَ؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بيِّن لي هذا الَّذي فرضه عليكَ، وهو إخلاص العبادة لِلَّهِ وحده، وهو حقُّه عليك، فإن كان لا يعرف العبادة، ولا أنواعها فبيِّنها له، بقولك: قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فإذا أعلمته بهذا، فقل له: هل علمتَ هذا عبادة لِلَّهِ؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم، والدُّعاء مُخّ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنَّه عبادة ودعوت اللَّه ليلًا ونهارًا خوفًا وطمعًا، ثُمَّ دعوت في تلك الحاجة نبيًّا أو غيره، هل أشركت في هذه العبادة مع اللَّه غيره؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

فقل له: فإذا علمت بقول اللَّه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ٢] وأطعت اللَّه ونحرت له، هل هذا عبادة؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوقٍ نَبِيٍّ أو جِنِّيٍّ أو غيرهما هل

أشركت في هذه العبادة غير اللَّهِ؟ فلا بُدَّ أن يُقِرَّ ويقول: نعم.

وقل له أيضًا: المشركون الَّذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصَّالحين واللَّات وغير ذلك؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إِيَّاهم إلَّا في الدُّعاء والذَّبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلَّا فهم مُقِرُّون أنَّهم عبيد اللَّهِ تحت قهره، وأنَّ اللَّهَ هو الَّذي يدبِّر الأمر، ولكنهم دعوهم والتجؤوا إليهم للجاهِ والشَّفاعة، وهذا ظاهر جدًّا».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا عرفتَ أنَّ هذه الشُّبَهَ الثلاث قد بان بطلانها، وهي أكبر ما عندهم، عرفتَ أنَّ ما بعدها أهون منها.

تقدَّمت الشُّبهات الثلاث: قول: المشركون لايشركون مع اللَّه في الخلق والرِّزق، وقول القائل: وأنا لا أشرك باللَّهِ شيئًا؛ بل أعتقد أنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق، وتبيَّن له أنَّ المشركين ما أشركوا في الخلق، بل يعرفون أنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرَّزاق.

كذلك إذا قال: الشِّركُ عبادة الأصنام بيَّنت له أنَّ المشركين عَبَدُوا الأصنام وغير الأصنام، **فإذا قال**: أنا لا أعبد الصَّالحين، وإنَّما أتقرب إليهم ليشفعوا لي، **فقل**: هذا هو قصد المُشركين ما عبدوهم لأنَّهم يخلقون ويرزقون، بل عبدوهم ليشفعوا لهم، وليقرِّبُوهم إلى اللَّهِ زلفى، فنفس ما فعلته هو الَّذي فعله المشركون.

وقد تبيَّن بطلان هذه الشُّبَه، تبيَّن أنَّ المشركين مُقِرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرِّزاق، وأنَّه ربّهم وإنَّما كان شركهم في غير ذلك بالتَّقرب إلى غير اللَّهِ بالعبادات، وعرفتَ أيضًا أنَّ شرك المُشركين ليس مخصوصًا بعبادة الأصنام، منهم من عَبَدَ الأصنام، ومنهم من

عَبَدَ الملائكة، ومنهم من عَبَدَ الأنبياء والصَّالحين، وكذلك عرفتَ أنَّهم إنَّما عبدوهم ليقربوهم إلى اللَّهِ زلفى وليشفعوا لهم، فهذا نفس قصد الآخرين كما هو قصد الأوَّلين.

فإذا عرفتَ بطلان هذه الشُّبَه الثَّلاث، عرفتَ أنَّ ما بعدها أسهل منها، ومعلوم أنَّ الأوَّلين يؤمنون بأنَّ اللَّهَ هو الخلَّاق الرَّزاق ومدبر الأمور، ومع هذا حكم اللَّه عليهم بالكفر، وقاتلهم النَّبِيّ ﷺ، واستحل دماءهم وأموالهم، وهكذا من بعدهم.

فإذا قال: أنا لا أَعبدُ إلَّا اللَّهُ، **فقل له**: ما معنى عبادة اللَّه فَسِّرها؟ **فإذا قال**: أنا أُقرُّ بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق، **قلت**: مضى أنَّ هذا قد أقرَّ به المشركون، يقِرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق، وأنّه ربّهم ومدبِّر أمورهم.

فإن قال: أنا لا أعبد إِلَّا اللَّهُ، ولكني أعتقد في الصَّالحين أنَّهم يشفعون ويقربون، **قل**: هذا هو شرك الأوَّلين، فسِّر لنا عبادة اللَّهِ، **فإذا قال**: عبادة اللَّه أن أدعوه وأطلب منه، الهداية والرِّزق.

فقل: هذه العبادة الَّتي أنت تؤمن وتقرُّ بأنَّها عبادة لِلَّهِ، فإذا دعوته تطلب منه الرِّزق والشَّفاء، والمدد، هذه عبادة، فإذا صرفتها لغير اللَّهِ، فطلبتها من الوليِّ من الصَّنم من الجِنِّ من الملائكة ألا تكون أشركتَ باللَّهِ في هذه العبادة؟! فلا بُدَّ أن يُقرَّ.

وهكذا الصَّلاة والذَّبح إذا صلَّى العبد لِلَّه وذبح لِلَّه هل هذه عبادة؟ لا بُدَّ أن يقول: نعم، فإذا ذبح لغير اللَّهِ، ذبح الإبل أو البقر أو الغنم للأصنام، أو صلَّى لها أو سجد لها ألا يكون عبادة لها؟ فلا بُدَّ أن يقول: نعم.

وبهذا يتبيَّن بطلان شُبَهِ المُشركين، وأنَّ من فصَّلها وانتبه لها

وجادلهم بالحكمة والأسلوب الحسن يتضح الأمر لمن أراد اللَّهُ هدايته، وأمَّا مَن أراد اللَّهُ شقاوته فلا حيلة فيه، كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يُونس: ١٠١] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يُونس: ٩٦-٩٧].

من استحكمت في حقِّه الشَّقاوة لا ينتفع بشيء، بل يجحد ويأبى: ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ فأبو جهل، وعتبة بن ربيعة وأشباههم جاءتهم الآيات، وفصَّلها لهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن كفروا عن جحد، وعناد، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] هكذا هم يجحدون، وقال في قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النَّمل: ١٤].

المقصود: أنَّ كثيرًا من أعداء اللَّهِ يأبى الحقّ جحدًا وعنادًا، لا عن شكٍ في ما جاء به الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن يحملهم الجحود، أو حبَّ المال، مثلما فعل بلعام الَّذي انسلخ من دينه، وهو يعلم أنَّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بالحقِّ، ومع هذا يدَعُ الحقَّ؛ طاعة لقومه، وإيثارًا للدُّنيا على الآخرة، حتَّى أهلكه اللَّه وانسلخ من العلم والإيمان، نسأل اللَّه العافية.

فالمقصود: أنَّ المُشركين أقسام:

منهم الجهلة: الَّذين غلب الجهل عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ﴾ [الفُرقان: ٤٤] هذه حال الأكثرية.

ومنهم يكفر جحدًا وعنادًا وتكبرًا، وإلَّا فهو يعلم أنَّ الحقَّ مع

الأنبياء، ومع المؤمنين، لكن يقول: لا أكون تبعًا لهؤلاء، ولا يرضى أن يكون تبعًا للمسلمين تكبرًا وعنادًا وبغيًا أو من أجل مال يُعْطاه، أو وظيفة ينالها، لو أسلم لنزعت منه، فيترك الإسلام من أجل الوظيفة أو المال الَّذي يتقاضاه، أو من أجل محبة الأقارب، وأن يكون معهم على كفرهم، وما أشبهه، كما جرى لكثير من كُفَّار قريش وغيرهم، حملهم البغي والحسد، والجحود والتكبر على إنكار الحقّ، وعدم الرِّضا به، كأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، ومثل أبي طالب عَمُّ النَّبِيّ ﷺ وغيرهم، نسأل اللَّهُ العافية.

■ مسألة: حصر العبادة في الصَّلاة:

بعض القبوريين يحصرون العبادة في الصَّلاة، فلا يصلون لغير اللَّه، ولو فعلوا غير ذلك من الذَّبح والدُّعاء والاستغاثة ونحوها، هذا من الجهل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البَيِّنَة: ٥] وقال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يُوسُف: ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [العَنكبوت: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البَقَرَة: ٢١] ولم يخص الصَّلاة، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذَّاريَات: ٥٦] وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ﴾ [الأعرَاف: ٥٥] إلى غير ذلك من الآيات.

■ مسألة: حصر الكفر على التكذيب:

من يحصر الكفر على التكذيب هذا جاهل، جهل مركب، نسأل الله العافية، فالَّذين يرون أنَّ الكفر هو التكذيب، معناه أن الَّذي يصلي لغير اللَّه، ويسجد لغير اللَّه ولا يكذِّب، أو يسبَّ اللَّه ولا يكذِّب لا يصير كافرًا حتَّى يكذِّب، نسأل اللَّه العافية.

■ مسألة: سجود معاذ للنَّبِيِّ ﷺ:[١]

هذا في صحته نظر؛ لكن لو صح، فإنَّ معاذًا ظنَّ أنَّ هذا جائز عندما رأى كبار قادة المشركين يفعل لهم ذلك، فظنَّ أنَّه للنَّبِيِّ أفضل، فله شبهة فِي أوَّل الإسلام؛ لكن لما أستقر الدِّين عرف المسلمون أنَّ السجود للَّه وحده، ولا يجوز السجود لغيره، وكان هذا قد أشكل على معاذٍ، أمَّا بعد فلا.

■ مسألة: الإلحاد أعظم من الشِّرك:

الَّذين لا يؤمنون بشيء، لا بربّ ولا بخالق، ولا ببعث ونشور، مثل الشُّيوعين هم المشركين وأعظم من الشِّرك لأنَّه كفر إلحاد فكفرهم أعظم من كفر مشركي قريش، فهم ملحدون لا يؤمنون بربّ ولا خالق ولا رازق فكفرهم أكبر.

(١) أخرجه عن عبد اللَّه بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن ماجه، برقم (١٨٥٣).

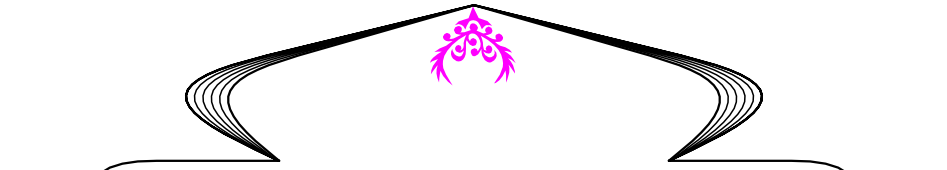

[لا يجوز طلب الشَّفاعة إلَّا من مالكها ﷻ]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: أتنكر شفاعة رسول اللَّه ﷺ، وتبرأُ منها؟ فقل: لا أُنكرها، ولا أَتبرأُ منها، بل هو ﷺ الشَّافع والمُشفَّع، وأرجو شفاعته، لكن الشَّفاعة كُلُّها لِلَّهِ، كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] ولا تكون إلَّا من بعد إذن اللَّهِ، كما قال ﷻ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ولا يشفع في أحد إلَّا من بعد أن يأذن اللَّه فيه، كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وهو لا يرضى إلَّا التَّوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

فإذا كانت الشَّفاعة كُلّها لِلَّهِ ولا تكون إلَّا بعد إذنه، ولا يشفع النَّبِيُّ ﷺ ولا غيره في أحد حتَّى يأذن اللَّه فيه، ولا يأذن إلَّا لأهل التَّوحيد، تبيَّن لكَ أنَّ الشَّفاعة كُلّها لِلَّهِ، وأطلبها منه، وأقول: اللَّهُمَّ لا تحرمني شفاعته، اللَّهُمَّ شفِّعه فيَّ وأمثال هذا.

فإن قال: النَّبِيُّ ﷺ أُعطي الشَّفاعة، وأنا أطلبه مِمَّا أَعطاهُ اللَّه.

فالجواب: أنَّ اللَّهَ أعطاه الشَّفاعة ونهاك عن هذا، فقال: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] فإذا كنت تدعو اللَّهُ أن يشفِّع نبيَّه فيك، فأطعه في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وأيضًا فإنَّ الشَّفاعة

أعطيها غير النَّبِيِّ ﷺ فصح أنَّ الملائكةَ يشفعون، والأفراط يشفعون، والأولياء يشفعون، أتقول: إنَّ اللَّهَ أعطاهم الشَّفاعة، وأنا أطلبها منهم؟! فإن قلت: هذا رجعت إلى عبادة الصَّالحين الَّتي ذكر اللَّهُ في كتابه، وإن قلت: (لا) بطل قولك: أعطاه اللَّهُ الشَّفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللَّه».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بسط الكلام في مسألة الشَّفاعة، وقد أحسن وأجاد في ذلك، وأوضح ما ينبغي إيضاحه، وما فيه الحُجَّة القاطعة لأهل الشِّرك.

فإذا قال: أنا أطلب من الرَّسول ﷺ الشَّفاعة، أتنكر شفاعة الرَّسول؟ أتبرأُ مِنْها؟ **تقول**: لا أنكرها، ولا أتبرأ منها، بل أثبتها له، اللَّهُ أعطاه شفاعة وأعطى الأنبياء، وكل ذلك حقٌّ، لكن أعطاهم الشَّفاعة ونهاك أن تطلبها منهم، فهي ملك لِلَّهِ جلَّ وعلا؛ قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] فهي ملكه يعطيها من يشاء، نطلبها من مالكها.

ثُمَّ هو سبحانه لا يَشفعُ أحدٌ عنده إلَّا بإذنه، ولا يأذن إلَّا لأهل التَّوحيد، ولا يرضى إلَّا أعمالهم، فطلبها من شخص ـ من النَّبِيِّ أو الملك أو الوليّ أو الفرط ـ طلب مِمَّن لا يملك، المالك للشَّفاعة هو اللَّه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤] ثُمَّ إنَّ طلبهم للشَّفاعة من غير اللَّهِ هو وقوع في الشِّرك؛ لأنَّ طلبهم والاستغاثة بهم والنَّذر لهم من الشِّرك، وهذا يصادم قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجنّ: ١٨] وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البَقَرَة: ٢١] وقوله: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غَافر: ٦٠].

فالواجب: أن يُطلب هو ﷻ، ويُخصَّ بالدُّعاء، وتطلب منه الشَّفاعة؛ لأنَّها ملكه، وهو لا يعطيها إلَّا من رضَيَ قوله وعمله، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٢٦] وقال سبحانه: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٧] فطالما لا يرضى لعباده الكفر، فلا بُدَّ من التَّوحيد الَّذي يرضاه اللَّه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: ٨٥].

هو يرضى التَّوحيد والإسلام واتِّباع الرسول ﷺ فإن أتيت به شُفِّع فيكَ مع النَّاس من أهل التَّوحيد في دخول الجنَّة، وإن دخلتَ النَّار بذنوبك كنت من أهل شفاعته، إذا متَّ على التَّوحيد والإسلام.

فالحاصل: أنَّه **إذا قال**: أتنكر الشَّفاعة؟ **تقول له**: لا أنكرها، بل أؤمن بها وأقرُّ، ولكن لا بدَّ من سؤالها من مالكها، واللَّهُ سبحانه لا يعطيها أحدًا إلَّا بإذنه وبرضا عن عمل المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨] ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النّجْم: ٢٦].

وهو سبحانه لا يرضى بالشِّرك، لا يرضا إلَّا التَّوحيد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمَان: ١٣] وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ﴾ [الزُّمَر: ٧].

والشَّفاعة العُظمى في أهل الموقف لا تحصل إلَّا بعد إذنه

سبحانه، ثُمَّ الشَّفاعة في أهل الجنَّة أن يدخلوها بعد إذنه، ثُمَّ الشَّفاعة في العصاة بعد إذنه، فأنت ادْعُ اللَّه، وأخلص له العبادة، وأبشر بالشَّفاعة.

والرَّسول ﷺ أُعطيها وأعطيها غيره أيضًا، الأولياء والملائكة لهم شفاعة، فلا تقل: إنِّي أطلب من النَّبِيِّ والملائكة والأولياء.

فإن قلتَ: هذا وقعت في الشِّرك، وفي عبادة الصَّالحين، الَّتي أوضحت سابقًا أنَّها شرك، وإن قلت: لا يجوز فهذا هو الصَّواب، وهذا هو الحقُّ مع النَّبِيّ ﷺ ومع غيره.

وطلب الشَّفاعة إنَّما هو من اللَّهِ، وأنت تأخذ بالأسباب، تتقي اللَّه، وتؤمن به، وتوحِّده سبحانه، وتترك الإشراك به، وتجتهد في ترك المعاصي، ومع هذا تقول: اللَّهم شَفِّع فيَّ نبيَّك، اللَّهم شَفِّع فيَّ عبادك الصَّالحين، اللَّهم شفِّع فِيَّ أفراطي، هذا كُلُّه مع الطَّاعة والاستقامة، لا تُدِلَّ بنفسك وعملك، ولا تأمن، ولا تَمُنَّ على اللَّه، ولا تعجب بعملك، احذر من الغلو، واحذر من الرُّكون إلى عملك، والمنُّ بعملك من الإدلاء به، ولكن دائمًا ترى أنَّك مُقصِّر حتَّى يَقبل اللَّهُ منك عملك ويرحمك.

فالمؤمن: يعمل ويكدح ويجتهد، يرجو ربَّه أن يتقبل منه، ويؤمن بما أخبر اللّه به رسولَهُ من نجاة الموحِّدين المؤمنين، وهلاك الكافرين، ومن كون الشَّفاعة عنده لا تكون إلَّا بإذنه، ولا تكون لأحد إلَّا لمن رضي اللَّهُ قوله وعمله، يؤمن بما أخبر اللَّه به رسوله، ويعمل على ضوء ذلك، عمل المُجِدِّ الخائف الوَجِل المُشفق، الَّذي يريد اللَّه والدار الآخرة، ويخشى ذنوبه وسيئاته، فهو على وَجَلٍ، والشَّفقة من اللَّهِ أن يُؤخذوا بسيِّئة اقترفوها، أو عمل واجب فرطوا

فيه، هذه حال أولياء اللَّهِ، حالهم مع الجِدِّ والنَّشاط والعمل، مع الخوف والوَجَل، وفَّق اللَّه الجميع.

■ **مسألة: الشَّفاعة:**

يقول اللَّه ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النِّسَاء: ٨٥] وفي الحديث، يقول ﷺ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**» كما في الصَّحيحين[(١)] وقد شفع النَّبيّ ﷺ في بريرة رضي الله عنها، وهي جارية أعتقتها عائشة رضي الله عنها ولها زوجًا عبدًا مملوكًا اسمه مغيث، وكان يُحِبُّها حبًّا كثيرًا، وكان يبكي على فراقها، فلما رأى النَّبيّ ﷺ حُبَّه لها، ومن تواضعه ﷺ أتاها فقال: «**يَا بَرِيرَة لَوْ أَنَّكِ قَبِلْتِيهِ، وَلَوْ أَنَّكِ صَبَرْتِ مَعَهُ**» قالت يا سول اللَّه، تأمرني أو تشفع؟ ما هي بسهلة إنَّها تفهم، قال ﷺ ما آمرك «**إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ**» قالت: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ»[(٢)].

■ **مسألة:** الرضى عن المشفوع له شرط للشَّفاعة؛ لكن شفاعة النَّبيّ ﷺ لعمه وقبول اللَّه ﷻ لها هذه شفاعة خاصة شفع له، ولكنه لم يقبل منه، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التَّوبَة: ١١٣] وكان ذلك قبل أن يعلم، وكان يقول: «**أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ**»[(٣)] ثُمَّ بعد ذلك نهي، نهي فترك الشَّفاعة، هكذا في البخاري.

---

(١) أخرجاه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، البخاري، برقم (١٤٣٢) ومسلم، برقم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما البخاري، برقم (٥٢٨٣).

(٣) أخرجه عن سعيد بن المسيب عن أبيه البخاري، برقم (٣٨٨٤) ومسلم، برقم (٢٤).

أمَّا أبوه وأمه ﷺ كانا في الجاهلية، وفي الحديث: «**إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ**»[(١)]. واستأذن ربَّه أن يستغفر لأمه فلم يؤذن له؛ لأنَّها ماتت في الجاهلية، على دين قومها، وهو عبادة الأوثان، هذا ظاهر الأحاديث أنَّها من أهل الكفر؛ لأنَّه استأذن أن يستغفر لها فلم يؤذن له، ويحتمل أن تكون من أهل الفترة، لكن جاء في بعض الروايات أنَّها من أهل النَّار،لعله وصلهم شيء من دين إبراهيم عليه السلام قامت عليهم به الحُجَّة، وما ذكرفي السير أنَّه وصل إلى قبر أمه[(٢)] هذا ثابت أنَّه استأذن أن يزور قبرها فأذن له في الزيارة[(٣)].

وهذا يدلُّ على جواز زيارة قبر الكافر من أهل الجاهلية للاعتبار لا للاستغفار، فأذن له أن يزورها، ولم يأذن له أن يستغفر لها، وما يذكر أنَّها أسلمت هذا ليس له أصل، من قال: إنَّ أباه أسلم وأمه أسلمت كلها أخبار باطلة.

تنبيه: للنبي ﷺ ثلاث شفاعات خاصة به:

١- الشَّفاعة العُظمى لأهل الموقف خاصة به، يتأخر عنها جميع الرُّسل نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، فيقدم ويشفع ليفصل بين الخلائق.

٢- الشَّفاعة في أهل الجنَّة ليدخلوها، وهو الَّذي يستفتح لهم باب الجنَّة.

٣- شفاعة خاصة بعمه أبي طالب أن يخفف عنه، نسأل اللَّه العافية، كان في غمرات من النار فشفع له فصار في ضحضاح من

(١) أخرجه أنس مسلم، برقم (٢٠٣).
(٢) ينظر: السيرة النبوية، لابن كثير (١/ ٢٣٧).
(٣) أخرجه عن أبي هريرة مسلم،برقم (٩٧٦).

النار يغلي منه دماغه[١].

■ **مسألة: طلب الشَّفاعة ممن يذهب للجهاد:**

من رأى رجلًا ذاهبًا إلى الجهاد فِي سبيل اللَّه، فقال له: إن استشهدت فاشفع لي عند اللَّه ﷻ، هذا يشفع له بعد الموت بعد البعث والنشور، يطلب منه الآن ويوصيه وهو حي هذا لا شيء فِيه، بمعنى أنَّه إذا بعثه اللَّهُ يوم القيامة يشفع له.

وسئل: عن صحة حديث: الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته[٢] وحديث: شفاعة الحافظ القرآن[٣].

الجواب: اللَّه أعلم يحتاج إلى النظر في أسانيدهما.

(١) ينظر: «فتاوى نور على الدرب» لسماحته، جمع، د. عبد اللَّه بن محمد الطيار، والشيخ محمد موسى الموسى (١/ ١١٧ ص ٥٥).

(٢) أخرجه عن أبي الدرداء ﷺ أبو داود، برقم (٢٥٢٢) وعن المقدام ﷺ الترمذي مطولًا، برقم (١٦٦٣).

(٣) أخرجه عن جابر ﷺ الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٦٠ بر قم ٥٢٥٤).

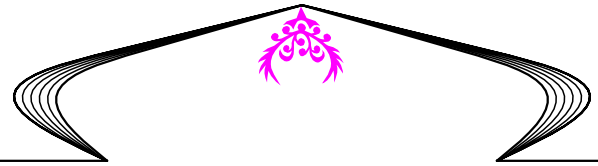

[دعاء الصَّالحين والاستغاثة بهم شرك]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: أنا لا أُشرك باللَّه شيئًا حاشا وكلا، ولكن الالتجاء إلى الصَّالحين ليس بشرك، فقل له: إذا كنت تقِرُّ أنَّ اللَّهَ حرَّم الشِّرك أعظم من الزِّنا، وَتُقِرُّ أنَّ اللَّهَ لا يغفره، فما هذا الأمر الَّذي عظَّمه اللَّه وذكر أنَّه لا يغفره؟

فإنَّه لَا يَدري: فقل له: كيف تُبرئُ نفسك، من الشِّرك، وأنتَ لا تعرفه؟! أم كيف يُحرِّم اللَّهُ عليكَ هذا ويذكر أنَّه لا يغفره، ولا تسأل عنه ولا تعرفه؟ أتظن أنَّ اللَّهَ يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا؟!

فإن قال: الشِّرك عِبادة الأصنام، ونحن لا نَعبدُ الأصنام، فقل: وما معنى عِبادةُ الأصنام؟ أتظن أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذِّبه القرآن كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١] وإن قال: هو من قصد خشبة أو حجرًا أو بنيةً على قبر أو غيره، يدعون ذلك، ويذبحون له، ويقولون: إنَّه يقربنا إلى اللَّهِ زُلفى، ويدفع عنا ببركته، ويعطينا ببركته، فقل: صدقت، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والبنايات الَّتي على القبور وغيرها، فهذا أقرَّ أنَّ فعلهم هذا هو عِبادةُ الأصنام، وهو المطلوب.

ويقال له أيضًا: قولُكَ: الشِّرك عِبادةُ الأصنام هل مرادك أنَّ

الشِّرك مخصوص بهذا، وأن الاعتماد على الصَّالحين ودعاءهم لا يدخل في ذلك؟ فهذا يَردُّه ما ذكر اللَّه في كتابه من كُفرِ من تعلق على الملائكة، أو عيسى، أو الصَّالحين، فلا بُدَّ أن يُقِرَّ لك أنَّ مَن أشرك في عبادة اللَّهِ أحدًا من الصَّالحين فهو الشِّرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب.

وسِرُّ المسألة أنَّه إذا قال: أنا لا أُشرك باللَّهِ، فقل له: وما الشِّرك باللَّه فسِّره لي، فإن قال: هو عِبادةُ الأصنام، فقل: وما معنى عِبادة الأصنام، فسِّرها لي.

فإن قال: أنا لا أعبد إلَّا اللَّهُ وحده، فقل: ما معنى عِبادة اللَّه وحده فسِّرها لي، فإن فسَّرها بما بيَّنه القرآن فهو المطلوب، وإن لم يعرف فكيف يدَّعي شيئًا وهو لا يعرفه؟!

فإن فسَّر ذلك بغير معناه بيَّنتَ له الآيات الواضحات في معنى الشِّرك باللَّهِ وعِبادة الأوثان، وأنَّه الَّذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه، وأنَّ عِبادة اللَّهِ وحده لا شريك له، هي التي ينكرونها علينا، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه الكلمات والمحاجة والمناقشة الَّتي ذكرها الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لِعُبَّاد الملائكة والأنبياء واضحة، إذا قرأها طالب العلم اتَّضح له الأمر، فإنَّكَ تُطالبه بما يُلزمه الحُجَّة.

فإذا قال: أنا لا أُشرك باللَّهِ، **فقل**: ما هو الشِّرك باللَّهِ؟ **فإن قال**: الشِّرك باللَّهِ هو عِبادةُ الأصنام؟ **فقل**: ما معنى عِبادة الأصنام؟ أتظن أنَّهم يعتقدون أنَّ تلك الأخشاب والأحجار والأبْنية هي الَّتي

تخلق وترزق؟! هذا يكذِّبه القرآن، فهم مُقِرُّون بأنَّ اللَّهَ هو الخالق الرَّازق كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يُونس: ٣١].

ثُمَّ تشرح له معنى عِبادة الأصنام، وأنَّها التَّعلق بها، والاستغاثة بها، والنَّذر لها، وهم يفعلون هذا عند قبور الصَّالحين، ويرجون من الملائكة والجِنِّ أن تحقق لهم ما يطلبون، فإن اعترف أنَّ ما هم عليه من التَّعلق بالأولياء والصَّالحين، والجِنّ، والملائكة هو شرك باللَّهِ، وأنَّه يكون ـ أيضًا ـ بالدُّعاء والاستغاثة، والاستجارة، وطلب البركة منهم فهو المطلوب.

وعلى كلِّ حال: أنتَ تتنزَّل معه في كلِّ شيء، كُلَّما ادَّعى دعوى تنزل معه، وتقول: فسِّرها لي، فإن قال: أنا لا أشرك باللَّه، فقل له: ما معنى الشِّرك باللَّه؟ وما عِبادةُ الأصنام؟ وما معنى عِبادةُ اللَّه؟ فإذا فسَّر ذلك بما يخالف الشَّرع، تقول: كيف تدَّعي شيئًا وأنت لا تعرفه؟! وإن فَسَّره بما يوافق الشَّرع، قل: الحمد للَّه، هذا هو المطلوب.

هذا هو الشِّرك الَّذي أنتم عليه، تتعلقون بالأموات والأحجار، وتستغيثون بها، وتنذرون لها، وتذبحون لها هذا هو الَّذي عليه المُشركون من قريش وغيرهم، ولما صاح بهم الحقّ، وأنذرهم الرَّسول ﷺ استنكروا، وعجبوا من ذلك، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥] وقال سبحانه عنهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٧] فهم يجهلون

حقيقة ما هم عليه، ويجهلون الشِّرك، ويجهلون العبادة الَّتي خُلقوا لها، وإذا دعاهم داعي الحقِّ صاحوا به واستنكروا دعوته؛ لجهلهم، وإعراضهم، وتقليدهم لأسلافهم الضَّالين.

لكن من أراد اللَّهُ به الهِداية يُقبلُ الحقَّ، كالصَّديق وعمر بعد مدَّة طويلة، وطلحة بن عبيد اللَّهِ، والزُّبير بن العوَّام، وغيرهم من المهاجرين، وهكذا الأنصار الَّذين قدموا على النَّبِيِّ ﷺ، ووفدوا إليه في مكة، وعلَّمهم، وفهموا الحقَّ، واستجابوا له، ورجعوا دعاةً لقومهم، وقد بايعوا النَّبِيَّ ﷺ على أن يُهاجر إليهم، وأن يبث فيهم الدِّين، وينشر بينهم الدَّعوة.

لَمَّا أراد اللَّهُ لهم الهداية تبصروا وقبلوا الحقَّ، وصاروا دعاة للحقِّ بعدما كانوا دعاة للباطل، هذا هو فضل اللَّه يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يُونس: ٥٨].

فأنت يا عبد اللَّه: تضرع إلى ربِّك، وأسأله دائمًا أن يمنحك التَّوفيق، والبصيرة، وأن يفتح قفل قلبكَ؛ حتَّى ترى الحقائق وتبصر الأمور على ما هي عليه، وعليك أن تجتهد في صحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار؛ فإنَّ صُحبة الأخيار تُعينكَ على الحقِّ وتُبصركَ بعيوبكَ، أمَّا صُحبة الأشرار، فهي تُعمي عن الحقِّ، وتدعو إلى الباطل، والجمود على عادات الأسلاف والأكابر، ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللَّهِ.

■ **مسألة:**

من يتعاطى الأعمال الشِّركيَّة، ويقول: إننا لا نعبد الأولياء والصَّالحين، فقد أشرك، ولو لم يقل إننالا نعبدهم، فهم يقولون:

أنَّهم يقربوننا إلى اللَّهِ زلفى، وقصدنا أننا نعبد اللَّه، ولكن نريد أن يقربونا إلى اللَّه، فهم وسائط، لا أنَّهم يستحقون العبادة فيزعمون هذا.

وإذا كان الشَّخص لا يعرف أنَّ النَّذر والذَّبح لغير اللَّه عبادة، هذا جاهل يُعلَّم، الَّذي لا يَعرفُ، يُعرَّف، مع الحكم عليه بالشِّرك، ويُعلَّم، يقول اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤] أبعد.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وليس وراء هذا تنديد لهم.

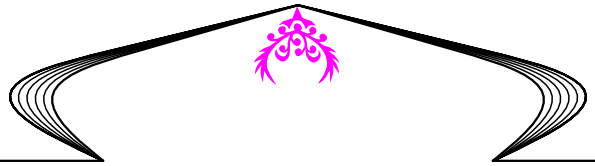

[شرك المتأخِّرين أعظم من شرك الأوَّلين]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: إنَّهم لا يكفرون بدعاء الملائكة والأنبياء، وإنَّما يَكفرون لَمَّا قالوا: الملائكة بنات اللَّهِ، وإنا لم نقلْ عبد القادر ابن اللَّه ولا غيره.

فالجواب: إن نسبة الولد إلى اللَّهِ كُفْرٌ مستقل، قال اللَّه تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢] والأحد: الَّذي لا نظير له، والصَّمد: هو المقصود في الحوائج، فمن جحد هذا فقد كفر، ولو لم يجحد السُّورة، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١] ففرَّق بين النوعين، وجعل كُلًا منهما كفرًا مستقلًا، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ففرَّق بين الكفرين.

والدَّليل على هذا أيضًا: أنَّ الَّذين كفروا بدعائهم اللَّات مع كونه رجلًا صالحًا لم يجعلوه ابن اللَّه، والَّذين كفروا بعبادة الجِنِّ لم يجعلوهم كذلك.

وكذلك أيضًا العلماء في جميع المذاهب الأربعة يذكرون في باب "حكم المرتد" أنَّ المسلمَ إذا زعم أنَّ لِلَّهِ ولدًا فهو مرتد، ويفرِّقون بين النوعين، وهذا في غاية الوضوح.

وإن قال: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ ﴾ [يُونس: ٦٢] فقل: هذا هو الحقُّ؛ ولكن لا يُعْبَدون، ونحن لم نذكر إلَّا عِبادتهم مع اللَّهِ وشركهم معه، وإلَّا فالواجب عليك حبّهم، واتِّباعهم، والإقرار بكرامتهم، ولا يجحد كرامات الأولياء إلَّا أهل البدع والضلال... إلخ.

ودينُ اللَّه وسطٌ بين طرفين، وهُدَىً بين ضلالين، وحقٌّ بين باطلين، فإذا عرفْتَ أنَّ هذا الَّذي يُسميه المُشركون في زماننا الاعتقاد هو الشِّرك الَّذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول اللَّه ﷺ النَّاس عليه، فاعلم أنَّ شرك الأوَّلين أخفُّ من شرك أهل زماننا بأمرين:

أحدهما: أنَّ الأوَّلين لا يشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانًا مع اللَّه إلَّا في الرَّخاء، وأمَّا في الشِّدَّة فيخلصون لِلَّهِ الدِّين، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] وقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠-٤١] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزُّمَر: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمَان: ٣٢].

فمن فهم هذه المسألة الَّتي وضَّحها اللّهُ في كتابه، وهي: أنَّ المشركين الَّذين قاتلهم رسول اللَّهُ ﷺ يدعون اللَّهَ تعالى ويدعون غيره في الرَّخاء، وأمَّا في الضُّر والشِّدَّة فلا يدعون إلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وينسون ساداتهم، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأوَّلين، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهمًا راسخًا؟

واللَّه المستعان.

والأمر الثاني: أنَّ الأوَّلين يدعون مع اللَّهِ أُناسًا مُقرَّبين عند اللَّهِ إمَّا أنبياء، وإمَّا أولياء، وإمَّا ملائكة، ويدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة لِلَّه ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع اللَّه أناسًا من أفسق النَّاس، والَّذين يدعونهم هم الَّذين يحكون لهم الفجور من الزِّنا، والسِّرقة، وترك الصَّلاة، وغير ذلك، والَّذي يعتقد في الصَّالح، أو الَّذي لا يعصي ـ مثل الخشب والحجر ـ أهون مِمَّن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده، ويشهد به».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمن هذا البيان للشيخ محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ يتضح غاية الإيضاح لمن أراد اللَّه هدايته في بيان حقيقة الشِّرك الَّذي عليه الأوَّلون، والَّذي عليه المتأخِّرون، فإنَّ الأوَّلين شركهم واضح في حال الرَّخاء، يعبدون الأنبياء والصَّالحين والملائكة والأشجار والأحجار، فإذا جاءت الشَّدائد أخلصوا لِلَّهِ العبادة، هذا حالهم كما بيَّن اللَّهُ جلَّ وعلا ذلك في محكم تنزيله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العَنكبوت: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمَان: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسرَاء: ٦٧] هذه حالهم في الشَّدائد يخلصون لِلَّهِ العبادة، إذا اضطربت الأمواج، وحلت بهم الكُروب أخلصوا لِلَّهِ، فإذا جاءت السَّعة وجاء الأمن أشركوا باللَّهِ.

أمَّا المتأخِّرون: فشركهم دائمٌ في الرَّخاء والشِّدَّة، بل يشتد

شركهم عند الشَّدائد، يلهجون بـ يا عبد القادر، يا شيخ أحمد البدوي، عكس ما كان عليه المشركون الأوَّلون.

فإن قالوا: نحن لا نعبدهم، ولا نقول: إنَّهم بنات اللَّهِ، فالمشركون الأوَّلون أشركوا لأنَّهم، قالوا: الملائكة بنات اللَّهِ، ونحن لا نقول: إنَّهم بنات اللَّه، فليس شركهم بدعائهم، وإنَّما شركهم لِقولهم: إنَّهم بنات اللَّه، إنَّهم ولد اللَّه.

فقل لهم: لا، هم قالوا هذا، وكَفَرُوا بهذا وهذا، هذا كُفْرٌ مستقل وهذا كُفْرٌ مستقل، مَنْ نسب الولد إلى اللَّهِ فهذا كُفْرٌ مستقل، ودعاؤهم والاستغاثة بهم كُفْرٌ مستقل، والمشركون جمعوا بين هذا وهذا، فإذا دعوتهم مع اللَّه واستغثتَ بهم فقد وقعتَ في الشِّرك، وإن لم تقلْ إنَّ الملائكة بنات اللَّهِ، وإن لم تقلْ: إنَّ العُزير ابن اللَّهِ، أو المسيح ابن اللَّه، فكونك تصرف العبادة بأن تستغيث به، أو تنذر له هذا من الشِّرك.

كما قال اللَّه جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ يعني: جميع النَّاس ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦] سَمَّى دعاءهم عبادة، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] وسَمَّى دعاءهم شركًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فسماهم كَفرة بدعاء الملائكة، ودعاء

الأنبياء، ودعاء الصَّالحين، وإن لم يقولوا: إنَّهم بنات اللَّهِ.

فإثبات الولد لِلَّه كُفر مستقل، ودعاء الملائكة أو الأموات أو الأولياء كُفر مستقل، وسبُّ الدِّين كُفر مستقل، واستحلال ما حرَّم اللَّهُ كالزِّنا ونحوه كُفْرٌ مُستقل، وإسقاط ما أوجب اللَّه كأن يقول: الصَّلاة غير واجبة، أو الحجُّ غير واجب مع الاستطاعة، أو الزَّكاة غير واجبة كُفْرٌ مستقل.

فإن قال لكَ: ﴿إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] والملائكة من أولياء اللَّه، والصَّحابة من أولياء اللَّهِ، واللَّات من أولياء اللَّهِ.

فقل: نعم، ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يُونس: ٦٢] بسبب أعمالهم الصَّالحة، ولكن ليس معناه أن تدعوهم مع اللَّهِ، أو تستغيث بهم، ليس لكَ أن تسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب، أعمالهم وكراماتهم لهم، وليس لكَ أن تدعوهم وتشرك بهم، بل عليك أن تُحبَّهم في اللَّهِ، وأن تتأسى بهم في الخير، ولكن ليس لكَ أن تدعوهم من دون اللَّه.

كما أنَّه ليس لكَ أن تدعو الأنبياء والصَّالحين، فكونهم أولياء اللَّهِ حقٌّ، لكن هذا لا يوجب أن تدعوهم مع اللَّه، كما أنَّ الرُّسل والأنبياء حقٌّ ولكن لا يدعون مع اللَّهِ، ولا يستغاث بهم.

وبهذا يتَّضح بطلان هذه الشُّبه، وأنَّ المشركين في ضلال بعيد، وعمىً عن الحقِّ، كما قال جلَّ وعلا: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البَقَرَة: ١٨] وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفُرقان: ٤٤] وقال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ﴾ [البَقَرَة: ٧] ضلوا عن الهدى،

ولم يفهموا الحقّ مع بيان اللَّهِ له؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥] وأرسل الرُّسل، وأنزل الكتب تُبشر وتُنذر، ولكنهم في صدود وإعراض وبُعْدٍ عن فهم النُّصوص، والإقبال عليها، وأخذ الحقِّ والفائدة منها، بل يغلب عليهم اتِّباع أهوائهم، وتقليد أسلافهم، وتغليظ أسماعهم، نسأل اللَّه العافية.

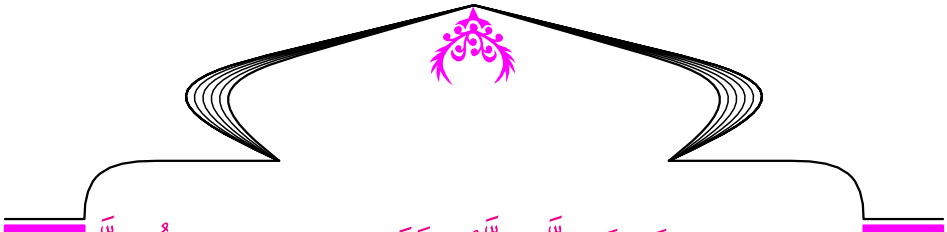

[الإقرار بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» وامتثال بعض الأوامر لا يدفع عن عُبَّاد القبور الشِّرك]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وإذا تحقَّقت أنَّ الَّذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ أصحّ عقولًا، وأخفُّ شركًا من هؤلاء، فاعلم أنَّ لهؤلاء شُبْهَةً يُوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم، فأصغ بسمعك لجوابها.

وهي أنَّهم يقولون: إنَّ الَّذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويكذِّبون الرَّسول ﷺ، ويُنكرون البعث، ويُكذِّبون القرآن، ويجعلونه سِحْرًا، ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَنُصدِّق القرآن، ونؤمن بالبعث، ونصلِّي، ونصوم، فكيف تجعلوننا مثل أولئك؟!

والجواب: أَنَّهُ لا خلاف بين العلماء كلّهم أنَّ الرَّجل إذا صدَّق رسول اللَّهِ ﷺ في شيء، وكذَّبه في شيء أَنَّهُ كافر لم يدخل في الإسلام، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه، كمن أقرَّ بالتَّوحيد، وجحد وجوب الصَّلاة، أو أقرَّ بالتَّوحيد والصَّلاة، وجحد وجوب الزَّكاة، أو أقرَّ بهذا كلّه، وجحد الصَّوم، أو أقرَّ بهذا كلّه وجحد الحجَّ، ولَمَّا لم ينقد أناس في زمن النَّبِيّ ﷺ للحجِّ أنزل اللَّهُ في حقِّهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] ومن أقرَّ بهذا كلّه وجحد البعث كفر بالإجماع، وحلَّ دمه وماله كما قال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٠-١٥١] وإذا كان اللَّهُ قد صَرَّح في كتابه أنَّ مَن آمن ببعض، وكفر ببعض فهو الكافر حقًّا، وأنَّه يستحقُّ ما ذكر، زالت هذه الشُّبْهَةُ، وهذه هي الَّتي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الَّذي أرسل إلينا[(١)].

ويقال أيضًا: إذا كنت تُقِرُّ أنَّ مَنْ صَدَّق الرَّسول في كلِّ شيء وجحد وجوب الصَّلاة أنَّهُ كافر حلال الدَّم بالإجماع، وكذلك إذا أقرَّ بكل شيء إلَّا البعث، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان، لا يجحد إلَّا هذا، وصَدَّق بذلك كلّه، ولا تختلف المذاهب فيه، وقد نطق به القرآن كما قدمنا.

ومعلوم أنَّ التَّوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النَّبِيّ ﷺ، وهو أعظم من الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، فكيف إذا جحد الإنسان شيئًا من هذه الأمور كفر، ولو عمل بكل ما جاء به الرَّسول، وإذا جحد التَّوحيد الَّذي هو دين الرُّسل كلّهم لا يكفر؟! سبحان اللَّه ما أعجب هذا الجهل.

ويقال أيضًا: هؤلاء أصحاب رسول اللَّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة[(٢)] وقد أسلموا مع النَّبِيّ ﷺ وهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون، ويؤذنون.

---

(١) ينظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٤٢٦).

(٢) في معركة اليمامة.

فإن قال: إنَّهم يقولون: إنَّ مُسيلمةَ نبيٌّ، قلنا: هذا هو المطلوب، إذا كان مَنْ رفع رَجُلًا إلى رتبة النَّبِيّ ﷺ كَفَرَ، وحلَّ ماله ودمه، ولم تنفعه الشَّهادتان، ولا الصَّلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف[1] أو صحابيًّا أو نبيًّا إلى مرتبة جَبَّار السَّماوات والأرض؟! سبحان اللَّهِ ما أعظم شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٥٩].

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يذكر شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هؤلاء المشركين عُبَّاد القبور، والأولياء لهم شُبهة يُوردونها على مَنْ كفّرهم، واستحل دماءهم وأموالهم، وأنكر عليهم عبادتهم غير اللَّه، وتوجههم إلى القبور والأولياء ودعائهم إيَّاهم، ويقولون: إنَّكم شبهتمونا بكُفَّار قريش وغيرهم، واستحللتم دماءنا وأموالنا، ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ونُصلِّي، ونَصوم، ونُؤمن بالبعث، كيف تجمعونا بأولئك؟! وشبههم تخفى على كثير من النَّاس.

فيقال لهم: نعم، أنتم تشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لكن قد دلَّ الشَّرع على أنَّ مَنْ جَحَدَ شيئًا ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ كَفَر، ولو فعل كلّ شيء ممَّا جاء به الرَّسول ﷺ، فإذا

(١) أسماءُ أُناس كفرة طواغيت، شمسان الَّذي يظهر من رسائل إمام الدَّعوة رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه لا يبعد عن العارض، وله أَولاد يعتقد فيهم.وأمَّا يوسف فقد كان على قبره وثن يعتقد فيه، ويظهر أَن قبره في الكويت أَو الأحساء كما يفهم من بعض رسائل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ينظر: رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ لعبد الله بن سحيم في تاريخ ابن غنام (ص٢١٠، ٣٣٣، ٣٤٣ مطبعة المدني) و«فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ» (١/ ١١٧ ف٢١٩).

أقرَّ إنسان بالتَّوحيد وجحد وجوب الصَّلاة، ألا يكفر؟ سوف **يقول**: يكفر، وإذا جحد وجوب الزَّكاة، أو جحد وجوب صوم رمضان، أو جحد وجوب الحجِّ مع الاستطاعة، أو لم يؤمن بالبعث والنُّشور يكفر، وإن كان يصلِّي ويصوم، فإذا كان هذا الأمر معلومًا لديكم، وأن من ترك هذه الأشياء جاحدًا لها كفر، فكيف بمن جحد الشَّهادتين ونفى معناهما، وعبد مع اللَّهِ غيره؟!

وإذا كان من جعل مسيلمة نبيًّا كمُحَمَّدٍ يكفر عند الجميع، وقاتلهم الصَّحابة لذلك، فكيف بمن رفع الإنسان في رتبة الرَّبِّ ﷻ؟! فإذا كان من جعله فوق رتبة النَّبِيّ يكفر؛ لأنَّه جعله نبيًّا، ومحمّد خاتم النَّبِيِّين، فكيف بالَّذي يرفع الشخص كشمسان أو يوسف أو ابن علوان[1] أو غيرهم إلى مرتبة اللَّه ﷻ فيدعوه، ويستغيث به، وينذر له، ويذبح، ألا يكون أولى بالكفر ممّن رفع مسيلمة إلى رتبة النَّبِيّ ﷺ؟!

وهكذا من عَبَدَ الملائكة أو الجِنَّ واستغاث بهم فقد جعلهم في منزلة اللَّه، وعَبَدَهم مع اللَّه فيكون كافرًا وإن صلَّى وصام وحَجَّ، وإن أتى بكلِّ الشَّعائر، كما أنَّه لو صلَّى وصام وفعل كل شيء؛ ولكنه أنكر نبوة محمَّد ﷺ، أو أنكر أنَّه خاتم النَّبِيِّين كفر، ولم تنفعه هذه العبادات الَّتي أقرَّ بها، وبهذا يتبيَّن أنَّ من أتى بالأمور المشروعة، وأقرَّ بها، لكنه أتى بناقض بطلت تلك الأمور، إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، كمن جحد وجوب الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو صوم رمضان، أو الحجّ، أو البعث والنشور، يكفر عند الجميع.

---

(١) ابن علوان، له قبر باليمن أقبل عليه العامة في نوائب الزمان، واستغاث به منهم كل لهفان، فهم يلجؤون به في كل وقت وأوان ويسميه غوغاء هم منجي الغارقين، كما حكاه بعض السامعين، وأغلب أهل البر منهم والبحر يطربون عند سماع ذكره، ويستغيثون به. **ينظر**: الصارم المنكي لابن عبد الهادي (١/ ١٩٥).

فإذا جحد التَّوحيد ولم يقر به، وأشرك مع اللَّه في العبادة غيره فهو أولى وأولى بأن يكون كافرًا، ولا تنفعه تلك العبادات الَّتي أقرَّ بها وفعلها.

كما أنَّ الصَّحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يصلون، ويصومون، ويشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لكنهم صَدَّقوا مسيلمة أَنَّهُ نبيّ، فعند هذا كفروا، وهكذا مَنْ صدَّق طليحة الأسدي بأنّه نبي، أو الأسود العنسي في اليمن، أو المختار بن أبي عبيد الثَّقفي لما ادَّعوا النُّبُوة كفروا، وقاتلهم المسلمون(١).

وبهذا يُعلم أنَّه من أتى بناقض من نواقض الإسلام بطلت أعماله كلها، كما قال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [النِّسَاء: ١٥٠] قال اللَّهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥١] لَمَّا فرَّقوا أخبر أنَّهم هم الكافرون حقًّا؛ لأنَّهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، قال: نؤمن مثلًا بمحمَّد ﷺ، ولكن لا نؤمن بالبعث والنشور، أو لا نؤمن بالجنَّة، أو أن هناك نار، أو لا نؤمن بوجوب الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو صوم رمضان، كلّ هذا رِدَّةٌ عن الإسلام وكفر به، ولو فعلوا ما سوى ذلك من أمور الإسلام، الناقض الواحد يكفي لبطلان ما هم عليه.

وهكذا لو أقرُّوا بكلِّ شيء؛ ولكن سَبُّوا اللَّه، أو الرَّسول، أو

(١) ينظر: لقصة طليحة الأسدي: «جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى» لابن حزم، تحقيق: إحسان عباس (١/ ٣٣٩) ولأسود العنسي، المصدر السابق (١/ ١٠، ٣٣، ٣٣٩) ولمختار بن أبي عبيد. **ينظر**: «مختصر سيرة الرَّسُول ﷺ» للشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب (ص٦٦).

طعنوا في الدِّين، أو استهزؤوا به كفروا، ولم تنفعهم تلك العبادات الَّتي يقومون بها لما أتوا بالناقض؛ للآية الكريمة: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ [النِّسَاء: ١٥٠] فهذا الَّذي حصل من الإيمان بالبعض، والكفر بالبعض هو الَّذي كَفَّرهم، وأبطل أعمالهم.

ومن هذا: قول اللَّه جلَّ وعلا: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التَّوبَة: ٦٥-٦٦] فكفَّرهم باستهزائهم، وإن كانوا يصلون ويصومون، وهكذا قوله ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١) تبديل الدِّين بالإتيان بناقض من نواقض الإسلام، ولهذا عقد العلماء في جميع المذاهب "باب حكم المرتد" قالوا: وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، يعني: بناقض من النَّواقض.

■ **مسألة: ما يعذر فيه أهل البادية:**

يعذر الأعرابي من أهل البادية وغير الأعرابي بالشيء الَّذي يمكن جهله به مثل بعض أركان الصَّلاة وواجبات الزَّكاة، وبعض المفطرات في الصِّيام، ومثل أعمال الحجِّ وواجبات العمرة، وما أشبه ذلك ممَّا قد يلتبس عليه حكمه، أمَّا إذا جحد الصَّلاة، لا يصلي أو جحد الصِّيام، لا يصوم، لا يعذر؛ لأنَّ هذا معلوم من الدِّين بالضرورة، وكل مسلم يعرف هذا، وإنَّما قد يخفى عليه بعض الأموركأعمال الحجِّ مثلًا؛ لكن لا يخفى عليه أنَّه مشروع وواجب، فلا يعذر بهذا.

كما لا يُعذر من وصلته كُتُبٌ محرَّفة وبدعية، يعذر بأشياء قد تخفى عليه أحكامها. قد يعذر العاميّ الَّذي لا يفهم، ولا يعرف الغسل من الجنابة مثلًا، وخاصة النِّساء، ولكن يُعَلَّم ولا يكفر.

---

(١) أخرجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا البخاري، برقم (٣٠١٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويقال أيضًا: الَّذين حَرَّقهم عليٌّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] **كلّهم يَدَّعون الإسلام، وهم من أصحاب عليٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، وتعلموا العلم من الصَّحابة، ولكن اعتقدوا في عليٍّ مثل الاعتقاد في يوسف، وشمسان، وأمثالهما، فكيف أجمع الصَّحابة على قتلهم وكفرهم؟ أتظنون أنَّ الصَّحابة، يكفرون المسلمين؟! أم تظنون أنَّ الاعتقاد في تاج[٢] وأمثاله لا يضر، والاعتقاد في عليٍّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يُكفِّر؟!»**

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يبيِّن بهذا المثال جهل الجاهلين في تكفير عُبَّاد القبور والأولياء؛ لأنَّ جماعة في عصره كانوا ينسبون إلى أنَّهم مسلمون وينسبون إلى العلم، وهم مع هذا يعبدون جماعة من الكفرة كتاج، ويوسف، وشمسان، ويغالون فيهم ويدعون فيهم نوعًا من الإلهية، ويقولون: هذا لا يضر؛ لأنَّهم صالحون، والتِّبرك بالصَّالحين ودعاؤهم لا يضر.

فيبيِّن لهم الشيَّخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ هذا الاعتقاد هو الكفر الأكبر، فإذا كان اعتقاد الجاهلية في اللَّات والعُزى ومَناة، والملائكة والأنبياء

---

(١) أخرجه عن عكرمة أن عليًّا... البخاري برقم (٣٠١٧).

(٢) تاج هو أحد الطواغيت من أَهل الخرج تصرف إليه النذور، ويدعى ويعتقد فيه النفع والضر، وكان يأْتي إلى أَهل الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور، وقد كان يخافه كثير من النَّاس الَّذين يعتقدون فيه، وله أَعوان وحاشية لا يتعرض لهم بمكروه، بل يُدعى فيهم الدَّعاوي الكاذبة، وتنسب إليهم الحكايات القبيحة، ومما ينسب إلى تاج أَنَّه أَعمى ويأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده. **ينظر**: رسالة الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب؛ لعبدالله بن سحيم في «تاريخ ابن غنام» (ص ٣٤٣).

يُكفِّرهم، كذلك هؤلاء اعتقادهم في يوسف، وشمسان، وتاج، وفلان، وفلان يُكفِّرهم، ولا فرق في ذلك؛ لأنَّ صرف العبادة لغير اللَّه شرك باللَّه، سواء كان المعبود صنمًا أو وثنًا أو وليًّا أو جنيًّا أو ملكًا، أو غير ذلك، العلة: صرف العبادة لغير اللَّه، فمتى صُرِفَتْ العبادة لغير اللَّه كائنًا مَنْ كان فهو الشِّرك الأكبر، كما قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجنّ: ١٨] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المَائدة: ٧٢] وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

فدلَّ على أنَّ الشِّرك لا يغفر، وأنَّه مُحبط للأعمال، والجنَّة على صاحبه حرام، سواء كان ذلك المعبود مع اللَّه جنيًّا أو وليًّا أو ملكًا أو شمسًا أو قمرًا أو صنمًا أو شجرةً، أو غير ذلك، الحكم عام؛ لأنَّ كلّ ذلك باطل، كما أطلق عليه كتاب اللَّه ﷻ.

يقول اللَّه سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: ٦٢] ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ويقول سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: ١٦٣] ويقول جلَّ وعلا: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمَّد: ١٩] والنَّبيُّ ﷺ قال يوم بُعِثَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاس، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»(١).

(١) أخرجه عن ربيعة بن عباد الديلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان جاهليًّا فأسلم، الإمام أحمد (١/ ٤٩٢ برقم ١٦٠٦٦، و٤/ ٣٤١ برقم ١٩٠٢٦) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ٦١ برقم ٣٨، ٣٩) كما أخرجه عن طارق بن عبد الله المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن خزيمة (١/ ٨٢ برقم ١٥٩).

هكذا أمرهم أن يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فإذا قالوها عن صدق هدمت الشِّرك، وصاروا مسلمين بذلك، أمَّا من قالها وهو يَعبد غير اللَّه فلا تنفعه كالمنافقين، واليهود، وغيرهم ممن يقولها وهو يَعبد غير اللَّه.

هكذا الَّذين غلوا في علي وعَبَدُوهُ من دون اللَّهِ كانوا مشركين، وجدوا في عهد الصَّحابة يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يقولون: إنا مسلمون؛ ولهذا لَمَّا غلوا فيه، وقالوا: إنَّه اللَّه ودعوه من دون اللَّه، وجعلوه إلهًا مع اللَّه كفروا، وقاتلهم عليٌّ نفسُهُ، وأجمع الصَّحابة جميعًا على قتلهم، بل لم يقتلهم بالسِّيف ﷺ، وإنَّما خَدَّ لهم الأخاديد، وهي الحفر في الأرض، ثُمَّ ألقاهم فيها، وأحرقهم بالنَّار؛ من شدَّة غضبه عليهم ﷺ.

قال ابن عباس ﷺ: «**لَوْ أَنَّهُ قَتَلَهُم بِالسَّيْفِ، لَكَانَ أَحَبّ إِلَيَّ؛ لِأَنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّه**»[(١)] لكن هو من شدَّة غضبه عليهم أحرقهم بالنَّار لعظم كفرهم، حتَّى جعلوه اللَّه، قالوا: «أنت هو» يعني: أنت اللَّه، يدعونه، ويغلون فيه، يزعمون أنَّه إِلَهُ، يُعْبَد، كما تفعل الرافضة الآن مع علي، ومع الحسن والحسين يدعونهم، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، وهذا الشِّرك الأكبر، فالرافضة ورثة الغلاة من الإمامية وغيرهم مِمَّن يغلون في عليٍّ وأهل البيت، كما يأتي في بني عبيد بن القداح.

المقصود: أنَّ الغلو في مَلَكٍ، أو نبيٍّ، أو صحابيٍّ، كعليٍّ، أو جنِّيٍّ أو شجرة، أو حجر، أو صنم كلّه شرك باللَّه، إذا دعاه من دون اللَّه استغاث به، نذر له، ذبح له، هذا هو الشِّرك الأكبر.

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا من حديث ابن عباس ﷺ في (ص٢٣٧).

يقول الشَّيخ محمَّد رَحِمَهُ اللَّهُ: أتظنون أنَّ الغلو في تاج وشمسان وأمثالهم لا يضر، والغلو في عليٍّ يضر؟! هذا جهل عظيم، لو كان الغلو ما يضر في تاج ما ضر في عليٍّ من باب أولى؛ عليٌّ أفضل من تاج وشمسان، ومع هذا الغلو فيه جعل أصحابه مشركين كُفَّار يستحقون القتل، كالَّذين يغالون في تاج وشمسان ويوسف، وفي عبد القادر الجيلاني، أو الحسين، أو الحسن، أو جعفر بن محمَّد من باب أولى، أن يكونوا كُفَّارًا يستحقوا القتل.

وهكذا من غلا في النَّبِيِّ ﷺ أو الأنبياء وعبدهم من دون اللَّه وهم أفضل من عليٍّ يَكْفُر، فمن عَبَدَ النَّبِيَّ محمَّد ﷺ، أو إدريس، أو موسى، أو هارون، أو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كفر، كالنَّصارى عبدوا عيسى مع اللَّهِ، وصاروا من أكفر النَّاس، وهكذا اليهود عبدوا عُزيرًا وصاروا من أكفر النَّاس.

فالواجب على طالب العلم أن ينتبه، وأنْ يعلم أنَّ صرف العبادة لغير اللَّه شركٌ وكفرٌ باللَّهِ مطلقًا، سواء كانت العبادة مصروفة لنَبِيٍّ، أو صالح، أو جِنِّيٍّ، أو إنسيٍّ، أو شجرٍ، أو حجرٍ، كلّه شرك باللَّه، لا بد أن تكون العبادة لِلَّهِ وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحَجّ: ٦٢] هكذا يقول اللَّهُ جلَّ وعلا، ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النِّسَاء: ٣٦] ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

■ مسائل: حول الرَّوافض:

أ/ الاختلاف بين أهل السُّنَّة والرَّافضة هو اختلاف في العقيدة، فهم يعتقدون في أهل البيت، ويدعونهم مع اللَّه، ويستغيثون بهم، وينذرون لهم، مثل ما كان يفعله المشركون من كُفَّار قريش مع

اللَّات والعُزى، والأنبياء والصَّالحين.

والَّذي يقول: الخلاف في الفروع هذا شخص جاهل بعقيدتهم يُبَيَّن ويوضح له عقيدتهم فهم يغلون في أهل البيت، وبالأخص عليٌّ والحسن والحسين وفاطمة بنت النَّبِيّ ﷺ ولاسيما الحسن والحسين؛ لأنَّهم يزعمون أنَّهم ينفعون فيستغيثون بهم أن يخلصوهم من عذاب اللَّه؛ ولهذا يلهجون: يا على، يا على، يا حسن، يا حسين، يا فاطمة، مثلما نقول: يا اللَّه يا للَّه.

وبعض من غلاتهم يعتقد أنَّ عليًّا هو النَّبِيُّ، وأنَّ جبريل خان الرِّسالة، ويسمونه مخون، وبعضهم يغلون فيه أكثر، ويعتقدون أنَّه ينفعهم إذا دعوه، وإذا استغاثوا به أغاثهم، ونفَّس كربتهم[(١)].

ب/ الدِّفاع عن الرَّوافض:

الَّذي يُدافع عن الرَّوافض جاهلًا بمذهبهم، يُوضح له عقائدهم، ويُعلَّم أنَّ نُصحهم ليس تعصبًا، فيبيَّن له ما هي عقيدتهم، وأنَّهم يغلون في على ويستغيثون بهوبأهل البيت وهذه عقيدتهم، فهم ككفار قريش، كانوا يستغيثون باللَّات والعُزى ومناة، وهبل، والأصنام الَّتي يصرفون لها العبادة من دعاء واستغاثة.

ج/ العوام:

عوام الشَّيعة والمتصوفة وغير هم، تبع لمراجعهم إذا كانوا يعتقدون ما يعتقدونه فهم تبع لهم في الحكم.

---

(١) وغلاة علاتهم الَّذين أحرقهم رضي الله عنه يزعمون أنَّه اللَّهُ تعالى اللَّه عمَّا يقولون علوًا كبيرًا.

د/ التعامل مع تاجر رافضي:

التعامل مع الرَّوافض هذا محل نظر، فالشراء من الكَفرة جائز والرَّسول ﷺ: «**اشْتَرَى مِن اليَهُودِي طَعَامًا لأَهْلِهِ**»[(١)] لكن يُبَيَّن حالهم حتَّى لا يتخذونهم رفقاء وأصدقاء وأصحاب، ويشتري منهم إذا دعت الحاجة لا بأس، لكن لا يواليهم، ويحذر من محبتهم والتساهل معهم، ويُبيَّن للنَّاس كفرهم وضلالهم، وسوء أعمالهم وأنَّهم يسبون الصَّحابة وخاصة الصِّديق وعمر، ويستغيثون بعليٍّ وبآل البيت، وهذا شرك أكبر، وسب الصَّحابة كفر مستقل؛ لأنَّ معنى ذلك تخوينهم.

و/ نُصح رافضي:

لو نصح رافضي في العمل ولم يستجب، وجاء وقت الصَّلاة، هل يؤمر بالصَّلاة أم يترك، يؤمر بالصَّلاة؛ لأنَّه يَدَّعي أنَّه مسلم، ويجب أن يبغض في اللَّه، ويعادى في اللَّه، ويؤمر، ويقال له: صلِّ.

(١) أخرجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الإمام أحمد (١/ ٣٦١ برقم ٣٤٠٩).

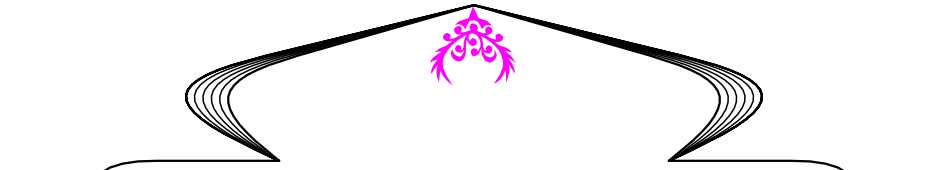

[تكفير السَّلف للعبيديين مع أنَّهم يشهدون الشَّهادتين]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويقال أيضًا: بنو عبيد القدَّاح الَّذين ملكوا المغرب ومصر في زمان بني العبَّاس، كلهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويدَّعون الإسلام، ويصلون الجمعة والجماعة، فلمَّا أظهروا مخالفة الشَّريعة في أشياء دون ما نحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم، وأنَّ بلادهم بلاد حرب، وغزاهم المسلمون، حتَّى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين.

ويقال أيضًا: إذا كان الأوَّلون لم يكفروا إلَّا لأنَّهم جمعوا بين الشِّرك وتكذيب الرَّسول ﷺ، والقرآن، وإنكار البعث، وغير ذلك، فما معنى الباب الَّذي ذكر العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد"، وهو المسلم الَّذي يكفر بعد إسلامه؟! ثُمَّ ذكروا أنواعًا كثيرة، كل نوع منها يكفِّر، ويُحِلُّ دم الرَّجل وماله، حتَّى أنَّهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها، مثل: كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللَّعب».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا البحث رَدٌّ على عُبَّاد القبور والأولياء في زمن المؤلف كما تقدَّم، فالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يقيم الحجج عليهم أنَّ الإنسان متى أتى بمكفِّرٍ كفر، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه؛ لأنَّهم يحتجون عليه، يقولون: إنَّ كُفَّارَ قريش وأشباههم لا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ونحن نشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ونصلي، ونصوم، تحتج علينا بالآيات الَّتي نزلت في كفار قريش الَّذين يعبدون الأصنام؛ وَلَا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلا أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، بل كذبوه، وقاتلوه، فلسنا مثلهم!

فالمؤلف بَيَّن ـ كما تقدَّم ـ الحجج الكثيرة الَّتي تُبيِّن كفرهم وإن شهدوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كما أن المنافقين يشهدوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون، ويصومون، ومع هذا هم أكفر النَّاس، وفي الدَّرك الأسفل من النَّار؛ لأنَّهم قالوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فهم يقولون: أشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وهم في الباطن يُكذِّبون ذلك.

وهكذا كَفَّر المُسلمون اليهود وهم يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كذلك مَنْ قالها مِنْ المُشركين من الَّذين عَبدوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستغاثوا به، ومن عُبَّاد الشَّمس والقمر ونحو ذلك؛ لأنَّهم جعلوا آلهة مع اللَّهِ، وإنْ صلوا وصاموا، فكذلك بنو عبيد القدَّاح[1] يُصلون ويُصومون، فلما أظهروا الرَّفض والغلو في أهل البيت، ثُمَّ ادّعى بعضهم أنَّه إِلَهٌ، وأنَّه يُعبد من دون اللَّهِ كَفَّرهم المُسلمون، وقاتلوهم؛ لإظهارهم الكفر والضلال، ولم تنفعهم شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية العدد (٨١ ص٣٧٢-٣٧٦).

اللَّه؛ لكفرهم وضلالهم بغلوهم في أهل البيت، أو بادِّعاء رؤسائهم الألوهية، وأنَّهم يُعبدون من دون اللَّهِ، واتخذوا لنفوسهم مقام الألوهية، فكفَّرهم المُسلمون، وقاتلوهم؛ لكفرهم، ولم تنفعهم شهادة أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، لمَّا أتوا بالمُكفِّرات.

والأئمة في جميع المذاهب ـ الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية ـ عقدوا بابًا سمَّوه "باب حكم المرتد" وهو باب معروف، أجمع عليه المُسلمون؛ عملًا بقول النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[(١)] وتأمل قول معاذ بن جبل رضي الله عنه فيمن بَدَّل دينه: «قضاء اللَّه ورسوله» لَمَّا أسلم يهودي ثم ارتد، قدم معاذ على أبي موسى وهو موجود عندهم يستتيبونه قال معاذ: «**لَا أَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَلَ؛ قَضَاءُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**»[(٢)]؛ لأنَّه بدل دينه.

بيَّنوا رحمهم اللَّه فيه أَنَّهُ لو أتى بِمُكَفِّرٍ يَكْفُر ولو صلى وصام، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فمثلًا: إنسان يسبُّ اللَّهَ ورَسُوله يَكفر ولو صلَّى وصام، ولو قال: الصوم ليس واجبًا يَكفر، ولو قال: الصَّلاة ليست بواجبة يَكفر، أو قال: الزِّنا حلال يَكفر، أو قال: الخمر حلال يكفر، أو قال: إنَّ نكاح الأم حلال، ونكاح الأخت حلال، ونكاح البنت حلال، ومن يطأ على المصحف برجله، ويلطخه بالبول إهانة له يَكفر بذلك، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، كذلك قالوا: إذا تعلَّق بغير اللَّه، وَعَبَدَ الشَّمس، أو القمر، أو الصَّنم، أو عليًّا، أو الحسين، أو فاطمة، أو عبد القادر، أو البدوي، أو غيره كَفَرَ ولو صلَّى وصام، ولو شهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٣٦).

(٢) أخرجه عن أبي موسى رضي الله عنه البخاري، برقم (٦٩٢٣) ومسلم، برقم (١٨٢٤).

المقصود: أنَّ الإنسانَ إذا أتى بِمُكفِّر بطلت أعماله؛ لقوله في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزُّمَر: ٦٥] فأعمالهم لا تنفع مع الشِّرك، بَلْ تكون هباءً منثورًا قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣].

والإنسان إذا أتى بِمُكَفِّر قوليٍّ أو فعليٍّ أو قلبيٍّ ـ من شك ونحوه ـ كفر، حتَّى لو قال: أنا أشهد أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ، لكن عندي شك هل الجنَّة حقٌّ أو ليس بحقٍّ يكفر، أو قال: أنا عندي شك النَّار حقٌّ أو ليس بحقٍّ يكفر، أو شك في أنَّ اللَّهَ في السَّماء أو ليس في السَّماءِ، أو فوق العرش أو ليس فوق العرش يَكْفُر؛ لأنَّه مُكذِّبٌ لِلَّهِ ولرسوله، أو شك في نبوة مُحَمَّدٍ، قال: ما أدري هو نبي أو ليس بنبي يكفر، أو شك في نبوة أحد من الأنبياء الَّذين ذكرهم اللَّه في كتابه، قال: أشك في نبوتهم كفر.

أو قال: أختي، أو عمتي، أو خالتي حلال يجوز لي أنْ أتزوجها كَفَرَ، فمن أتى بناقض من نواقض الإسلام كَفَرَ، وبطلتْ أعماله كلّها، من صلاة وصوم وحجٍّ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعَام: ٨٨] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المَائدة: ٥] وهذا محل إجماع بين المسلمين، ولكن أهل الشِّرك لا يفقهون، عُبَّاد القبور والأولياء في عمى وضلال، نسأل اللّه العافية.

هذه الأشياء بَيَّنَها الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في زمانه للَّذين اعترضوا عليه، وقالوا: إِنَّ مُحَمَّد بن عبدالوهَّاب يُكَفِّر المسلمين، وأنَّه جاء بدين جديد، وهذا من جهلهم وضلالهم، وقلة بصيرتهم، لم يأتِ بدين

جديد، ولكن أَتَ بما قاله اللَّهُ ورسولُهُ، وبما سار عليه الصَّحابة والمسلمون، رحمه الله وجزاه اللَّهُ خيرًا.

■ **مسألة: فيمن ذكر كلمة مازحًا:**

لو قال كلمة بلسانه دون أن يعتقدها بقلبه، قالها وهو يضحك مثل أن يقول: محمَّد كذَّاب أو لعَّاب، ولو لم يعتقدها كفر، أو قال: إنَّ اللَّه ليس فِي السَّماء، ولو كان يلعب، أو سبَّ الرَّسول كفر، ومن سب الدِّين كفر، ومن سبَّ اللَّه كفر.

■ **مسألة: في الاستهزاء:**

بعض النَّاس يستهزءون بما يسمونه (مُطوع) إذا نهاهم عن منكر، قالوا: كل مطوع شرير، إنْ كان يستهزئ به لأجل حاله، أو لبسه وثيابه أو مظهره، أو مشيته أو بصورته أو بدابته، فهذه معصية، أمَّا إن كان يستهزئ، ويستنقص، ويسب الدِّين فهذا كفر.

أمَّا قوله: كل مطوع على شر هذا فِيه تفصيل ينظر قصده؟ فإن أراد أنَّهم أشرار لدينهم كفر، وإنْ أراد أنَّهم لا يتثبتون، ولا يدعون النَّاس على بصيرة، لا يكفر، فهي كلمات محتملة.

والمطوع: هو المطيع لِلَّهِ، فمن طوَّع نفسه لِلَّهِ فهو المُطيع لِلَّهِ، وعند العامة، أن المطوع دون العالم وفوق العامي، وهو عندهم لقب شرف وليس استهزاء.

أمَّا من استهزأ بشيء من شرائع الإسلام، ثُمَّ تاب لا يلزمه أنْ ينطق بالشَّهادتين، فالتَّوبة تجب ما قبلها، يكفِيه أنَّه أقرَّ بخطئه وتاب، وإن كان يرى بعض الفقهاء أنَّه ينطق بالشَّهادتين، وهذا أقرَّ بَّما أنكره، فإذا قال: الصَّلاة ليست واجبةً، أو قال: الصَّوم ليس واجبًا، ثُمَّ تاب من ذلك، تاب اللَّه عليه ويكفِي هذا.

■ مسألة: فيمن لم يأتِ بشروط لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السبعة:

إذا كان يؤمن بمعناها، ويعلم أن لا معبود بحقٍّ إِلَّا اللَّه، صح منه ذلك، ولو لم يعرف الشروط، فالعاميُّ قد لا يعرف الشروط المُهِمُّ أنَّه يؤمن باللَّه وحده، وأنَّه لا معبود بحقٍّ إِلَّا اللَّه، وأنَّ كل معبودٍ ما سواه باطل.

■ مسألة:

الَّذي يصف الشيخ محمَّد والسعوديون بأنَّهم وهابيون متعصبون، جوابه نعم نحن مسلمون وهابيون غير متعصبين، وأنت جاهل تَعلَّم حتَّى تعرف الحقّ، والحقُّ لا يعرف بالرِّجال، ولكن بالحقِّ يعرف الرِّجال، أدرس الأدلَّة، وتأملها فهي المحور وعليها المدار، واتِّباع محمَّد ﷺ ليسوا متعصبين، المتعصبون هم المقلدة الَّذي يتبع أهل الباطل في باطلهم؛ لأنَّهم شيوخه أو لأنَّهم آباؤه وأجداده أو أصحابه، فيتبعهم ويقلدهم تعظيمًا لهم.

■ مسألة: في كفرمنكر الصِّفات:

نفي الصِّفات فِيه تفصيل، تُقام عليه الحُجَّة، فإنَّه قد يجهل بعض الصِّفات، يُبَيَّن له ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، فإذا جحدها بعد البيان يكفر، إذا جحد الرَّحمن أو العزيز أو الحكيم أو القدوس أو الملك كفر، وإنْ كان عاميًّا يُبَيَّن له ما جاء به الكتاب العزيز والسُّنَّة الصَّحيحة.

وإذا كان يأول الصِّفات، التأويل يختلف مثل الأشاعرة وغيرهم، والتأويل فِيه شبهة بخلاف النفي، المعتزلة والجهمية هم كُفَّار؛ لأنَّهم أنكروا الصِّفات بالكليَّة، وأنكروا الأسماء.

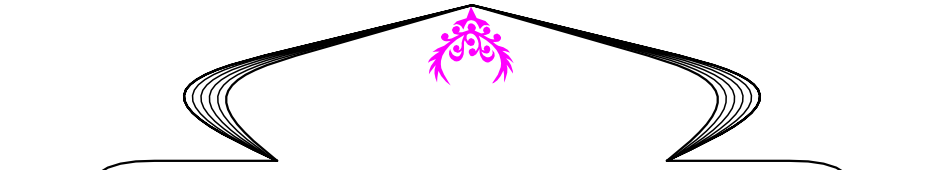

[مَنْ أتى مُكفرًا كَفَرَ]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ويقال أيضًا: الَّذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٤] أَمَا سمعتَ أنَّ اللَّهَ كَفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول اللَّه ﷺ يجاهدون معه، ويصلون معه، ويزكون، ويحجون، ويوحِّدون؟! وكذلك الَّذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فهؤلاء الَّذين صَرَّح اللَّهُ أنَّهم كفروا بعد إيمانهم، وهم مع رسول اللَّه ﷺ في غزوة تبوك، قالوا كلمة ذكروا أنَّهم قالوها على وجه المزح.

فتأمل هذه الشُّبْهَةَ، وهي قولهم: تُكَفِّرُون من المسلمين أُنَاسًا يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويصلون، ويصومون، ثُمَّ تأمل جوابها، فإنَّه من أنفع ما في هذه الأوراق.

ومن الدَّليل على ذلك أيضًا: ما حكى اللَّه تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم، أنَّهم قالوا لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقول ناس من الصَّحابة: «اجعل لنا ذات أنواط» فحلف رسول اللَّه ﷺ أنَّ هذا نظير قول بني إسرائيل: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨][(١)].

(١) أخرجه عن أبي واقد اللَّيثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الترمذي برقم (٢١٨٠) وقال: «حسن صحيح».

ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ بني إسرائيل لم يكفروا بذلك، وكذلك الَّذين قالوا: «اجعل لنا ذات أنواط» لم يكفروا.

فالجواب: أن نقول: إنَّ بني إسرائيل لم يفعلوا ذلك، وكذلك الَّذين سألوا النَّبِيّ ﷺ لم يفعلوه، ولا خلاف في أنَّ بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا، وكذلك لا خلاف في أنَّ الَّذين نهاهم النَّبِيّ ﷺ لو لم يطيعوه، واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا، وهذا هو المطلوب.

ولكن هذه القصة تُفيد أنَّ المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشِّرك لا يدري عنها، فتفيد التَّعلم والتَّحُّرز، ومعرفة أنَّ قول الجاهل: "التَّوحيد فهمناه" أنَّ هذا من أكبر الجهل، ومكائد الشَّيطان.

وتفيد أيضًا أنَّ المسلم إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري، فُنبِّه على ذلك فتاب من ساعته أنَّه لا يَكفر، كما فعل بنو إسرائيل، والَّذين سألوا النَّبِيّ ﷺ.

وتفيد أيضًا أنَّه لو لم يكفر، فإنَّه يغلَّظ عليه الكلام تغليظًا شديدًا، كما فعل رسول اللَّه ﷺ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُبيِّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ المسلم إذا أتى ما يوجب الرِّدَّةَ ارتد، وإن قول الجهلة: «يكفِّرون المسلمين وهم أناس يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون ويصومون» كلام غير سديد، وأن هذا من أكبر الجهل، فإن المسلم إذا فعل ما يوجب الرِّدَّةَ ارتد ولو صلى وصام، كما قال جلَّ وعلا: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٧٤].

هكذا الَّذين قال اللَّهُ فيهم: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦] فهم مع النَّبِيّ ﷺ ومع هذا قالوا كلمة الكفر، وكفروا بعد إسلامهم، فالإنسان إذا أتى بالكفر وإن كان من أَعبدِ النَّاس فإنَّه ينقله من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر؛ ولهذا عقد الأئمة جميعًا "باب حكم المرتد" وهو المسلم يكفر بعد إسلامه.

وهكذا بني إسرائيل لَمَّا قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] وكذلك بعض المسلمين، وهم في طريقهم إلى حنين، قالوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ[(١)] كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»[(٢)] قالوا ذلك ظنًّا منهم أنَّ هذا جائز، ولا بأس به، فنبَّههم النّبيُّ ﷺ على أنَّ هذا غلطٌ عظيمٌ، فلو أنَّهم خالفوا واتخذوا ذات أنواط لكفروا، وهكذا بنو إسرائيل لو عبدوا الآلهة ولم ينصاعوا للحقِّ لكفروا.

والحاصل: أنَّ هذه القصص فيها أوضح البيان، وأبين الحُجَّة على كفر مَنْ أتى مُكفِّرًا، ولكن الَّذي يأتي الشيء يظنه حقًّا ثُمَّ ينبَّه لا يكفر بذلك؛ لجهله، وإذا كان المسلم لا يجهل ذلك عليه التوبة، والرّجوع إلى اللَّه جلَّ وعلا، والإنابة ومن تاب تاب اللَّه عليه.

---

(١) ذات أنواط: هي اسم لشجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير، باب النون مع الواو مادة: [نوط] [ص٩٤٦].

(٢) سبق تخريجه في (ص٢٤٩).

فالإنسان قد يقع في الكفر لأسباب كثيرة، منها: الجهل، ومنها: الهوى، ومنها: الطمع في الدُّنيا، ومنها: طاعة من يرى طاعته، فإذا نُبِّه وتاب إلى اللَّهِ صحت التَّوبة، ولو كانت من أعظم الذُّنوب؛ إذ كل ذنب له توبة، وأعظم الذُّنوب الشِّرك، ومن تاب تاب اللَّهُ عليه.

قد كان جمع كثير من صناديد قريش على الكفر ثُمَّ هداهم اللَّه فصاروا خير النَّاس وأفضلهم بعدما أسلموا، وهداهم اللَّه جلَّ وعلا، فمنهم من أسلم بعد الحديبية، ومنهم: من أسلم بعد الفتح، بعد الكفر العظيم، وقتالِ النَّبِيّ ﷺ والصَّحابة، منهم: أبو سفيان قائد الكفار يوم أحد، والخندق، ومع هذا أسلم، وصار من خير النَّاس بعد ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم.

فالإنسان: إذا تاب توبة صادقة تاب اللَّه عليه، وإذا أتى الكفر جهلًا يُبَيِّن له، ولم يكَفِّرْ، كما فعل الَّذين قالوا: «**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ**» والَّذين قالوا: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] يحسبون أنَّ هذا جائز، لا بأس به فُنبِّهوا فتابوا، ورجعوا، ولم يفعلوا ما نهاهم اللَّه عنه.

والخلاصة: أنَّ المسلم المُصلِّي الصَّائم إذا أتى بمكفِّرٍ وهو ينتسب إلى الإسلام لم يمتنع تكفيره؛ لكونه مصلِّي منتسبًا للإسلام، بل يكون بالكفر الجديد مرتدًا، وتبطل أعماله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وجاء في الحديث: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١) وهذا الباب معروف بـ"باب حكم المرتد" وهو المسلم يكفر بعد إسلامه، فلو كان من أعبد

(١) سبق تخريجه في (ص٢٣٦).

النَّاس ثُمَّ سبَّ اللّه، أو رسوله، أو اتخذ الآلهة من دونه يدعوهم، ويستغيث بهم، أو جحد وجوب الصَّلاة، أو الزَّكاة، أو تحريم الزِّنا، أو الخمر، أو ما أشبه ذلك من هذه الجزئيات، كُفِّرَ بهذا الشيء، وبطلت أعماله، وصارت هباءً منثورًا؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨] وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

فالواجب على كلِّ مسلم أن يحذر ما نهى اللّه عنه من جميع المعاصي، وأن يكون حذره من الشِّرك أشدّ وأعظم، ولا يقول: أنا فهمتُ التَّوحيد، وفهمتُ الإسلام، بعض النَّاس يقول: التَّوحيد فهمناه، وهو جاهل، ما فهمه إلى هذا الوقت، ثُمَّ لو فهمه وتبصَّر فيه فليحذر، ولا يأمن، يسأل ربَّه الثَّبات، ويعتني بالتَّفقه في الدِّين، ويسأل ربَّه عدم الزَّيغ، فكم من قوم تفقهوا وتعلَّموا ثُمَّ زاغوا؟ ولا حول ولا قوَّة إلَّا باللّه، نسأل اللّه تعالى العافية.

■ مسألة: بقاء الأعمال بعد التوبة:

إذا تاب العبد عن الرِّدَّة ورجع إلى الإسلام عاد عليه ما سلف من العمل، كما قال ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**»[1] ولا ينقطع عنه عمله إلَّا إذا مات على الكفر؛ لأنَّ اللّه ﷻ، قال: ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النِّساء: ١٨] فإنْ مات على الكفر انقطع عنه عمله، وإلَّا يبقى له عمله الصَّالح.

(١) أخرجه من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه، مسلم، برقم (١٢٣).

أمَّا إذا مات وهو مرتدٌ يبطل كلّ شيء، الرِّدَّة أبطلت أعماله كلها، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفُرقان: ٢٣].

■ **مسألة: منع تكفير المعيَّن:**

يقول بعض النَّاس: الشخص المعيَّن لا يُكَفَّر، هذا من الجهل، إذا وجد فيه الكفر، كفر.

■ **مسألة: من كره شيئًا من الشَّرع ولم يجحده:**

من كره ما أنزل حبط عمله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [محمَّد: ٩] من كره الصَّلاة ولو صلى، أو كره الحج ولو حج، كل من كره ركنًا واحدًا من أركان الإسلام أو كره تحريم الزِّنا، أو تحريم الخمر، حبط عمله كذلك.

ومن يحلق اللِّحية، ولم يكرهها هذا محل نظر فِيه شبهة؛ لأنَّ بعض العلماء لا يراها واجبة، لكن من كره شرع اللَّه فيها كفر، أقل ما يقال: أنَّها سُنَّة.

■ **مسألة: في اعتياد بعض الكلمات:**

من اعتاد بعض الكلمات، مثل ما صدقت على اللَّه، أو فلان يعلم الغيب، قول: ما صدقت على اللَّه، يعني: إذا وجد شيئًا بعد تعب، ليس فِيها شيء، وهي كلمات تقولها العامة، للَّذي يحصل على الشيء بعد تعب.

أمَّا فلان يعلم الغيب فهذا كفر، من قال أنَّ أحدًا يعلم الغيب، فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النَّمل: ٦٥] وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا

مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

■ **مسألة: في الفرق بين الجهميَّة والمرجئة:**

الجهميَّة: يرون أنَّ العبدَ مَجبور على عمله، فهم مجبرة لا مرجئة، يرون أنَّ العبد مجبور ليس عليه شيء، ويلزم على قولهم: أنَّ اللَّهَ ظالم له تعالى اللَّه عمَّا يقولون علوًا كبيرًا. كذلك الجهمية عندهم الإيمان هو المعرفة، والمرجئة بقولهم أنَّ الإيمان تصديق فِي القلب فقط[(١)].

(١) ينظر: لمعرفة المزيد في الفرق بين الجهمية والمرجئة، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحته (١/ ٢٠٨، ٢٧/ ١١٧) وفتاوى نور على الدرب لسماحته (١/ ٦٣).

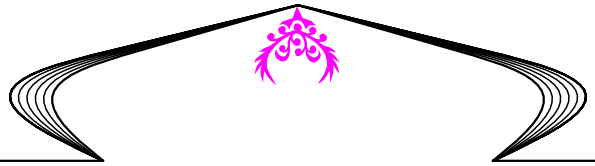

[الرَّدُّ على شُبْهَةِ أَنَّ مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه لا يَكفر ولو اقترف ناقضًا مِنْ نواقضها]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وللمشركين شُبْهَةٌ أخرى يقولون: إنَّ النَّبِيّ ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وقال له: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟!»[(١)] وكذلك قوله: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[(٢)] وأحاديث أخرى في الكفِّ عمَّن قالها، ومراد هؤلاء الجهلة: أَنَّ مَنْ قالها لا يُكفر، ولا يُقتل ولو فعل ما فعل.

فيقال لهؤلاء الجهلة: معلوم أنَّ رسول اللَّه ﷺ قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وأنَّ أصحاب رسول اللَّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، ويصلون، ويدَّعون الإسلام، وكذلك الَّذين حَرَّقهم علي بن أبي طالب بالنَّار.

وهؤلاء الجهلة مُقِرُّون أنَّ من أنكر البعث كَفر وقُتِلَ، ولو قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وأنَّ مَن جحد شيئًا من أركان الإسلام كَفر وقُتِلَ ولو قالها، فكيف لا تنفعه إذا جحد فرعًا من الفروع وتنفعه إذا جحد

(١) أخرجه عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا البخاري، برقم (٤٢٦٩) ومسلم، برقم (٩٦).

(٢) أخرجه عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٢٥) ومسلم، برقم (٢٢).

التَّوحيد الَّذي هو أساس دين الرُّسل ورأسه، ولكن أعداء اللَّه ما فهموا معنى الأحاديث ولن يفهموا.

فأمَّا حديث أسامة فإنَّه قتل رجلًا ادَّعى الإسلام؛ بسبب أنَّه ظَنَّ أنَّهُ ما ادَّعى الإسلام إلَّا خوفًا على دمه وماله، والرَّجل إذا أظهر الإسلام وجب الكفُّ عنه حتَّى يَتَبيَّن منه ما يخالف ذلك، وأنزل اللَّهُ تعالى في ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النِّساء: ٩٤] أي: فتثبَّتوا، فالآية تدلُّ على أنَّه يجب الكفُّ عنه والتَّثبُّت، فإذا تَبَيَّن منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قُتِلَ لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ولو كان لا يُقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنًى.

وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه: ما ذكرناه أنَّ مَن أظهر التَّوحيد والإسلام وجب الكفُّ عنه إلَّا إنْ تَبيَّن منه ما يناقض ذلك، والدَّليلُ على هذا: أنَّ رسول اللَّه ﷺ الَّذي قال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟» وقال: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

هو الَّذي قال في الخوارج: «أَيْنَما لَقَيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ[(١)] «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٢)] مع كونهم من أكثر النَّاس عِبادةً وتهليلًا وتسبيحًا، حتَّى إنَّ الصَّحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصَّحابة، فلم تنفعهم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، ولا كثرة العبادة، ولا ادِّعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشَّريعة.

وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود، وقتال الصَّحابة بني حنيفة، وكذلك: أراد ﷺ أن يغزو بني المُصطلق لما أخبره رجل منهم أنَّهم

(١) أخرجه عن علي رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٦١١) ومسلم، برقم (١٠٦٦).

(٢) أخرجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٣٤٤) ومسلم، (١٠٦٤).

منعوا الزَّكاة، حتَّى أنزل اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجرَات: ٦][(١)] **وكان الرَّجل كاذبًا عليهم، وكل هذا يدلُّ على أنَّ مراد النَّبِيّ ﷺ في الأحاديث الَّتي احتجوا بها ما ذكرناه».**

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه المسألة مسألة مُهِمَّةٌ عظيمةٌ، أوضحها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهي: تعلق المشركين بأحاديث مطلقة عامَّة في الأمر بالكفِّ عمَّن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كما ظنُّوا أنَّ من قالها لا يكفر ولو فعل ما فعل، وبعضهم ظنَّ أَنَّهُ يَكفر بأشياء دون الشِّرك؛ لجهلهم.

وقوله ﷺ لأسامة: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؟**» وقوله: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**» دليلٌ على ما درج عليه الصَّحابة وغيرهم في قتال المرتدين، والمعنى من ذلك: أنَّ مَن أظهر التَّوحيد والإسلام كُفَّ عنه، حتَّى يُعلم منه ما يخالف ذلك، والَّذي قتله أسامة ظنَّ أَنَّهُ قالها خوفًا من السِّلاح فقتله، فخطَّأه النَّبِيّ ﷺ وَبَيَّن له أنَّ الواجب الكفُّ عنه، حتَّى ينظر في أمره.

وهكذا كل إنسان لا يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، من الكُفَّار الَّذين يأبون أن يقولوها، مثل: كُفَّار قريش لَمَّا قال لهم النَّبِيُّ قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [صٓ: ٥] وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصَّافات: ٣٦] وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾ [الصَّافات: ٣٥-٣٦] فالَّذين يجحدون لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

(١) أخرجه الطبراني في «التفسير» (٢١/ ٣٤٩).

إذا قالوها يكفُّ عنهم حتَّى ينظر في أمرهم، فإن استقاموا، ووحدوا اللَّهَ، وأخلصوا له العبادة، والتزموا بالشَّرع عُلِمَ إسلامهم، وتمَّ الكفُّ عنهم.

أمَّا مَن قالها وهو لا يؤمن بمعناها ولا يعتقده، يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو يَعبدُ غير اللَّه كما يفعل المنافقون، وكما فعل أصحاب مسيلمة، يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ويصلون، ويقولون: مسيلمة نَبِيٌّ، قد كذَّبُوا قوله جلَّ وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزَاب: ٤٠] كيف يكون نبيًّا، وَمُحَمَّدٌ خاتم الأنبياء؟! فلهذا قاتلهم الصَّحابة؛ لأنَّهم زعموا في مسيلمة أنَّهُ نَبِيٌّ، وهذا كُفْرٌ بالإجماع، ولو قالوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وهكذا الَّذين حَرَّقهم علي بن أبي طالب ﷺ زعموا أَنَّه إِلَهٌ، وأَنَّه هو اللَّهُ، فحرَّقهم وهم يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يقولون: بألسنتهم ما لا يطابق أفعالهم.

وهكذا المنافقون يقولون: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهم يعتقدون بطلان الدِّين، وأَنَّهُ لا حقيقة له، ويقولونها رياءً وتعوذًا، ومع هذا قال اللَّه في حقِّهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥] ولن ينفعهم قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه؛ لأنَّهم قالوها بالألسنة، وكفروا في باطنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٢-١٤٣] ليس لديهم إيمان، فهكذا كل إنسان يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو يَعبدُ غير اللَّهِ، أو ينكر البعث والنشور، أو وجوب الصَّلاة، أو يستحل الزِّنا، أو الخمر، يكفر بذلك عند جميع المسلمين.

ولهذا عقد العلماء في كل مذهب "باب حكم المرتد" ثُمَّ فسَّروه، فقالوا: المرتد هو الَّذي يَكفر بعد إسلامه[١] يعني: هو الَّذي يأتي بناقض من نواقض الإسلام فيكفر بذلك، وإن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فلو كان يقولها، ويصلي ويصوم، ولكن يقول: الزِّنا حلال، من شاء زنى فلا بأس، كفر عند جميع أهل العلم، أو قال: إنَّ الخمر حلال، أو قال: إنَّ عقوق الوالدين حلال، كفر عند جميع أهل العلم.

فالواجب: اليقظة، والانتباه، والتَّبصُّر، والفقه في الدِّين؛ فالمسلم يرتد إذا أتى بناقض من نواقض الإسلام، ولو أتى بالبقية [أي: ببقية شرائع الإسلام] فإذا كان يعبد البدوي، أو النَّبِيّ ﷺ، أو زينب، أو الحسن، أو الحسين، أو علي، أو غيرهم، يعبدهم ويستغيث بهم كفر، ولم ينفعه قول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهكذا إذا دعا الملائكة، واستغاث بهم، أو بالجِنِّ كفر، ولو قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهكذا إذا دعا الأشجار، أو الأحجار، أو الأصنام، كما كانت تفعل قريشًا مع العُزَّى واللّات ومناة.

فالواجب على المسلم: أنْ يتبصَّر، يكون على بيِّنة في دينه، فالمشرك مشرك وإن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، والكافر كافر وإن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، حتَّى يؤمن بمعناها، ويؤدِّي حقَّها، كما قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه. فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا**» وفي حديث ابن عمر: «**إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**» فلا بُدَّ من حقِّ الإسلام وحق لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وهو الالتزام بدين اللَّهِ، والحذر ممَّا يسبب الشِّرك، أو تكذيب اللّه ورسوله، ولو أن الإنسان يفعل كلّ

(١) ينظر: ما سبق ذكره.

عبادة، ويعتقد كلّ ما أوجب اللَّه، ولكنه يقول مثلًا: ليس هناك بعث، ولا نشور، ولا جنَّة، ولا نارٌ كفر عند الجميع، ولو أنَّهُ يصلي ويصوم، ولو كان من أَعْبَدِ النَّاس.

وهكذا لو كان يؤمن بكلِّ شيء، ولكن يقول: الزنا حلال، أو الخمر حلال، أو الصَّلاة ليست بواجبة، أو صوم رمضان ليس بواجب، أو الحج ليس بواجب مع الاستطاعة كَفَرَ عند الجميع.

فالواجب: التَّنبه لهذه الأمور، وأنْ يكون طالب العلم على بصيرة وألَّا يغتر بقول هؤلاء المرتدين، الجهلة الضالين، الَّذين يَعبدُون القبور، ويستغيثون بالأموات، ويقولون: نحن مُسلمون، نسأل اللَّه العافية، رزق اللَّهُ الجميع التَّوفيق والهداية.

■ **مسألة: فيمن يقول: في دعائه يا حبيبي:**

ليس فِيها شيء، هو أحبُّ حبيب ﷻ، ولكن إذا دعاه بأسمائه يا اللَّه يا رحمن أفضل؛ لأنَّ اللَّه ﷻ، يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] لم يقل: أدعوني بـ(يا حبيبي) قال: أدعوه بإسمائه وصفاته، يا اللَّه يا رحمن يا رحيم يا ذا الجلال والإكرام، وإنْ كان هو أحب حبيب، لكن يُدعى بأسمائه وصفاته الَّتي بينها ﷻ.

■ **مسألة: من سأل باللَّه لأمر ولم يجب:**

النَّبِيُّ ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ**»[(١)] إلَّا إذا كان ليس له حقٌّ، فلو قال: أسألك باللَّه أن تعطيني من الزَّكاة، وهو ليس من أهلها لا يعطى، لكن إذا سأل شيئًا له فِيها شبهة، إذا سأل من بيت المال -مثلًا-، أو سأل لأنَّه فقير يعطى ما تيسر «**مَنْ سَأَلَ بِاللَّه**

(١) أخرجه عن ابن عمر أبو داود، برقم (١٦٧٢) والنسائي، برقم (٢٥٦٧).

فَأَعْطُوهُ» ولكن لا ينبغي أن سأل باللَّه ويُشَدِّد على النَّاس؛ ولهذا قال الملك: الَّذي أتى الأبرص والأعمى والأقرع أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ[1] كذا وكذا، سأله باللَّه.

والمقصود: أنَّه إذا كان في شيء مُهم وسأل باللَّه يعطى إذا كان له حقٌّ، أمَّا إذا لم يكن له حقٌّ، فلا يعطى ولو سأل باللَّه، فلو قال أسألكم باللَّه أن تعطوني من الزَّكاة، وليس من أهلها فلا يعطى منها؛ لأنَّه ليس من أهلها أو قال أسألكم باللَّه أن تعطوني أموالكم الَّتي عندكم كلها، ولا تبقوا لكم شيئًا، فلا يعطى.

■ مسألة: الكف عمَّن يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه من الكفرة:

من قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يكف عنه إذا لم يكن يقرُّ بالتَّوحيد سابقًا، وحتَّى ينظر فِي أمره مثلما أَمرالنَّبِيّ ﷺ أسامة، أمَّا إذا كان تكلم بالتَّوحيد، ولكن ما كف عن الشِّرك فكلامه لا ينفعه، لا بُدَّ أن يترك الشِّرك ويتوب منه، فَعُبَّاد البدوي أو عُبَّاد الحسين، أو عُبَّاد علي، أو عُبَّاد اللَّات، أو عُبَّاد الكواكب والأصنام، إذا قالوا: لَا إِلَهَ إِلَّا الله، لا يكف عنهم حتَّى يتوبوا من عملهم، ومن شركهم وكفرهم، وهكذا من سب الله أو سب الرَّسول ﷺما يكف عنهم حتَّى يتوب من هذا.

فالكافر إذا قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يتعوذ بها، واللَّهُ أعلم بنيته، لا يُقتل إذا لم يكن يقولها سابقًا، لا يقتل حتَّى يتثبت فِي أمره، ولو ظن أنَّه أراد أن يتعوذ بها مثلما قال النَّبِيُّ ﷺلأسامة «**هَلْ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ**». كذلك لا يجوز ضربه فِي يده أو رجله، فإذا كان لا يقولها أصلًا، ثُمَّ قالها يمسك عنه حتَّى ينظر فِي أمره.

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم ٣٤٦٤) ومسلم، برقم (٢٩٦٤).

■ مسألة: فيمن يقول للآمر والنَّاهي فضولي:

من يقول للآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر فضولي هذا القول: لا يُعَدُّ كفرًا، ويُبَيَّن للقائل أنَّ هذا غلط، وأنَّه كلام غير صحيح، وليس هذا بفضولي، وهذا من الجهل يبين له.

■ مسألة: إذا قال: بالكفر أو عمل به لا يكفر حتَّى تقام عليه الحُجَّة:

هذا القول من جهلهم، عُبَّاد القبور كُفَّار، واليهود كُفَّار والنَّصارى كُفَّار، ولكن عند القتل يستتاب، فإنْ تاب وإلَّا قتل، والحجة قامت عليهم، بلغهم القرآن، وهم بين المسلمين قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: ٦٧] فقد بلَّغ الرَّسول ﷺ والقرآن بين أيديهم، يسمعونه من الإذاعات وغيرها، ولكنهم لا يبالون، ولا يلتفتون، وإذا جاء أحد من غيرهم ينهاهم أعذروه.

■ مسألة: عذر من جهل قدرة اللَّه:

أمر رجل أهله إذا مات أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه[(١)] هذا جَهِلَ بعض أمور، خفِية عليه كمال قدرة اللَّه، فعذره اللَّه، فقد حمله خوفه من اللَّه وجهل كمال القدرة، فقال لأهله ما قال.

■ مسألة: عدم الرضى يعتبر تكذيب يقتضي الكفر:

لما ذكر الرَّسول ﷺ في الحديث أنَّه سيعطيهم، فقام فخطب فِي النَّاس، فقال: «**أَرَضِيتُمْ، قَالوا: لَا**»[(٢)] فقالوا هذا تكذيب

(١) أخرجه عن أبي سعيد رضي الله عنه البخاري، برقم (٣٤٧٨) ومسلم، برقم (٢٧٥٧).
(٢) أخرجه عن عائشة رضي الله عنها أبو دواد، برقم (٤٥٣٤) والنسائي، برقم (٤٧٧٨) وابن ماجه، برقم (٢٦٣٨).

للنَّبِيِّ ﷺ وهو كفر؟

● **الجواب:** هذا ليس بتكذيب له ﷺ هو يسألهم: أَرَضِيتُمْ ويشير إلى الَّذي أعطاه النَّاقة فزاده حتَّى رضي، وهذا ليس بتكذيب، والَّذي يقول هذا الكلام تكذيب جاهل.

■ **مسألة:** بعض النَّاس إذا نُصِحَ قال: ما هداني اللَّه ﷻ يقال له: أسأل ربك الهدية، فالله يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: ٦٠].

■ **مسألة: زعم سقوط العبادات:**

بعض أئمة الطرق المنحرفة، يقولون: وصلنا إلى مرتبة اليقين، فلا تلزمنا العبادات؟

● **الجواب:** هذا كفر عند أهل العلم، من قال: تسقط عنه العبادات كفر بالإجماع إلَّا إذا كان جُنّ، أصابه الجنون.

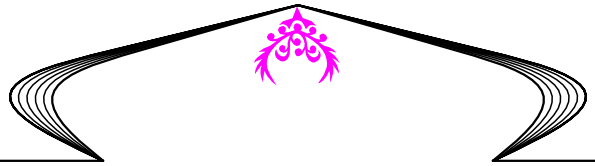

[بطلان شُبْهَةِ القبوريين بأن الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولهم شُبْهَةٌ أخرى، وهي: ما ذَكَر النَّبِيُّ ﷺ: أَنَّ النَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثُمَّ بنوح، ثُمَّ بإبراهيم، ثُمَّ بموسى، ثُمَّ بعيسى، فكلهم يعتذرون، حتَّى ينتهوا إلى رسول اللَّه ﷺ»(١) قالوا: فهذا يدل على أنَّ الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا.

والجواب: أنْ تقول: سبحان مَن طبع على قلوب أعدائه، فإنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القَصَص: ١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة الَّتي يفعلونها عند قبور الأولياء، أو في غيبتهم في الأشياء الَّتي لا يقدر عليها إلَّا اللَّه.

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أنْ يدعوا اللَّه أنْ يحاسب النَّاس؛ حتَّى يستريح أهل الجنَّة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدُّنيا والآخرة، وذلك أنْ تأتي عند رجل صالح حَيٍّ يجالسك ويسمع كلامك، وتقول له: ادع اللَّه لي، كما

(١) أخرجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٤٧١٢) ومسلم، برقم (١٩٤).

كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأمَّا بعد موته فحاشا وَكَلَّا أنَّهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السَّلف على من قصد دعاء اللَّه عند قبره، فكيف بدعائه نفسه ﷺ».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشركون لهم شبَهٌ كثيرة يُشبهون بها على النَّاس؛ لقلة علمهم، وغلبة الجهل عليهم، واعتيادهم للباطل، فإنَّ الإنسان إذا اعتاد الباطل صعب عليه التَّخلص منه، وصار يتطلب الشُّبه الَّتي تبرر عمله، ويتعلق بخيط العنكبوت، فيقولون: لِمَ تنكر علينا دعوة الأموات والاستغاثة بهم، والنَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، وبنوح، وبإبراهيم، وبموسى، وعيسى؛ حتَّى يشفعوا لهم عند اللَّهِ؟! هذا يدلُّ على جواز الاستغاثة بالمخلوقين.

فيقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإنَّ الاستغاثة**» بالحي غير الاستغاثة بالميت، والاستغاثة بالحاضر غير الاستغاثة بالغائب، فرق بينهما، النَّاس يوم القيامة يستغيثون بآدم، وبنوح، وبإبراهيم، وبموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في أمور يستطيعونها، وهي الشَّفاعة لهم؛ ليريحهم اللَّه من كرب الموقف، وهذا جائز في الدُّنيا والآخرة.

تقول لإنسان: اشفع لي عند فلان كذا، الَّذي يقدر، سلفني كذا، أقرضني كذا، هذا لا بأس به، وكما يقع في الحرب يستعين الإنسان بأصحاب الحرب، يتعاونون، يقول: عندك الجهة الفلانية احفظها، والآخرين يقاتلون في الجهة الأخرى، يتعاونون، ويتواصون بحرب الأعداء.

وفي هذا المعنى: قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع القبطي، كما قال

تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] استغاث الإسرائيلي بموسى على القبطي، فأغاثه: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] لأنَّ موسى حاضر قادر، فإذا قُلْتَ لزيد أو عمرو: أغثني من خادمك، أو من ولدك، اكفني من شره، أو من هذا السبع؛ لأنَّ معه بندق يرميه بها، أو يضربه بشيء فهذه الاستغاثة لا بأس بها؛ لأنَّه حاضر قادر.

وقد تكون الاستغاثة بالمكاتبة، مثل: إنسان غائب يكتب له كتابًا يقول: أرسل لي كذا، أقرضني كذا، بعني: استعانة بالمكاتبة، أو بالتَّلفون فلا بأس بذلك.

المنكر كونه يأتي إلى ميِّتٍ، أو صنم، أو شجرٍ، أو حجرٍ يستغيث به، هذا هو الشِّرك الَّذي فعله المُشركون، وكذا الاستغاثة بالغائب كالملائكة أو بالجِنِّ، هذا هو الشِّرك الَّذي أنكره الرُّسل والأنبياء، وأنكره الدُّعاة إلى الخير، أمَّا الاستغاثة بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ، أو بغائب بالمكاتبة، أو بوصية إنسان يتصل به، يقول له: قل له كذا وكذا، أو بالهاتف كما يحصل الآن المعروف بـ(التَّلفون) هذا ليس بغائب، هذا حاضر يكلمه بالتَّلفون مثلما يكلم الحاضر، أو يكتب له كتابة: أقرضني كذا، أو اشترِ لي كذا، ليس فيه بأس، فرق بين هذا وهذا.

أمَّا كونه يأتي المِّيت، يقول: انصرني، أنا في حسبك، أنا في جوارك، هذا شرك المشركين، أو يسجد له، أو يذبح له، أو يستغيث به، أو بالغائب كالملائكة والجِنِّ، يا جن، افعلوا كذا، يا جبرائيل أغثني، يا إسرافيل، وهم غائبون عنه لا يشاهدهم، ولا يسمعون كلامه، هذا هو الَّذي فعله المشركون، هذا هو الشِّرك الأكبر، وهكذا مع الشجر أو الصنم أو مع النَّجوم أقبح وأقبح، نسأل اللّه العافية.

■ **مسألة: ضابط طلب الدُّعاء من الغير:**

ليس كلّ النَّاس يطلب منهم الدُّعاء، بل خواص النَّاس، أمَّا تؤذي كلّ أحد بطلب الدُّعاء منه فلا، وإنَّما تسأل بعض خواص إخوانك، وما كان النَّبِيُّ ﷺ يطلب من كلِّ أحد، وإنَّما يُروى أنَّه قال لعمر عندما أراد العمرة: «**لَاتَنْسَنَا يَاأُخَيَّ مِن دُعَائِكَ**». فَقَالَ عُمَر: كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا[(١)]. وفي لفظ قَالَ: «**يَا أَخِي أَشْرِكْنَا فِي دُعَائِكَ**». فَقَالَ عُمَرُ: مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ لِقَوْلِهِ: «يَا أَخِي»[(٢)].

وأوصاه بأويس القرني إذا قدم،وَأَنَّهُ كَانَ بَارًا بِأُمِهِ من لقاه منكم فليطلب منه أنْ يستغفر له[(٣)] فما قاله لكلِّ أحد، بعض النَّاس كلما وجد أحد، قال: أدعو لي، فينبغي للإنسان ألَّايفعل هذا في كلِّ الأحيان مع كلّ النَّاس حتَّى لا يؤذي إخوانه.

■ **مسألة: إزالة الشُّبة والمُتَشَابِهِ:**

المشركون وصفهم اللَّه فِي كتابه أنَّهم يتبعون المتشابه، والشُّبهات، وكثير من العلماء يطلق أنَّه لا يكفر حتَّى تزال الشُّبهة، كيف التفصيل فِي المسألة.

● **الجواب:** الَّذي فِيه شبهة تُزال الشُّبهة، والَّذي ما فِيه شبهة الحمد اللَّه. والشبه المعتبرة، هي الشيء الَّذي قد يخفى أمرها، فتُبَيَّن للمشتبه عليه.

ومن وقع فِي الشُّبهة المكفِّرة، إن كان ينطق بالشَّهادتين، فالتَّوبة

(١) أخرجه عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبو داود، برقم (١٤٩٨).
(٢) أخرجه عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام أحمد (١/ ٢٩ برقم ١٩٥).
(٣) أخرجه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مسلم، برقم (٢٥٤٢).

مما قال أو فعل تكفيه، وإن نطق بالشَّهادتين فلا بأس بذلك، كما قال بعض أهل العلم، والمقصود: أنَّ التَّوبة تحصل بالرجوع عما أخطأ فيه، فمن دعا الأموات، ثُمَّ تاب من ذلك، تاب اللَّه عليه، وكذا من ذبح لغير اللَّه، ثُمَّ تاب من ذلك تاب اللَّه عليه[١].

وعُبَّاد القبور كذلك إذا تابوا إلى اللَّه، واعترفوا أنَّ دعاء القبور عبادة، وأنَّه كفر ورجعوا دخلوا فِي الإسلام والحمد للَّه.

■ **مسألة: التفريق بين الغائب الحيِّ والميِّت:**

الغائب الَّذي يُكلم بالهاتف، أو بالوكالة بالمكاتبة، وهو حي هذا ليس فِيه شيء، أمَّا تَكليم الميت ليس فِيه شبهة، هذا هو صريح شرك المشركين الَّذين يدعون اللَّات والعُزى وأشباهها، ويدعون الملآئكة والجنَّ هذا شرك، فالَّذي عنده شبهة تزال عنه الشُّبهة، فدعاء الغائبين، ودعاء الملآئكة، ودعاء الأموات غير دعاء الحي الحاضر، وأجمع المسلمون أنَّه لا بأس به، أن يقول: للحي الحاضر: اشفع لي أدع اللَّه لي.

فلا يظن ظان أن سؤال الغائب ليس فِيه شيء، يقال له الغائب تسمية غائبًا يكفِي، فإنْ كان يمكن أن تصل إليه بالمكاتبة وتحاكيه، فهذا ليس فِيه شيء.

أمَّا إذا سألت الغائب الميِّت تعتقد أنَّه يسمع كلامك، وأنَّه ينفعك، هذا هو الَّذي فعله المشركون مع الملآئكة، ومع معبوداتهم من دون اللَّه.

وطلب الشَّفاعة من الميت ليست مسألة خفِية، وإن وقع فيها

(١) ينظر: ما سبق.

المجتمع، هي بيِّنة، إذا مات ابن آدم انقطع عمله، وانتهى فليس له عمل: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ﴾ [فَاطِر: ١٤] مات انقطع عمله فليس له عمل.

■ **مسألة: بعث الأجسام:**

الأبدان والأجسام الَّتي فِي الدُّنيا هي الَّتي يبعثها اللَّه يوم القيامة، لكن تتغير فتكون كـ «**خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**»(١).

■ **مسألة: الخفاء والوضوح:**

يتغير الخفاء والوضوح باختلاف الأزمنة والأمكنة، كلما عظم الجهل زاد الخفاء، وكلما اشتدت غربة الإسلام زاد الخفاء، لكن مادام بين المسلمين يسمع القرآن، ويسمع السُّنَّة فقد بلغ ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] القرآن بَلّغ ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعَام: ١٩] هذا بلغه القرآن فإذا قلت له: تب إلى اللَّه سيخاصمك، ولا يقبل منك الفائدة، وأهل القبور اليوم صعب معهم التفاهم فِي التوحيد إلَّا بشدة، لا يرضون بالتفاهم؛ لأنَّهم يرون أنَّهم على حقٍّ، إلَّا من رحم اللَّه. المسائل الغير مكفرة أمرها أسهل، المقصود المسائل المكفرة.

■ **مسألة: في فِرَق الجهمية:**

هل يعم الحكم فِيهم عوامهم أم فِيه تفصيل؟ عوامهم معهم إذا كانوا يعتقدون ما يعتقده مراجعهم فهم مثل عوام اليهود والنصارى معهم، إنَّما الشيء الَّذي يخفى، مثل معرفة كمال القدرة فِي حقِّ الَّذي طلب من أهله أن يحرقوه ويذرُّوه فِي اليوم الصائف، ظنَّ أنَّه

(١) أخرجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البخاري، برقم (٣٣٢٧) ومسلم، برقم (٢٨٣٤).

يفوت، وأنَّه يسلم أمر اللَّه البر والبحرأن يجمعا ما فِيهما ثُمَّ قال له: ما حملك على ذلك، قال: خوفك يا رب، فتجاوز اللَّه عنه.

■ مسألة: من لم تصلهم الدَّعوة حتَّى الآن؟

هؤلاء ليسوا بمسلمين ولا كفار، وأمرهم إلى اللَّه، فهم من أهل الفترة. الَّذي لم يبلغه الإسلام يمتحن يوم القيامة، والَّذي بلغه الإسلام لا يمتحن. أو كان بين المسلمين، ويسمع القرآن، عندنا نحكم عليه أنَّه قامت عليه الحُجَّة بالقرآن والسُّنَّة وأمره إلى اللَّه.

وقد يوجد اليوم فِي بعض مجاهل أفريقيا وغيرها من لم تبلغه الدَّعوة. وأمَّ قول الرَّسول ﷺ: لا تشرق الشَّمس ولا تغرب إلَّا طرق الإسلام بيتًا بعز عزيز أو بذل ذليل هذا يحتاج إلى نظر فِي صحته، وبغض النظر عن صحته وعدم صحته لا يلزم الأفراد يلزم مواصفات الجهات لا يلزم الأفراد حتَّى تصلهم الدَّعوة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسرَاء: ١٥].

■ مسألة: الإنكار عند أهل القبور:

هل ننكر عليهم مباشرة، أو يطبق عليهم قاعدة: درء المفاسد مقدم على جلب المصالح. ينصح المتعلمون منهم فإذا تابوا وهداهم اللَّه فالحمد للَّه، وإن أبوا فهم كفار بغير اللَّه كلها درب واحد، لابد من التوحيد بالقول واللِّسان والعمل.

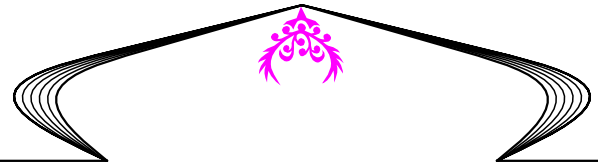

[بطلان احتجاج القبوريين بقول جبريل لإبراهيم حين أُلقي في النَّار: ألك حاجة؟]

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولهم شُبْهَةٌ أخرى: وهي قصة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أُلقي في النَّار، اعترض له جبريل في الهواء، فقال له: «أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فقال إبراهيم: «أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا» فقالوا: فلو كانت الاستغاثة شركًا لم يعرضها على إبراهيم.

فالجواب: أنَّ هذا من جنس الشُّبهة الأولى؛ فإنَّ جبريل عرض عليه أنْ ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنَّه كما قال اللَّهُ تعالى فيه: ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] فلو أذن له أنْ يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره أنْ يضع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكان بعيد عنهم لفعل، ولو أمره أنْ يرفعه إلى السماء لفعل.

وهذا كرجل غني له مال كثير، يرى رجلًا محتاجًا فيعرض عليه أنْ يُقرضه، أو يهبه شيئًا يقضي به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أنْ يأخذ، ويصبر إلى أنْ يأتيه اللَّه برزق لا مِنَّةَ فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشِّرك لو كانوا يفقهون؟!

ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مُهِمَّة جدًّا، تُفهم ممَّا تقدَّم، ولكن نفرد لها الكلام؛ لعظم شأنها، ولكثرة الغلط فيها، فنقول: لا

خلاف أنَّ التَّوحيد لا بُدَّ أنْ يكون بالقلب واللِّسان والعمل، فإنْ اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلمًا، فإنْ عرف التَّوحيد ولم يعمل به فهو كافرٌ معاندٌ ككفر فرعون، وإبليس وأمثالهما.

وهذا يغلط فيه كثيرٌ من النَّاس، يقولون: إنَّ هذا حقٌّ، ونحن نفهم هذا، ونشهد أنَّه الحقُّ، ولكنا لا نقدر أنْ نفعله، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلَّا من وافقهم، أو غير ذلك من الأعذار، ولم يدرِ المسكين أنَّ غالب أئمة الكُفر يعرفون الحقَّ ولم يتركوه إلَّا لشيء من الأعذار.

كما قال تعالى: ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ [التوبة: ٩] وغير ذلك من الآيات كقوله: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦] فإن عمل بالتَّوحيد عملًا ظاهرًا وهو لا يفهمه، ولا يعتقده بقلبه، فهو منافق، وهو شر من الكافر الخالص: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: ١٤٥].

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة، تتبيَّن لك إذا تأملتها في ألسنة النَّاس، ترى من يعرف الحقَّ ويترك العمل به؛ لخوف نقص دنياه، أو جاه أو مداراة لأحد، وترى من يعمل به ظاهرًا لا باطنًا، فإذا سألته عمَّا يعتقده بقلبه، فإذا هو لا يعرفه، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب اللَّهِ.

أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾ [التوبة: ٦٦] فإذا تحققت أنَّ بعض الصَّحابة الَّذين غزوا الرُّوم مع رسول اللَّهِ ﷺ كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللَّعب تبيَّن لك أنَّ الَّذي يتكلم بالكفر ويعمل به خوفًا من نقص مالٍ، أو جاهٍ، أو مداراة لأحد أعظم ممَّن يتكلم بكلمة يمزح بها.

والآية الثَّانية: قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا

مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧] **فلم يعذر اللَّه من هؤلاء إلَّا من أكره مع كون قلبه مطمئنًا بالإيمان، وأمَّا غير هذا فقد كفر بعد إيمانه، سواء فعله خوفًا، أو مداراة، أو مشحَّة بوطنه، أو أهله، أو عشيرته، أو ماله، أو فعله على وجه المزح، أو لغير ذلك من الأغراض إلَّا المُكره.**

فالآية تدل على هذا من وجهين:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] **فلم يستثنِ اللَّه تعالى إلَّا المُكره، ومعلوم أنَّ الإنسان لا يكره إلَّا على الكلام، أو الفعل، وأمَّا عقيدة القلب فلا يكره أحدٌ عليها.**

والثاني: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النحل: ١٠٧] **فصرَّح أنَّ هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد، والجهل، والبغض للدِّين، ومَحبَّة الكُفر، وإنَّما سببه أنَّ له في ذلك حظًّا من حظوظ الدُّنيا فآثره على الدِّين.**

واللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم، وأعزُّ وأكرم، وصلَّى اللَّهُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله أجمعين».

قال الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: المشركون لهم شُبْهَةٌ غير الشُّبهة السَّابقة الَّتي سبق الجواب عنها، وهي أنَّهم يقولون: إنَّ إبراهيم لَمَّا أُلقي في النَّار اعترضه جبرائيل، فقال: «هَلْ لَكَ حَاجَةٌ؟ فقال: أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا، وَأَمَّا إِلَى اللَّهِ فَبَلَّى»[1] قالوا: فكون جبريل يَعرض على إبراهيم حاجة يدلُّ هذا على أنَّه يجوز أنْ يستعان باللَّهِ، ويستغاث بغيره؛ لأنَّ جبريل عرض، لو كان ممنوعًا ما عرضه جبرائيل.

فَيُقال لهؤلاء: هذا من أعظم الجهل، جبرائيل ملك عظيم، أعطاه اللَّهُ من القوة ما أعطاه، فهو عرض عليه أن ينجده، ويسعفه بشيء يقدر عليه جبرائيل، فأجاب إبراهيم بأنَّه ليس له حاجة إليه، إنَّما حاجته إلى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فجبرائيل لو أمره اللَّهُ أنْ يأخذ إبراهيم إلى جهة السَّماء، أو مكان بعيد، أو يطفئ النَّار استطاع؛ هو القوي الأمين عليه الصَّلاة والسَّلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] وهو جبرائيل عليه الصَّلاة والسَّلام.

هو الَّذي قال فيه سبحانه: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٥-٦] فهذا مثل إنسان فقير يعرض عليه إنسان عنده أموال كثيرة، يقول: لك حاجة أُعطيك، تريد لباس تريد دراهم، تريد طعام؟ فيقول الفقير: ما لي عندكَ حاجة، أنا حاجتي أطلبها من جهات

---

(١) سئل سماحته عن صحة قصة جبريل مع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال: لا أعرف فِيها أحاديث، وإنَّما ذكرها المؤرخون، أخرجه عن المعتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه، ابن جرير الطبري في «تاريخه» (١/ ١٤٨) وابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ١٤٦).

أخرى، فهل في هذا شيء؟! ليس في هذا شيء، إنَّما الشِّرك الَّذي بيَّنه القرآن كونه يأتي إلى الأموات أو إلى الأشجار والأحجار يستغيث بها، ينذر لها، أو إلى النُّجوم أو الأصنام أو غير هذا، فيطلب المَدد أو الغوث من ميِّتٍ، أو صنمٍ، أو حجرٍ، أو جِنٍّ، أو غائب بغير أسباب حسيَّة.

والواجب: على المؤمن أن يحذر ذلك؛ ولهذا قال جلَّ وعلا: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقال سبحانه: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فَاطِر: ١٣-١٤] فاللَّهُ سبحانه حَذَّر ممَّا يفعله المُشركون مع أصنامهم وأوثانهم، وأخبر أنَّها لا تملك شيئًا، وأنَّ المُلك لِلَّهِ وحده، مُصرِّف الكون جلَّ وعلا.

ثُمَّ ختم الكلام رَحِمَهُ اللَّهُ بخاتمة عظيمة، وهي: أنَّ التَّوحيد لا بُدَّ أنْ يكون بالقلب واللِّسان والعمل، لا بُدَّ أنْ يُؤمن باللَّهِ، وأنَّه مستحقٌّ للعبادة، ولا بُدَّ أنْ ينطق بهذا، فيخص اللَّه بالعبادة، فلو أشرك باللَّهِ، وقال: أنا مُؤمن أنَّ التَّوحيد حقٌّ، وأنَّ اللَّهَ مستحقٌّ العبادة.

لكن لا أريد أنْ أخالف جماعتي، أنا سأفعل ما يفعل جماعتي، ولا أحبُّ أنْ أخالفهم، أنا أعبد معهم القبور والأصنام، وأذبح معهم لغير اللَّهِ، وإنْ كنتُ أعلم أنَّ هذا باطل، ولكن مجاملة لجماعتي، وعدم مخالفة لجماعتي.

كما فعل كُفَّار قريش وغيرهم مِمَّن يعرف الحقَّ، كما قال

تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] وقال في بني إسرائيل الكافرين: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] وقال في حقِّ فرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسرَاء: ١٠٢] ولكنه الجحد والتكبر.

وهكذا لو اعتقد بقلبه أنَّ اللَّهَ حقٌّ، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ حقٌّ، وأنَّ السَّاعة حقٌّ، ولكن قال بلسانه: لا مانع من دعاء الأموات، لا مانع من الاستغاثة بالأموات؛ مجاملة لقومه، وإلَّا يعتقد خلاف ذلك أشرك بذلك؛ لأنَّه أجاز بسكوته وفعله ما حرَّم اللَّه، وهو يعلم أنَّه شرك.

أو عمل به، قال: أنا ما أعتقده، لكن أعمل به مجاملة لهم، سجد لغير اللَّهِ دعا مع اللَّه غير اللَّهِ أشرك باللَّهِ، أو قال بلسانه التَّوحيد، ولكن بقلبه جحد، كالمنافقين، يكفر، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٧] وقال فيهم اللَّه: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التّوبَة: ٦٦] ولو قالوا: قلوبنا طيِّبة وسليمة، ما دام فعلوا الشِّرك، وفعلوا ما يوجب الكفر.

[أشركوا وكفروا إلَّا من أكره بالضرب أو التهديد بالقتل ليقول الشِّرك هذا يُسمَّى مكرهًا، قال اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النّحل: ١٠٦] كأن يقال له: تكلم بهذا وإلَّا قتلناك، ويضرب بالجريد وغيره حتَّى يتكلم، وهو مكره، وقلبه مطمئن بالإيمان، وهو مؤمن باللَّه، ولا ينساق بعدهم بقلبه، لكن تكلم باللِّسان ليدفع عن نفسه الضرب، أو القتل، هو هذا المكره؛ لأنَّ اللَّهَ اشترط أنْ يكون قلبه مطمئن بالإيمان، أمَّا إذا وافقهم وقلبه معهم، ليس هو مطمئن بالإيمان صار كافرًا مثلهم.

أمَّا من يقول: لا يكفر الشخص إذا قال: الكفر أو فعله إلَّا إذا قصد بقلبه، هذا غلط، يكون الكفر بالقلب واللِّسان والعمل، إلَّا إذا أكره مع الطمأنينة، أكره بالقتل مثل فعل عمار، وابن مسعود، وبلال وغيرهم، قالوا: فوافقوهم، لكن مع الطمأنينة، فالقلب مطمئن بالإيمان موحد للَّه تعالى].

فالحاصل: لا بُدَّ من توحيد بالقلب واللِّسان والعمل، وإن وَحَّدَ بقلبه في زعمه، ولكن أشرك بالقول أو بالفعل لم ينفعه، أو وحَّد بالقلب واللِّسان، ولكن أشرك بالفعل كالسُّجود لغير اللَّهِ، والذَّبح لغير اللَّهِ، أو وحَّد اللَّه بالفعل وبالقلب، ولكن أشرك باللَّه في القول، فدعا مع اللَّه غيره، واستغاث بغير اللَّهِ، كله واحد، فلا بُدَّ أن يكون التَّوحيد بالقلب واللِّسان والعمل، وفق اللَّه الجميع.

■ **مسألة**: العلماء الَّذين يرون الشِّرك، ويسكتون عنه، هذا - السكوت - فيه تفصيل، إذا كانوا يعتقدون جواز ذلك كفروا، أمَّا إذا كان تساهلًا منهم لم ينكروا الشِّرك والمنكر، ولكنهم ما فعلوا المنكر ولا اعتقدوه، فهذا تقصير منهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمَّا إذا كانوا تركوا ذلك خوفًا، مثل الَّذين كانوا فِي مكة لم يستطيعوا أن ينكروا المنكر خوفًا من المشركين، فهم معذورين.

أمَّا الَّذين يعبدون القبور ويستغيثون بالجنّ، ولهم شركيات بيِّنة، يبدأ معهم بالدَّعوة إلى لَا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ، إلى التَّوحيد؛ لأنَّ أعمالهم لا تنفعهم إلَّا بالتَّوحيد؛ فالرَّسول بدأ بالتَّوحيد، لم يبدأ بالصَّلاة ولا بالزَّكاة، ولا بدأ بالصَّدقات، بل بدأ بقوله، قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه.

والَّذي يقول: البدء بالتَّوحيد فيه تنفير للنّاس، هذا جاهل ابدأ بما بدأ به الرُّسل.

ولا يجوز للعالم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب على العلماء أن يَعِظُوا النَّاس ويُذكروهم، ويُبصروهم بحقِّ اللَّه، ولا يشاركوهم فِي كفرهم وشركهم، لا بالقلب ولا بالقول ولا بالفعل، فإذا قصروا فِي إنكار المنكر فهذا معصية، الواجب عليهم إنكار المنكر، لكن إذا كانوا لا يعتقدون ذلك المنكر، ولا يفعلونه معهم، ولا يجاملونهم، لا يصيرون بذلك كافرًا.

أمَّا إذا جاملوهم وعملوا معهم المنكر، عبدوا معهم القبور، وسبُّوا الأديان، وقالوا: هذه مجاملة، هذا شرك، أمَّا إذا كان الواحد لا يجاملهم، ولا يشاركهم فِي باطلهم؛ ولكنه ضعيف، لا يستطيع أن يجاهر هم بالإنكار عليهم، إمَّا خوفًا من شرهم، وإمَّا طمعًا فِي رفدهم هذا هو محل النظر.

■ **مسألة: حضور العلماء الاحتفالات ومباركتها:**

إذا كان العلماء يفعلون مع النَّاس الشِّرك، فهم مُشركون، إذا كانت الاحتفالات مشتملة على أفعال شركية، وشاركوهم فِيها فهم مشركون مثلهم، أمَّا إذا كانت احتفالات أكل وشرب لا يصيروا مشركين، وإذا كانت الاحتفالات فِيها سبٌّ لِلَّهِ وللرَّسول، وهم معهم، أو احتفالات يُقرُّون الكفر باللَّه، كدعاء الأموات، والاستغاثة بهم، ويرون أنَّ هذا لا بأس به شاركوهم في الكفر، والعياذ باللَّه.

أمَّا إذا حضروها معهم ليعرفوا أفعالهم، لينكروها عليهم، هذا واجب عليهم إذا حضروا لإنكار المنكر فهم مأجورون مثلما كان النَّبِيّ ﷺ يحضر الحج، ويتكلم معهم، وكان يدور عليهم في منى، ويقول: يا قومي اتقوا اللَّه اعبدوا اللَّه وحده.

وأمَّا حضور مؤتمرات توحيد الأديان، لا يجوز -حضورها-،

ولا تجوز الدَّعوة إليها.

العالم الَّذي يسكت عن إنكار الكفر، وهو قادر، هذا يكون معصية وصاحب ذلك ظالم لنفسه؛ لكن لا يصير كافرًا إلَّا إذا وافقهم عليه، بقوله أو بفعله أو باعتقاده، فِي أحد هذه الأمور الثلاثة، إذا سكت عن الواجب عليه، وهو إنكار المنكر، صار عاصيًا بسكوته؛ لأنَّه يقدر أن يفعل ولم يفعل، قد يقول: إني خائف.

والمقصود: أنَّه ينكر المنكر؛ لأنَّ اللَّهَ جلَّ وعلا، يقول: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١] وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠] فمجرد سكوته ليس من الرضا بالكفر، ولا يلزم ذلك.

الرضى إذا كان يشاركهم في الكفر يكون مثلهم، إذا كان يحضر مع عُبَّاد القبور سؤال الموتى والاستغاثة بهم صار مثلهم، لكن إذا كان لا يستطيع الإنكار، وهو معتزل فلا.

■ **مسألة**: من قال: لا يكفر الرَّجل إلَّا إذا قصد الخروج من الإسلام، بقوله أو بفعله، هذا جاهل يُعلَّم أنَّ الكفر قد يكون بالقلب أو باللِّسان أو بالعمل عند جمهور الفقهاء. والَّذين قالوا: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا»[1] هؤلاء كفروا بالقول.

(١) أخرجه ابن جرير الطبري فِي تفسير سورة التوبة (١٠/ ١٧٢).

■ مسائل: متفرقة:

المرجئة، يقولون: بأنَّ الإيمان بالقلب واللِّسان؛ ولا يدخلون العمل في الإيمان ويقولون: أنَّ الصَّلاة واجبة، والزَّكاة واجبة، ولا يسمى ذلك إيمان، وهذا غلط منهم.

■ مسألة: التبرك:

التمسح بشبابيك وأبواب الحرم معتقدًا أنَّها قُربى لله سبحانه وتعالى، هذا بدعة، وإذا كان يطلب البركة منها صار شركًا، أمَّا إذا كان يظن أنَّها قربى أو طاعة فهذا بدعة، يعلّم أنَّها بدعة.

■ مسألة: الإكراه بالسجود لغير اللَّه:

من أكره للسجود لغير اللَّه هل له أن يفعل، لا يفعل، وإن فعل يسجد، وهو في قلبه يعتقد أنَّه لا يجوز السُّجود لغير اللَّه؛ لأنَّه مثل التخلص من الإكراه إذا كان يضرب ويتوعد بالقتل من القادر، فِيسجد بنية السُّجود لِلَّهِ تعالى واللَّهُ ﷻ أعلم.

وصلَّى اللَّه على مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

فهرس الموضوعات
لكتاب شرح كشف الشبهات

الموضوع	الصفحة
مقدمة مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية:	١٦٩
تعريف الشَّارح بالكتاب:	١٧١
حقيقة التوحيد:	١٧٣
الشرح:	١٧٤
■ مسألة:	١٧٨
المشركون الأوَّلون أقرُّوا بالرُّبوبيَّة وأشركوا في الإلوهيَّة في الرَّخاء دون الشِّدَّة:	١٧٩
الشرح:	١٨١
وجوب خوف المؤمن من الوقوع في الشِّرك:	١٨٣
الشرح:	١٨٤
■ مسألة: العذر بالجهل:	١٨٨
■ مسالة:	١٨٨
الصراع بين الرُّسُل وأعدائهم:	١٩٠
الشرح:	١٩١
■ مسألة: في تكفير العامي:	١٩٤
■ مسألة: في منع شغل العامة بالعقيدة:	١٩٤
أجوبة أهل التَّوحيد على شبهات المشركين إجمالًا وتفصلًا أولًا: ذكر الجواب المجمل:	١٩٥
الشرح:	١٩٦
فائدة:	١٩٩

الموضوع رقم الصفحة

■ مسألة: من هم أولياء اللَّه: ٢٠٠
■ مسألة: في تميُّز حب العبادة عن غيره: ٢٠٠
بيان ذكر الجواب المفصل على أبرز الشُّبه: ٢٠١
الشرح: ٢٠٣
■ مسألة: في التفريق بين طلب قضاء الحاجات والشَّفاعة: ٢٠٦
بيان ذكر الجواب المفصَّل لأبرز ثلاث شُبه يودونها على دعاة التوحيد: ٢٠٧
الشرح: ٢٠٨
■ مسألة: حصر العبادة في الصلاة: ٢١١
■ مسألة: حصر الكفر على التكذيب: ٢١١
■ مسألة: سجود معاذ للنبي ﷺ: ٢١٢
■ مسألة: الإلحاد أعظم من الشرك: ٢١٢
لا يجوز طلب الشَّفاعة إلَّا من مالكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ٢١٣
الشرح: ٢١٤
■ مسألة: الشَّفاعة: ٢١٧
■ مسألة: ٢١٧
■ مسألة: طلب الشفاعة ممن يذهب للجهاد: ٢١٩
دعاء الصَّالحين والاستغاثة بهم شرك: ٢٢٠
الشرح: ٢٢١
■ مسألة: ٢٢٣
شرك المتأخِّرين أعظم من شرك الأوَّلين: ٢٢٥
الشرح: ٢٢٧
الإقرار بـ«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» وامتثال بعض الأوامر لا يدفع عن عُبَّاد القبور الشِّرك: ٢٣١
الشرح: ٢٣٣
■ مسألة: ما يعذر فيه أهل البادية: ٢٣٦
■ مسائل: حول الرَّوافض: ٢٤٠
تكفير السَّلف للعبيديين مع أنَّهم يشهدون الشَّهادتين: ٢٤٣
الشرح: ٢٤٤

الموضوع | رقم الصفحة

■ مسألة: فيمن ذكر كلمة مازحًا: ٢٤٧
■ مسألة: في الاستهزاء: ٢٤٧
■ مسألة: فيمن لم يأتِ بشروط لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ السبعة: ٢٤٨
■ مسألة: ٢٤٨
■ مسألة: في كفرمنكر الصِّفات: ٢٤٨
مَنْ أتى مُكَفِّرًا كَفَرَ: ٢٤٩
الشرح: ٥٠
■ مسألة: بقاء الأعمال بعد التوبة: ٢٥٣
■ مسألة: منع تكفير المعيّن: ٢٥٤
■ مسألة: من كره شيئًا من الشرع ولم يجحده: ٢٥٤
■ مسألة: في اعتياد بعض الكلمات: ٢٥٤
■ مسألة: في الفرق بين الجهمية والمرجئة: ٢٥٥
الرَّدُّ على شُبْهَةِ أَنَّ مَنْ قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه لا يَكفر ولو اقترف ناقضًا مِنْ نواقضها: ٢٥٦
الشرح: ٢٥٨
■ مسألة: فيمن يقول: في دعائه يا حبيبي: ٢٦١
■ مسألة: من سأل باللَّه لأمر ولم يجب: ٢٦١
■ مسألة: الكف عمَّن يقول: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه من الكفرة: ٢٦٢
■ مسألة: فيمن يقول للآمر والنَّاهي فضولي: ٢٦٣
■ مسألة: إذا قال: بالكفر أو عمل به لا يكفر حتَّى تقام عليه الحُجَّة: ٢٦٣
■ مسألة: عذر من جهل قدرة اللَّه: ٢٦٣
■ مسألة: عدم الرضى يعتبر تكذيب يقتضي الكفر: ٢٦٣
■ مسألة: ٢٦٤
■ مسألة: زعم سقوط العبادات: ٢٦٤
بطلان شُبْهَةِ القبوريين بأن الاستغاثة بغير اللَّه ليست شركًا: ٢٦٥
الشرح: ٢٦٦
■ مسألة: ضابط طلب الدُّعاء من الغير: ٢٦٨
■ مسألة: إزالة الشُّبة والمُتَشَابِهِ: ٢٦٨

الموضوع — رقم الصفحة

- مسألة: التفريق بين الغائب الحيِّ والميِّت: ٢٦٩
- مسألة: بعث الأجسام: ٢٧٠
- مسألة: الخفاء والوضوح: ٢٧٠
- مسألة: في فِرَق الجهمية: ٢٧٠
- مسألة: من لم تصلهم الدَّعوة حتَّى الآن؟ ٢٧١
- مسألة: الإنكار عند أهل القبور: ٢٧١

بطلان احتجاج القبوريين بقول جبريل لإبراهيم حين أُلقي في النَّار: ألك حاجة؟: ٢٧٢

الشرح: ٢٧٥

- مسألة: ٢٧٨
- مسألة: حضور العلماء الاحتفالات ومباركتها: ٢٧٩
- مسألة: ٢٨٠
- مسائل: متفرقة: ٢٨١
- مسألة: التبرك: ٢٨١
- مسألة: الإكراه بالسجود لغير اللَّه: ٢٨١

فهرس الموضوعات: ٢٨٣

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية:	٥-٦
ترجمة سماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:	٧-١٣
شرح كتاب الأصول الثلاثة:	١٥-٨٢
شرح كتاب القواعد الأربع:	٨٣-١١٠
التعليق على كتاب فضل الإسلام:	١١١-١٦٦
شرح كتاب كشف الشبهات:	١٦٧-٢٨١
فهرسة عامة:	٢٨٧